

محمّد مظلوم

أَصْحَابُ الْوَاحِدَةِ

الْيَتِيمَاتُ وَالْمَشْهُورَاتُ وَالْمَنْسِيَّاتُ
مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ



منشورات الجمل

الناشئ

الناشئ

محمّد مظلوم: أضحأ الواحدة

محمّد مظلوم

أَصْحَابُ الْوَاحِدَةِ

الْيَتِيمَاتُ وَالْمَشْهُورَاتُ وَالْمَنْسِيَّاتُ
مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ

منشورات الجمل

ولد محمد مظلوم في بغداد / منطقة الكرادة ١٩٦٣ . تخرّج من قسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة - جامعة بغداد ١٩٨٧ . مَبْنِيّ مجنّداً للخدمة العسكرية بعد تخرجه من الجامعة مباشرة . عَمِلَ بعد انتهاء حرب الخليج الأولى مدرّساً للغة العربية في محافظة أربيل بکردستان العراق . غادرَ إلى دمشق عبر نهر الخابور خريف عام ١٩٩١ ، ولا يزال مقيماً فيها . من مؤلفاته الشعرية : غير منصّوص عليه - ارتكابات (١٩٩٢) ؛ المتأخّر - عابراً بين مرآيا الشبهات (١٩٩٤) ؛ محمد والذين معه (١٩٩٦) ؛ الثائم وسيرته معارك (١٩٩٨) ؛ أندلس لبغداد (٢٠٠٢) ؛ اسكندر البرابرة (٢٠٠٤) ؛ بازي النّسوان (٢٠٠٨) ؛ كتاب فاطمة (٢٠١٠) . في النثر والدراسات : عبد الوهاب البياتي - كتاب المختارات (١٩٩٨) ؛ ربيع الجنرالات ونيروز الحلاجين (٢٠٠٣) ؛ عراق الكولونيالية الجديدة (٢٠٠٥) ؛ الفتى البغدادي - فقهاء المارينز وأهل الشقاق (٢٠٠٦) ؛ حطب إبراهيم أو الجيل البدوي - شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية .

محمّد مظلوم، أضكّابُ الواجدة،

اليَتِيَمَاتُ والمَشْهُورَاتُ والمَنْسِيَّاتُ مِنَ الشَّعْرِ العربيّ

الطبعة الأولى، جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس باللغة العربية

محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠١٢

ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣، بيروت - لبنان

تلفاكس: ٠١ ٣٥٣٣٠٤ (٠٠٩٦١)

© Al-Kamel Verlag 2012

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

المقدمة

هل ثمة شاعرٌ بقصيدةٍ واحدة؟
بمعنى «وحيدة» لم يكتب غيرها؟
وما أهميته أن يكتب شاعر ما، قصيدةً تبدو كبيضة الديك في الأساطير
والأمثال العربية التي تضرب ولا تقاس؟
سيبدو سؤال كهذا، ضرباً من الخوض في متاهاتٍ مُغلقة المآل، قد
لا يجد فيها الشعر - وهو نشاط إنساني، بل أكثرها إنسانية - طريقه
للتأويل النقدي والمراجعة العلمية الرصينة.
فمع وجود عددٍ غير مُحدّدٍ من الشعراء الذين لا تُعرف لهم في كتب
الأدب العربي سوى قصيدة واحدة، يبدو مصطلحُ أصحاب الواحدة
مصطلحاً مُلتبساً، فمن حيث المبدأ لا يمكن التسليم بوجود شاعر لم
يقل إلا قصيدة واحدة في حياته، ربما ثمة من أنشد «بيتاً» أو «نُثقة» أو
ارتجل أرجوزةً في معركة، أو ترك لنا «قطعة» لا تتجاوز أبياتها الثمانية
أبيات على أقل تقدير، لكن القصيدة بالمفهوم العربي للقصيدة، من
حيث كونها ما تجاوزت أبياتها الثمانية، حسب معايير النقد العربي
القديم، لا يمكن أن يصلها الشّاعر إلا بعد تجاربٍ عدّة في قول الشعر

«بيتاً ونُتْفَةً وقطعة» وصولاً إلى البناء الكمي الذي يمنح شعره هويّة
«القصيدة»

إضافة إلى ذلك فإن معظم النماذج التي اختيرت هنا لا تعزز المفهوم
المباشر بالمعنى الأوّل الذي قد يرسم في ذهن من يسمع بهذا
المصطلح.

وعلى هذا المبدأ لا تكاد «واحدة» من هذه القصائد الفدّة إلا ووجدت
من يتحلّل منها بيتاً أو بيتين، أو قد تنسب القصيدة برمّتها لشعراء آخرين
ويجري تحقيقها في دواوينهم، حتى أن القصيدة البيّمة أو «الدعدية»
التي يفترض أن شاعرها لم يُقُلْ سواها، تُنسب في كتب الأدب العربي
لعشرات الشعراء من أصحاب الدواوين الضخمة، وقد وردت فعلاً في
دواوين ثلاثة منهم على الأقل.

من هنا فقد لا تقتصر «الواحدة» أن تكون هوية نهائية لشاعرها بل أن
أغلب القصائد هنا يتنازع عليها شعراء عدّة، وتُنسب بعضها إلى أكثر من
شاعر وتتداخل فيها الأبيات الأصلية بالأبيات المنحولة.

من هنا تأتي أهمية فكّ الالتباس الذي لحقّ بهذا المفهوم، من أجل
الدخول إلى مناقشته بوصفه مصطلحاً يجرى تداوله أحياناً في غير
المغزى الذي وُضِعَ من أجله في النقد العربي القديم، فمصطلح
«أصحاب الواحدة» هو تعبير نقديّ ولّد أساساً في سياق تطوّر النقد
العربي القديم في جهوده لإيجاد مفاهيم خاصة يشير بها إلى توصيف
نموذج شعري محدّد لشاعر ما، اكتملت فيه شروط الجودة والفرادة
وميّزته عمّا سواه من نماذج أخرى للشاعر نفسه.

ويعود هذا المصطلح : «أصحاب الواحدة» إلى ابن سلام الجُمَحِيّ
 «٢٣٢ هـ» حيث ورد، أوَّلَ ما ورد، في كتابه «طبقات فحول الشعراء»
 وكان يعني به الشعراء الذين أجادوا في قصيدة واحدة مع أنَّ لهم قصائدَ
 أخرى كثيرة أو قليلة. وعلى هذا المعيار الخاص جعل ابن سلام معلقة
 عنترة بن شداد «واحدته» لأنها نادرةٌ برأيه، على الرَّغم من أنَّ له «شعراً
 كثيراً» كما يقول، وعلى المعيار نفسه، رأى أنَّ طرفة بن العبد أشعرُ الناس
 «واحدة» بمعلقته المشهورة، بمعنى أن هذه القصيدة إذا ما قورنت بأفضل
 «واحدة» لأيِّ شاعر آخر غيره، لتقدَّمت عليها جودةً. ونقل ابن قتيبة
 الدينوري «٢٧٦ هجرية» في «الشعراء والشعراء» قولاً لأبي عبيدة قريباً من
 فكرة ابن سلام حيث قال: «قال أبو عُبَيْدة: طرفة أجودُهم واحدةً ولا
 يلحق بالبحور، يعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة، ولكنه يوضع مع
 أصحابه: الحارث بن حِلْزة وعمرو بن كلثوم وسُويد بن أبي كاهل».
 ولنلاحظ في تفسير هذا المعنى ما تمتاز به قصيدةُ طرفة عن سواها من
 أصحاب المعلقات.

فأولاً: هي الأطول من بين تلك المعلقات فقد بلغت في جمهرات
 القرشي، مائة وعشرين بيتاً^(١)، وهي تشكِّل أكثرَ من رُبْع شعر طرفة.
 وثانياً: هي قصيدة قالها وهو في العشرين من عمره، بمعنى إنها كانت
 وعداً شعرياً بشعر آتٍ وخرقاً واختلافاً مبكراً عن السائد والمعهود. إذ
 «بلغ بحدائنه سنُّه ما بلغ القوم في طول أعمارهم»

(١) «جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي
 - دار نهضة مصر ١٩٨١ تحقيق: علي محمد البجاوي.

وثالثاً: إن طرفة شاعر ذو أخبار قليلة إذا استثنينا تراجيديا مقتله، ولعلَّ شهرة قصيدته هذه توازي تلك التراجيديا في مصيره الإنساني، وجلُّ أخباره تشير إلى أنه مُنَشَّقٌ ومتهكَّمٌ، وكانت قصائده تثير الحزازات بين القوم، وكثيراً ما كان المتباغضون يتهاجون بشعره، متمثلين بأبيات لاذعة في هذا السياق، حتى أودى شعرُه بحياته، أو لسانه برأسه. كما تنبأ له المتلمس بقوله: «وَيْلٌ لِهَذَا مِنْ هَذَا»

والملاحظ هنا أن أغلب «أصحاب الواحدة» مِمَّنْ جرى اختيار نماذج لهم في هذا الكتاب، لم يعمروا كثيراً بعد تلك القصيدة، بل إنها كانت لدى البعض شهادة أخيرة، فهي آخر ما تفوَّه به قبل الموت.

أخيراً فإن ما يمكن تلخيصُه عن طبيعة شخصية طرفة بوصفه أقدم أصحاب الواحدة بمفهوم النقد العربي القديم، وتعميمه على شعراء هذه المختارات، إن أغلبهم من هوامش الناس، فهم خوارج وصعاليك ومُتصوِّفَة ولصوصٌ ومجانين ومنفيون، وشعراء مغمورون، ومغامرون ومنبوذون، وعشاق مقهورون، ومن عوام الناس في عصرهم.

حتى أشرف القوم منهم، فإنَّ واحداتهم أو قصائدهم النادرة قِيلَتْ في لحظات حرجة من حياتهم، كأنها كانت أغنية البجع الأخيرة، كما هو الحال في قصيدة لقيط بن يعمر الأيادي، ومالك بن الريب، وعبد يغوث الحارثي وكذلك قصيدة هاشم الرفاعي بتمثلها المستعار.

هم ليسوا بشعراء «بلاطين» ليذهب شعرهم في البلدان بفعل مدائح جرث بها ألسنتهم فجرت معها شهرتهم في الآفاق.

من هنا نجد أنَّ أصحاب الواحدة عادةً ما تكون ظروفُ حياتهم التي

عاشوها بما تحمله من تراجيديا، من موت مبكر، ونفي وابتعاد عن ثقافة المركز، هي السمّة المميّزة التي جعلت من أخبارهم قليلةً وأسهمت في ندرة أشعارهم.

ولعلّ هذا الحصار المركب الذي اتسمت به حياة هؤلاء هو الذي جعل من قصائدهم نماذج «فدّة» في الحبّ والحرب والموت ورتاء المدن وفي استبطان الذات ووحشتها وأسئلتها العميقة.

ملاحظة أخرى يمكن رصدها في خصوصية هذا المفهوم لدى ابن سلام، وهي إنه أورده في سياق الحديث عن شعراء الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية، ونحن نعرف إن الشعر الجاهلي ظلّ في جانب كثير منه، جزءاً من التراث الشفاهي العربي، وانحسر الكثير من نماذجه عن المدونات اللاحقة، فكثرت الواحدات في نماذج هذا الشعر، بفعل الانتقاء والذاكرة الشفاهيين للقصائد، ولعل هذا ما جعل المصطلح لدى ابن سلام مرتبطاً بهذا الزمن الشعري بالتحديد.

وبعد ابن سلام بأكثر من قرنين، ترسّخ مصطلح «أصحاب الواحدة» لدى ابن رشيق القيرواني «٤٦٣ هـ» في كتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده» فقال: «وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجُمَحِيِّ، وهو الحكم الصواب» ومضى يضيف شعراء آخرين لقائمة «أصحاب الواحدة» من غير شعراء المعلقات لِتَسَّعَ القائمة ولكنها بقيت في سياق نقد الشعر الجاهلي، ولم تذهب إلى أبعد من ذلك.

أما في العصر الحديث فقد دأب الشاعر العراقي نعمان ماهر الكنعاني على نهج ابن رشيق في إضافة شعراء آخرين إلى تلك القائمة، في كتابه

«شعراء الواحدة» الصادر في بغداد في العام ١٩٦٧»^(١) فاختار «واحدات جديدة» لعدد إضافي من «أصحاب الواحدة» من عصور مختلفة: كالشنفرى، والسموأل، ومالك بن الرب، وديك الجن الحمصي، وقطري بن الفجاءة، وأبو الحسن التهامي، وابن زريق البغدادي، وسواهم. رغم أن لعدد من هؤلاء دواوين شعرية معروفة.

من هنا يمكن القول أن مصطلح «أصحاب الواحدة» لا يعني بالضرورة الشعراء الذين لم يكتبوا أو يقولوا إلا قصيدة واحدة طوال تجربتهم الشعرية والحياتية، ذلك أن هذا المفهوم للمصطلح ينطوي في نسيجه على خيوط من الأوهام كما أسلفت، لكن «الواحدات» هنا تبدو بمثابة معلقات إضافية، حتى كأنها استدراك نقدي على فكرة المعلقات. بيد أنها تخص هنا، بشكل أكثر دقة، أولئك الشعراء المقلين فقط.

أما «الحماسات» بوصفها من أقدم نماذج المختارات في الشعر العربي، إلى جانب «الأصمعيات» و«المفضليات» فهي التمثيل الواضح عن حضور مكثف لأصحاب الواحدة، والتعبير عن ذوق خاص، لمن اختاروا تلك المختارات من بين العشرات من قصائد الشعر العربي ومن نماذج عديدة للشعراء ذاتهم.

ومن هنا أيضاً تأسست شروط نقدية إضافية لاختيار «الواحدات» فأصحاب الواحدة ينبغي أن يكونوا مقلين في الكم، لكنهم مجيدون في

(١) بشير مير بصري في كتابه «أعلام الأدب في العراق الحديث» وفي ترجمته لمؤلفات الكنعاني، إلى أن تاريخ كتاب «شعراء الواحدة» في العام ١٩٤٥، ولعله يشير هنا إلى زمن التأليف، أو ربما صدرت طبعة أولى منه في ذلك التاريخ.

واحدة مشهورون بها. وهذا ينسحب على مفهوم القصيدة الواحدة: فهي ليست «الوحيدة» بالضرورة.

فأصحاب الواحدة بمفهوم النقد العربي الكلاسيكي وتأكيده المأثور على التصنيف النوعي للشعراء، هم شعراء «مُفْلِقُونَ» أي الشعراء الذين يأتون بالعجائب والفرائد من الشعر في قصيدة واحدة أو بضع قصائد، فأغلبهم ليسوا في عداد الشعراء الفحول، ولكنهم أجادوا إجادة لافتة في قصيدة معينة فذاعت شهرتهم بها.

وعلى هذا الأساس فثمة «واحدات» أنفق شعراؤها وقتاً طويلاً في صياغتها وإعادة بنائها حتى أصبحت ديوانَ حياتهم ومرآة شخصياتهم عبر أطوار شتى كما هو الحال في «يتيمة سويد بن أبي كاهل» التي «تخضرت» بين العصرين الجاهلي والإسلامي، وواحدة «توبة بن الحمير» التي تؤكد كتب النقد العربي عن بدايات متعددة لها، أو استرسالات وقصص لاحقة، ووقائع حادثة ومستجدة، دخلت على هذه القصيدة التي تحكي قصة حب في مراحلها المختلفة وتحولاته التراجيدية.

وكذلك فلربما كانت قوة هذه «القصيدة» أو تلك، وفرادتها الفنية بالذات قد طغت على ما سواها من شعر قليل لهذا الشاعر أو ذاك، شعر لم يكن بجودة «بيضة الديك» هذه فمحته.

تندرج في هذا السياق القصائد اليتيمات «كيثيمة دوقلة» و«يتيمة ابن زريق» و«يتيمة خالد القناص»

ولعل مفهوم اليتيمة يحتاج هو الآخر إلى مزيد من التدقيق والمقاربة

والمناقشة، فما المقصود باليتيمة؟ إذ أن ثمة مفهوماً متعدد الطبقات لكل كلمة «اليتيمة» حتى في جذرها اللغوي، فاليتم في معاجم اللغة هو فقدان الأب. وبهذا المعنى فالقصيدة اليتيمة هي من لا أب لها، والمفقودة النسب، لكنَّ اليُتم يعني أيضاً: الإنفراد، واليتيمة بهذا المعنى هي «القصيدة الفريدة» التي لا نظير لها، أو هي تلك التي لا تضاهيها قصيدة أخرى للشاعر نفسه.

ويرى ابن منظور في «لسان العرب» أن المرأة تسمى اليتيمة ما لم تتزوج فإن تزوجت زالت عنها صفة اليتيم، والرجل يبقى يتيماً حتى يبلغ الحلم. فالقصيدة اليتيمة بمعناها هنا، هي عذراء غير مطروقة، في رمزها الأنثوي، وناضجة مكتملة التجربة في رمزها الذكوري.

أما «المشهورات» من القصائد، فهي تلك التي طغت على ما عداها من قصائد الشاعر كمرثية الأندلس لأبي البقاء الرندي، ومرثية مالك بن الريب لنفسه، وأما القصائد المنسية فهي التي ترد أبيات متناثرة منها في كتب الأدب على أنها مجهولة القائل كقصيدة «ماني الموسوس». ويجري تحقيقها هنا ونسبتها إلى شاعرها الحقيقي.

وهناك أيضاً قصائد في رثاء المدن بينها قصيدة ابن أبي اليسر في رثاء بغداد، وهي من القصائد النادرة في رثاء المدينة بعد سقوطها بيد المغول، ولا تعرف لصاحبها قصيدة أخرى، وكذلك قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء أشبيلية والتي اشتهرت بكونها مرثية للأندلس رغم وفاة شاعرها قبل سقوط الأندلس كاملة.

اخترت هنا شعراء الواحدة بمفهوم «ابن سلام الجُمَحِي» وليس بما

أورده من نصوص معبرة عن ذلك المفهوم، وكذلك بمفهوم «الأصمعي» براوية «المظفر العلوي في نظرة الإغريض» بيد أنني استثنت منها قصائد شعراء المعلقات: طرفة، وعنترة، وعمر بن كلثوم، والحارث بن حلزة الشكري، لكونها نالت فرادتها في مجال آخر.

كما استثنت اللاميتين: «لامية العرب للشنفرى» و«لامية العجم للطغرائي» اللتين عرفتا بأنهما «واحدتا» شاعريهما لأنني رأيت للشاعرين قصائد أخرى لا تقل أهمية عن هاتين القصيدتين اللتين اشتهرتا، ولأنني رأيتهما مليئتين بالحكم والأمثال أكثر من الشعر. كما أنني حاولت أن أبتعد قدر الإمكان عن تكرار بعض النماذج التي اختارها الكنعاني في كتابه، إلا ما كان حقاً من أصحاب الواحدة بالمفهوم الذي أراه.

إذن ثمة «واحدات» شاعت أو اتُفقَ عليها كالقصيدة الدعدية وعينية ابن زريق وثمة «واحدات» أخرى تخضع لذوق خاص من بين عدد محدود من المقطوعات والنتف، وثمة «واحدات» مكتشفة لاحقاً وأخرى ضائعة نحاول إضاءتها هنا، وهكذا فإن مثل هذا الموضوع النادر في الشعر العربي كندرة قصائده يبقى قابلاً للاستكمال. ولهذا سيكون مهماً مثلاً إضافة «صواحب واحداث» وهنا «واحدة» تستحق أن تقف بقامة مديدة بين «واحدات الفحول» وهي قصيدة الفارعة بنت طريف في رثاء أخيها الوليد بن طريف. وأخرى لقتيلة بنت النضر، ولها قصة مشهورة في السيرة النبوية لابن هشام.

وقد يجد القارئ أن قصائد الرثاء غلبت على سائر الأغراض في قوة حضورها في هذه «الواحدات» ولعل لهذا الأمر ما يبرره سواء في النقد العربي القديم أو في طبيعة شعر الرثاء وخصائصه، فابن سلام الجُمَحِيّ

جعل شعراء الرثاء في طبقة مستقلة هي الطبقة الثانية بعد طبقات شعراء الجاهلية العشر وبينهم شعراء المعلقات، وهو الغرض الوحيد الذي خصه ابن سلام بطبقة، لا على أساس التوزيع الجغرافي: كشعراء القرى، ولا على أساس المعتقد أو الدين: كشعراء اليهود، ولا الزماني: كشعراء الجاهلية، وشعراء الإسلام. كما خصص لها القرشي في جمهراته باباً خاصة إلى جانب «المعلقات» و«المذموبات» و«المشوبات»^(١) وسواها، وفي هذا ما يشير إلى أهمية شعر الرثاء وموقعه، وأن مجيديه هم فحول الأغراض.

وفي طبيعة شعر الرثاء وخصائصه نجد أن أغراض الشعر العربي الأساسية الأخرى كالمديح والغزل والهجاء، تتوجّه إلى شخص مقصود موجود، وبالتالي هي طامحة ومتطلعة نحو غايات ومآرب أيّاً كان نوعها أو مستواها. أما الرثاء فيتوجّه هو الآخر إلى شخص لكثته مفقود، وعادة ما يتمتع هذا المفقود بأثر وتاريخ خاصين لدى الرائي، مما يجعل القصيدة متزّهة كثيراً عن القصد الآني والغاية الملحة.

اعتمدت في هذه المختارات والمقدمات الخاصة بكل شاعر وقصيدته، على كتب الحماسات والمختارات في المصادر العربية القديمة من بينها حماسات أبي تمام والبصري، والوحشيات، والمفضليات والأصمعيات، ومنتهى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك، وجمهرة أبي زيد القرشي، ومختارات شعراء العرب لابن

(١) يقصد القرشي بالمشوبات: تلك القصائد التي شابها الكفر والإسلام، وهي هنا تقابل قصائد الشعراء المخضرمين.

الشجري، إضافة إلى كتب الأعلام والتراجم والوفيات، كما استأنست ببعض المصادر الحديثة كدراسة الدكتور عبد الكريم الأشتر أستاذ الأدب والنقد في جامعة حلب، عن ثلاثة من شعراء الواحدة^(١)

وكان مُستلً من هذا الكتاب قد نشر ضمن منشورات «كتاب في جريدة - عدد تموز ٢٠١٠» على وفق ما سمح به حيزُ الإصدار وشروطه.

وكنت أعدُّ لإصدار المختارات في كتاب أشمل، عندما اقترح عليَّ الصديق والشاعر خالد المعالي صاحب دار الجمل، نشرها في كتاب يصدر عن الدار، وعكفت خلال الأشهر الماضية على إعادة مراجعة النصوص السابقة وضبطها، وتدارك مواضع الأخطاء والسهو التي لحقت بها، كما قمت بتوسيع دراسة مفهوم أصحاب الواحدة، وكذلك المقدمات التعريفية للشعراء، بما يحيط أكثر بحياة الشاعر والتعريف بقصيدته ومكانتها في النقد العربي.

كما قمت بإضافة إحدى عشرة قصيدة جديدة من مختلف العصور بينها «المزدوجة في العشق المثلي» لمدرّك الشيباني، وأخرى في الغرض نفسه، وإن امتازت بتهتُّك أوضح، وبلغة مكشوفة أكثر، وهي لشاعر عباسيٍّ مجهول لم يورد قصيدته إلا أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر».

كما رأيتُ أن هذا الموضوع يستحقُّ، أن يدفع خطوة أخرى باتجاه المعاصرة من خلال اختيار نماذج لشعراء معاصرين. ولذلك حاولتُ

(١) نشرت تلك الدراسة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد ٨٣ - الجزء الثاني.

دفعه قليلاً إلى الإمام باختيار نموذجين لشاعرين من القرن العشرين هما :
هاشم الرفاعي بقصيدته : «رسالة في ليلة التنفيذ» وعبد الأمير الحصري
في قصيدته : «إلى القلق» .

وبهذا فقد شملت هذه المختارات جميع عصور الشعر العربي منذ
العصر الجاهلي، مُروراً بالعصور الإسلامية : عصر الرسالة والخلافة،
والعصرين الأمويين والعباسي، وصولاً إلى العصور المتأخرة : الأيوبي
والمملوكي، وانتهاء إلى العصر الحديث . كما تُغطي هذه المختارات
لأصحاب الواحدة، خريطة الشعر العربي التقليدية من بغداد شرقاً إلى
الأندلس غرباً .

لم أعتد في تخريج هذه القصائد من مصادر الأدب العربي، على
ورود واحد، فقصائد الشعر العربي ترد في تلك المصادر بصيغ ورود
مختلفة، سواء من حيث عدد الأبيات، أو في نمط تسلسلها، أو لجهة
اختلاف نص البيت الشعري، كما قد تختلف نسبتها بين أكثر من شاعر
سابق أو لاحق، ولذلك فقد قارنت مختلف الروايات ببعضها، وأخذت
ما رأيته أجمل وأدق وأكثر صلة بالشاعر وتجربته، وكانت تلك المقارنة
لا تتم على أساس القصيدة كاملة بل على أساس مقابلة «بيت بيت» كما
ورد في الروايات المتعددة، وقد أخذت بنظر الاعتبار مدى قرب المصدر
المنقول عنه من زمن الشاعر . ولذلك يمكن القول إن كثيراً من هذه
القصائد هي تحقيق شخصي يقوم على أساس تخريج موحد وجديد
للقصيدة من تلك المصادر .

كما قمت بعنوان القصائد بما يناسبها ويلخصها في جملة تكون مُستلّة

عادة من بين أشطرها، أو بما اشتهرت به القصيدة نفسها فاتخذته عنواناً لها لازمها عبر العصور.

كذلك قمتُ بشرح أكثر من ألف مفردة معجمية وردت في هذه القصائد استناداً إلى المعاجم والقواميس، أو اعتماداً على التحليل الشخصي لسياق المعنى العام للبيت، وتوزَّعت تلك المفردات على أكثر من خمسمائة بيت شعري، قمتُ بشرحها أو بتقريبها من فهم القارئ العادي، على إنني أعدُّ ما يرد من إشارات في الهوامش أحياناً متناً حيويّاً لقراءة القصيدة والإحاطة بتجربة الشاعر بشكل عام.

وفي مطلق الأحوال تبقى هذه المختارات في النهاية، مختارات شعرية تعبر بشكل ما، عن «تجاسد» قرائي مع تلك النصوص، وعن ذائقة شخصية لعيون الشعر العربي، وإن التزمت بمنهج تحقيق نصي من مصادر التراث.

لَقِيْطُ بْنُ يَغْمَرَ الْإِيَادِيّ

رِسَالَةٌ لَمْ تَصِلْ!

شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْحِيزَةِ بِالْعِرَاقِ، سَبَقَ شُعَرَاءَ الْمُعَلَّقَاتِ زَمَنِيًّا بِحَوَالِي الْقَرْنَيْنِ، كَانَ يُجِيدُ الْفَارْسِيَّةَ. وَقَصِيدَتُهُ هَذِهِ كِنَايَةٌ عَنْ رِسَالَةٍ إِنْذَارٍ وَتَحْرِيفٍ أَرْسَلَهَا مِنْ سِجْنِهِ، يُحَذِّرُ فِيهَا قَوْمَهُ مِنْ غَزْوِ «سَابُورَ الثَّانِي ذِي الْأَكْتَفِ» وَيَحْتَثُّهُمْ عَلَى الْاسْتِعْدَادِ لِقِتَالِهِ. وَسُمِّيَ سَابُورُ بِذِي الْأَكْتَفِ لِأَنَّهُ، كَمَا يَنْقُلُ الْأَبْشِيهِيُّ فِي الْمُسْتَظَرَفِ، خَلَعَ أَكْتَفَ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْعَرَبِ وَقَتْلَهُمْ «وَأَمَرَهُمْ حِينَئِذٍ بِإِزْخَاءِ الشُّعُورِ وَلِبْسِ الْمُصَبَّغَاتِ، وَأَنْ يَسْكُنُوا بُيُوتَ الشَّعْرِ، وَأَنْ لَا يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا عُرَاءً».

وَيُقَالُ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَقَعَتْ بَيْنَ أَيْدِي كِسْرَى فَتَكَلَّ بِلَقِيْطُ بْنُ يَغْمَرَ، فَقَطَعَ لِسَانَهُ وَمِنْ ثَمَّ قَتَلَهُ، لَكِنَّ قَصِيدَتَهُ الْفَرِيدَةَ هَذِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ عَنِ الْبَسْمَةِ الرَّوَاةِ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ.

وَيَرَى الدُّكْتُورُ جَوَادُ عَلِي فِي «الْمُقْصَلِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ» أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ رُبَّمَا تَعُودُ إِلَى زَمَنِ كِسْرَى أَوْشُرَانَ أَوْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزٍ، وَلَيْسَ سَابُورَ الثَّانِي.

عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي الْأَوَائِلِ : «هَذِهِ أَجْوَدُ
أَبْيَاتٍ قِيلَتْ فِي صِفَةِ صَاحِبِ حَرْبٍ وَقَائِدِ جَيْشٍ، وَهِيَ أَجْوَدُ قَصِيدَةٍ
قِيلَتْ فِي الْإِنْدَارِ».

وَعَنْ شَاعِرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ : «لَقَيْتُ شَاعِرًا جَاهِلِيًّا قَدِيمًا
مُقِلًّا، لَيْسَ يُعْرِفُ لَهُ شِعْرٌ غَيْرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَقَطَعَ مِنَ الشُّعْرِ لَطَافٍ
مُتَفَرِّقَةً».

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُخْتَلِّهَا الْجَرَحَا
هَاجَتْ لَكَ الْهَمُّ وَالْأَخْزَانُ وَالْوَجَعَا ^(١)
تَامَتْ فُؤَادِي بِذَاتِ الْجِرْعِ خَرَعَبَةً
مَرَّتْ تُرِيدُ بِذَاتِ الْعَذْبَةِ الْبَيْعَا ^(٢)
جَرَّتْ لِمَا بَيْنَنَا حَبْلَ الشُّمُوسِ فَلَا
يَأْسًا مُبِينًا تَرَى مِنْهَا وَلَا طَمَعَا ^(٣)
فَمَا أَرَاكَ عَلَى شَخْطٍ يُورِّقُنِي
طَيْفٌ تَعَمَّدَ رَحْلِي حَيْثُمَا وَضِعَا ^(٤)
إِنِّي بِعَيْنِي إِذْ أَمْتُ حُمُولَهُمْ
«بَطْنُ السَّلُوطِ» لَا يَنْظُرْنَ مَنْ تَبِعَا ^(٥)

-
- (١) الجرعُ: موضعٌ، وقِيلَ هِيَ الرَّمْلَةُ الْمَسْتَوِيَّةُ الَّتِي لَا تَنْبِتُ.
(٢) تَامَتْ: نِيَمَتْ: عَبَدَتْ وَذَلَّتْ، وَمِنْهُ «تَيْمَ اللَّهُ» كَأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَالْجِرْعُ: مَنْعُطُ الْوَادِي.
وَالْخَرَعَةُ: الشَّابَةُ الْحَسَنَةُ الْقِرَامِ، وَالْبَيْعَا: الْكَنِيسَةُ الْمَسِيحِيَّةُ، وَقِيلَ: مَعْبَدُ الْيَهُودِ.
(٣) الشُّمُوسُ: النَّاقَةُ أَوْ الْفَرَسُ الَّتِي تَكُونُ صَعْبَةً الْقِيَادِ وَالرُّكُوبِ.
(٤) الشَّخْطُ: الْبَعْدُ، وَتَعَمَّدَهُ: اتَّكَأَ عَلَيْهِ.
(٥) بَطْنُ السَّلُوطِ: مَكَانٌ فِي الْجَزِيرَةِ.

طَوْرًا أَرَاهُمْ وَطَوْرًا لَا أُبَيِّنُهُمْ
إِذَا تَوَاضَعَ خِذِرُ سَاعَةِ لَمَعَا
بَلْ أَتَاهَا الرَّاكِبُ الْمُزَجِّجِي عَلَى عَجَلٍ
نَحْوُ الْجَزِيرَةِ مُرْتَادًا وَمُنْتَجِعًا^(١)
أَبْلِغْ إِيَادًا، وَخَلِّلْ فِي سَرَائِهِمْ
إِنِّي أَرَى الرَّأْيِي، إِنْ لَمْ أَغْصَ قَدْ نَصَعَا
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ
شَتَّى، وَأُخِيكُمْ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَالَكُمْ
أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدُّبَا سِرْعًا^(٢)
أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَأْوُوكُمْ عَلَى حَقِّي
لَا يَشْعُرُونَ أَضَرَ اللّٰهُ أَمْ نَفَعًا^(٣)
أَخْرَارُ فَارِسَ أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ لَهُمْ
مِنْ الْجُمُوعِ جُمُوعٌ تَزْدَهِي الْقَلْعَا^(٤)
فَهُمْ سِرَاعٌ إِلَيْكُمْ بَيْنَ مُلْتَقِطٍ
شَوْكًا وَآخِرَ يَجْنِي الصَّبَابَ وَالسَّلْعَا^(٥)

(١) مرتادًا: الذي يبحث عن مواضع العشب، والمتجع: الذي ينزل تلك المواضع.

(٢) الدُّبَا: الجراد.

(٣) تأووكم على حَقِّي: اجتمعوا عليكم بكرامية وغيظ شديد.

(٤) القلعُ: السحاب العظيم.

(٥) الصَّبَابَ وَالسَّلْعَا: شَجَرَانِ مُرَّانِ، كَتَى بِذَلِكَ عَنِ السَّلَاحِ.

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْتُونُ الْجِرَابَ لَكُمْ
 لَا يَهْجَعُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَمًا^(١)
 خُزِرُ غَيُونُهُمْ كَأَنَّ لَحْظَهُمْ
 حَرِيقُ نَارٍ تَرَى مِنْهُ السَّنَا قِطْعًا^(٢)
 لَا الْحَرْتُ يَشْغَلُهُمْ بَلْ لَا يَرَوْنَ لَهُمْ
 مِنْ دُونِ بَيْضَتِكُمْ رِيًّا وَلَا شِبَعًا^(٣)
 وَأَنْتُمْ تَخْرُتُونَ الْأَرْضَ عَنْ سَفِهِ
 فِي كُلِّ نَاجِيَةٍ تَبْغُونَ مُزْدَرَعًا
 وَتُلْقِحُونَ حِيَالَ الشُّؤْلِ آوَنَةً
 وَتَنْتَجُونَ بَدَارِ الْقُلْعَةِ الرُّبْعَا^(٤)
 أَنْتُمْ فَرِيقَانِ هَذَا لَا يَقُومُ لَهُ
 هَضْرُ اللَّيُوثِ وَهَذَا هَالِكٌ صَقْعًا^(٥)
 وَقَدْ أَظْلَكُكُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ
 هَوْلٌ، لَهُ ظَلَمٌ، تَغْشَاكُمْ قِطْعًا
 مَالِي أَرَاكُمْ نِيَامًا فِي بُلْهَنِيَّةِ
 وَقَدْ تَرَوْنَ شِهَابَ الْحَرْبِ قَدْ سَطَعًا^(٦)

-
- (١) الهجوُّ: النوم الخفيف.
 (٢) خُزِرُ العيون: ضيقوا أجفانهم ليُحدِّدوا النظر، والسَّنَا: الضوء.
 (٣) بَيْضَةُ القوم: ساحتهم، وهي هنا كناية عن عقر الدار.
 (٤) نَاقَةٌ حائل: إذا لَمْ تَحْبَلْ، والشُّؤْلُ: التُّوقُّ اللواقح.
 (٥) صَقْعًا: ذهب ومات حتف أنفه: يريد أن يقول أنتم فريقان منكم من سيموت في القتال، وآخر سيموت حتف أنفه: أي بلا قتال.
 (٦) بُلْهَنِيَّةٌ: سِعةٌ وَرَفَاهِيَةٌ.

فَإِشْفُوا عَلَيْنِي بِرَأْيِ مِنْكُمْ حَسَنٍ
يُضْبِخُ فُوَادِي لَهُ رَيَّانٌ قَدْ نَقَعَا^(١)
وَلَا تُكُونُوا كَمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْتَنِعًا
إِذَا يُقَالُ لَهُ: إفْرِجْ عُثْمَةً كُنْعَا^(٢)
صُوتُوا جِيَادَكُمْ، وَاجْلُؤُوا سُيُوفَكُمْ
وَجَدُّوا لِلْقِسِيِّ النَّبْلَ وَالشُّرْعَا^(٣)
وَاشْرُوا تِلَادَكُمْ فِي حِرْزِ أَنْفُسِكُمْ
وَحِرْزِ نِسْوَتِكُمْ، لَا تَهْلِكُوا جَزْعًا^(٤)
وَلَا يَدْعُ بَغْضَكُمْ بَغْضًا لِنَائِبَةٍ
كَمَا تَرَكْتُمْ بِأَعْلَى بَيْشَةَ النَّخْعَا^(٥)
أَذْكُوا الْعُيُونَ وَرَاءَ السَّرْحِ، وَاخْتَرِسُوا
حَتَّى تُرَى الْخَيْلُ مِنْ تَعْدَائِهَا رُجْعًا^(٦)

(١) نقعا: شفي غليله، وذهب عطشه.

(٢) مكتنع: حاضر، وقيل: هو المتجمع، وكنع: خضع ولان، والغمة: الكرب والحزن.

(٣) القيسي: الأقواس، وهي صيغة من جمع قوس، والشرع: أوتار الأقواس.

(٤) التلاد: المال القديم، وقيل هو كل ما يورث عن الآباء: من مالٍ وحيوانٍ وغيرهما.

(٥) بيشة: قرية غناء في أحد أودية اليمن: والنخع اسم شخص، ينتسب له بطن من بطون العرب، يقول البلاذري في أنساب الأشراف: «كان النخع، وثقيف أخوين من إياد بن نزار - فخرجا ومعهما عترة لبون يشربان لبنها، فعرض لهما مصدق ملك اليمن، فأراد أخذها، فقالا: أنما نعيش بدرها، فرمى أحدهما المصدق، فقتله، فقال أحدهما لصاحبه: إنه لا يحملني وإياك أرض، فأما النخع فمضى إلى «بيشة» فأقام بها، ونزل ثقيف موضعاً قريباً من الطائف».

(٦) السرح: الأشجار العالية، وتعدائها: عدوها، ورجعا: ترجع أيديها في السير، لسرعتها.

فَلَا تُفَرِّتْكُمْ دُنْيَا وَلَا طَمَعٌ
 لَنْ تَنَعَّشُوا بِزِمَاعِ ذَلِكَ الطَّمَعِ^(١)
 يَا قَوْمِ بَيَضَتْكُمْ لَا تُفَجِّعَنَّ بِهَا
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا الْأَزْلَمَ الْجَذْعَا^(٢)
 يَا قَوْمِ لَا تَأْمَنُوا، إِنْ كُنْتُمْ غَيْرًا
 عَلَى نِسَائِكُمْ، كِيسَرَى وَمَا جَمَعَا
 هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي تَبْقَى مَذَلَّتُكُمْ
 إِنْ طَارَ طَائِرُكُمْ يَوْمًا وَإِنْ وَقَعَا
 هُوَ الْفَنَاءُ الَّذِي يَجُتُّ أَضْلَاكُمْ
 فَمَنْ رَأَى مِثْلَ ذَا رَأْيَا وَمَنْ سَمِعَا
 فَقُلُّدُوا أَمْرَكُمْ، لَهُ دَرْكُكُمْ،
 رَحْبَ الدَّرَاعِ، بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِعَا
 لَا مُتَرَفَأَ إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ
 وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوءُهُ بِهِ خَشَعَا
 مُسَهَّدَ النَّوْمِ، تَغْنِيهِ أُمُورُكُمْ
 يَرُومُ فِيهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطَّلِعَا
 مَا انْفَكَ يَخْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ
 يَكُونُ مُتَّبِعَا يَوْمًا وَمُتَّبِعَا^(٣)

(١) الزماع: العزم.

(٢) يا قوم: منادى مَرَحَّم، أصله يا قومي وحذفت الياء للترخيم، الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ: كناية عن الدهر.

(٣) حَلَبُ الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ: إذا مرَّ به خَيْرٌ وَشَرٌّ، وَشِدَّةٌ وَرَخَاءٌ، وهو مجاز.

وَلَيْسَ يَشْفَلُهُ مَالٌ يُثْمَرُهُ
عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَنْفِي لَه الرُّفْعَا
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْرِ مَرِيرَتِهِ
مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ، لَا قَحْمًا وَلَا ضَرْعَا^(١)
كَمَالِكَ بِنِ قَتَّانٍ أَوْ كَصَاحِبِهِ
زَيْدِ الْقَنَّا يَوْمَ لَأَقَى الْحَارِثِينَ مَعَا
إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ:
دَمْتُ لِحَنْبِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعَا^(٢)
فَسَاوَرُوهُ فَأَلْفَوْهُ أَخَا عَلَلٍ
فِي الْحَرْبِ يَحْتَبِلُ الرُّثْبَالَ وَالسَّبْعَا^(٣)
عَبْلَ الدَّرَاعِ أَبِيًّا ذَا مُزَابِنَةٍ
فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا نَكْسًا وَلَا وَرْعَا^(٤)
مُسْتَنْجِدًا يَتَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ
لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرْعَا

(١) الشَّرُّ: قتلُ الحبلِ جهةَ اليسار، وهو أشدُّ فتله، والقحْمُ: الكبير السنُّ، والضرعُ: الضعيف.

(٢) دَمْتُ لِحَنْبِكَ قبلَ النومِ مضطجعاً، وفي رواية أخرى دَمْتُ لِنَفْسِكَ: وهذا مثَلُ جاء به لقيط: يضرب للاستعداد للنواب قبل حلولها، والتدميث: التلحين، والدمانة والدمث: اللين.

(٣) ساوروه: واثبوه، ويحتبل: يصيد، والرثبال: من أسماء الأسد وقيل هو من أسماء الذئب كذلك.

(٤) عبْلُ الدراعين: ضخمهما: والمُزَابِنَةُ: التدافع والمصادمة، والنكس: المقصر عن النجدة، والورع: الضعيف الجبان.

لَقَدْ بَدَّلْتُ لَكُمْ نُصْحِي بِلا دَخَلٍ
 فَاسْتَنْقِظُوا، إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا تَقَعَا^(١)
 هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ
 فَمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا
 بِمُقْلَتِي خَاذِلِ أَدْمَاءَ طَاعَ لَهَا
 نَبَتْ الرِّبَاضُ تُرْجِي وَسَطَهُ ذَرَعَا^(٢)
 وَوَضِحَ أَشْنَبُ الْأَثْيَابِ ذِي أُشْرِ
 كَالْأَقْحَوَانِ إِذَا مَا نُورُهُ لَمَعَا^(٣)
 إِنِّي أَرَاكُمْ وَأَرْضًا تُفْجَبُونَ بِهَا
 مَثَلُ السَّفِينَةِ تَغْشَى الْوَعْثَ وَالطَّبْعَا^(٤)
 وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَ الْأَمْنِ ضَاحِيَةً
 لَا تَجْمَعُونَ، وَهَذَا الْجَيْشُ قَدْ جَمَعَا
 يَسْعَى وَيَخْسِبُ أَنَّ الْمَالَ مُخْلِدُهُ
 إِذَا اسْتَفَادَ طَرِيفًا زَادَهُ طَمَعَا^(٥)
 فَاقْنُوا جِيَادَكُمْ وَأَخْمُوا ذِمَارَكُمْ
 وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ لَا تَسْتَشْعِرُوا الْجَزْعَا^(٦)

-
- (١) بلا دخل: بلا رية، أي قدّمتُ لكم نُصْحِي بوضوح.
 (٢) خِذَالُ أَدْمَاءَ: الظبية التي تخلفت عن القطيع، وترجي: تسوق برفق.
 (٣) أَشْنَبُ الْأَثْيَابِ: دقيقتها، والأشْر: الأسنانُ الحادة.
 (٤) الوعثُ: أرضٌ مسترخية رطبة، والطَّبْعُ: الصدأ الذي يكثرُ على السِّيفِ، والطَّيْعُ: تدنس العِزْصِ وتلَطُّعُهُ، وهو ما استعاره لقيط في البيت.
 (٥) الطَّرِيفُ: المال الجديد الحادث والنامي.
 (٦) اقنوا: اقتنوا؛ والافتناء هو شراء للنفس وليس للتجارة.

فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَىٰ ضِرٍّ بَدَارِكُمْ
فَقَدْ لَقِينْتُمْ بِأَمْرِ حَازِمٍ فَرَعَا^(١)
لَا تُلْهِكُمْ إِيَّاهُ، لَيْسَتْ لَكُمْ إِيَّاهُ
إِنَّ الْعَدُوَّ بِعَظَمٍ مِنْكُمْ فَرَعَا
لَا تُثْمِرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ إِنَّهُمْ
إِنْ يَظْهَرُوا يَخْتَوُوكُمْ وَالثَّلَاةَ مَعَا
هَئِهَاتَ لَا مَالَ مِنْ زَرْعٍ وَلَا إِيَّاهُ
يُزَجِّى لِعَابِرِكُمْ إِنْ أَنْفَكُمْ جُدِعَا
هَئِهَاتَ مَا زَالَتِ الْأَمْوَالُ مُذْ أَبَدٍ
لَأَهْلِيهَا إِنْ أَجِيبُوا مَرَّةً تَبَعَا
مَاذَا يُرَدُّ عَلَيْكُمْ عِزُّ أَوْلِيكُمْ
إِنْ ضَاعَ آخِرُهُ أَوْ ذَلَّ وَاتَّضَعَا
قُومُوا قِيَامًا عَلَىٰ أَمْشَاطٍ أَرْجَلِكُمْ
ثُمَّ افْرَعُوا، قَدْ يَنَالُ الْأَمْرُ مَنْ فَرَعَا
لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْتَ يَخْفِزُهُ
هَمْ، يَكَادُ حَشَاةُ يَخْطِمُ الضَّلْعَا^(٢)
يَا قَوْمِ إِنَّ لَكُمْ مِنْ إِزْثٍ أَوْلِيكُمْ
مَجْدًا قَدْ شَفَقْتُ أَنْ يَفْنَى وَيَنْقَطِعَا

(١) الضَّرُّ: هو ما يختص به الشخص لنفسه ويَضُرُّ به: يبيخل لِمَكَانِهِ مِنْهُ وَمَوْقِعِهِ عِنْدَهُ.

(٢) إِلَّا رَيْتَ ذَلِكَ: إِلَّا قَدَرَ ذَلِكَ.

الأسعر الجعفي

مَقْصُورَةُ الْخَيْلِ

هَذِهِ قَصِيدَةُ غَضَبٍ، لَمْ يُعْرِفْ لِشَاعِرِهَا سِوَاهَا مَا خَلَا بَعْضَ التُّنْفِ
وَالْأَبْيَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الْمُتَفَرِّقَةِ، حَتَّى أَنْ مَطْلَعَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ظَلَّ مَقْصُوصًا
وَحَائِرًا وَتَائِهًا وَقَدْ «خَفِيَ عَلَى النَّاسِ مُذْ دَهْرٍ دَهِيرٍ»^(١)، وَقَدْ انْفَرَدَ ابْنُ
رَشِيقٍ فِي «الْعُمْدَةِ» بِذِكْرِ مَطْلَعِهَا لِكُنْهٍ اكْتَفَى بِإِيرَادِ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْهُ. قَالَ
الْأَسْعَرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي هِجَاءِ قَوْمِهِ حَتَّى بَلَغَ بِهِ الْأَمْرُ أَنْ فَضَّلَ فَرَسَهُ عَلَى
أَهْلِهِ، وَلَا يَكَادُ يُضَاهِيهِ شَاعِرٌ فِي وَصْفِ الْخَيْلِ وَتَمْجِيدِهَا، وَكَانَ سَبَبُ
هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَنَّ الْأَسْعَرَ «وَأَسْمُهُ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي حَمْرَانَ الْجَعْفِيُّ وَهُوَ مِنْ
فُرْسَانَ الْجَاهِلِيَّةِ» فَقَدْ أَبَاهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَأَخَذَ أَعْمَامُهُ الدِّيَّةَ وَأَكْلَوْهَا،
وَبَاعُوا خَيْولَهُ، فَلَمَّا كَبِرَ الْأَسْعَرُ اتَّخَذَ الْخَيْلَ إِخْلَاءً، دُونَ الْأَهْلِ
وَالْأَصْدِقَاءِ. فَتَأَرَّ لَأَبِيهِ، وَاسْتَعَادَ خَيْولَهُ، وَكَتَبَ مَقْصُورَتَهُ وَ«وَوَاحِدَتَهُ»
النَّادِرَةَ هَذِهِ.

(١) تخريج مقصورة الأسعر الجعفي وواحدته: «مجلة التراث العربي» - دمشق العدد ٨٦

- ٨٧ (أغسطس) ٢٠٠٢ السنة الثانية والعشرون - قبل التام عامر الأحمد

هَلْ بَانَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَى فَاسْتَقَى وَلَقَدْ غَنَيْتَ بِحُبِّهَا فِيمَا مَضَى
بَلِّغْ أَبَا حُمْرَانَ أَنَّ عَشِيرَتِي نَاجُوا وَلِلنَّفَرِ الْمُنَاجِينَ التَّوَى^(١)
بَاعُوا جَوَادَهُمْ لِتَسْمَنَ أُمَّهُمْ وَلَكِنِّي يَبَيْتَ عَلَى فِرَاشِهِمْ فَتَى
عَلِجُ إِذَا مَا ابْتَزَّ عَنْهَا ثَوْبَهَا وَتَخَامَصْتُ قَالَتْ لَهُ: مَاذَا تَرَى^(٢)
لَكِنْ قَعِيدَةٌ بَيْتِنَا مَجْفُوءَةٌ بَادِ جَنَاجِنُ صَدْرِهَا وَلَهَا غِنَى^(٣)
تُقْفِي بِعَيْشَةِ أَهْلِهَا مَلْبُونَةٌ أَوْ جُرْشَعَا عَيْلِ الْمَحَازِمِ وَالشَّوَى^(٤)
مَنْ كَانَ كَارِهِ عَيْشِهِ فَلْيَأْتِنَا يَلْقَ الْمَنِيَّةُ أَوْ يَوْؤَبُ لَهُ غِنَى
وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَجَنُّبِي الرَّدَى أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدْرَ الْقَرَى^(٥)
رَاحُوا بِصَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتِافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَغْدُو بِهَا عَتِدٌ وَأَى^(٦)
نَهْدُ الْمَرَائِلِ لَا يَزَالُ زَمِيلُهُ فَوْقَ الرِّحَالِ مَا يُبَالِي مَا أَتَى^(٧)
أَمَّا إِذَا اسْتَذْبَرْتَهُ فَتَسْوِقُهُ رَجُلٌ قَمُوصُ الْوَقْعِ عَارِيَةُ النَّسَا^(٨)

(١) أبو حُمران: والد الشاعر، والتوى: الهلاك.

(٢) العِلْجُ: الشديد الغليظ، ابتز: انتزع بشدة، وتَخَامَصْتُ: أي امتنعت وتباعدت.

(٣) الجناجين: عظام الصدر.

(٤) فرسٌ ملبونة: تسقى اللبن، والجرشع: عظمة الصدر منتفخة الجنين، وعيل

المحازم: غليظ محزمها، والشوى القوائم

(٥) المندر: أسبجة الطين.

(٦) البصائر الأولى: التروس، والبصيرة الأخرى: الثار، العتد: فرس معدة للجري

والوأي: الفرس السريعة المقطرة الخلق.

(٧) المراكل: المكان الذي يركل فيه الفارسُ الفرسَ ليحضها على السير، والرحالة:

السرج.

(٨) القموص: قمصت الفرس إذا رفعت يديها وطرحتهما معاً وعجنت برجليها، قال

ابن قدامة في هذا البيت وأخويه التاليين في «نقد الشعر»: إن هذا الشاعر قد أتى =

أَمَّا إِذَا اسْتَفْرَضْتَهُ مْتَمَطِرًا فَتَقُولُ: هَذَا مِثْلُ سِرْحَانِ الْغَضَا^(١)
أَمَّا إِذَا اسْتَفْبَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ بَارَزَ يُكَفِّفُ أَنْ يَطِيرَ وَقَدْ رَأَى
إِنِّي وَجَدْتُ الْخَيْلَ عِزًّا ظَاهِرًا تُنَجِّي مِنَ الْغَمِّ وَيُكْشِفُنِ الدُّجَى
وَيَبْسُتُنِ بِالشُّغْرِ الْمَخُوفِ طَوَالِهَا وَيُثَبِّنُ لِلصُّغْلُوكِ جُمَّةَ ذِي الْغِنَى^(٢)
وَإِذَا رَأَيْتَ مُحَارِبًا وَمُسَالِمًا فَلْيَبْغِبْنِي عِنْدَ الْمُحَارِبِ مَنْ بَغَى
وَحْصَاصَةً الْجُفَيْيَ مَا صَاحَبْتَهُ لَا تَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قِيلَ انْقَضَى^(٣)
إِخْوَانُ صِدْقٍ مَا رَأَوْكَ بِغَبِطَةٍ فَإِنْ افْتَقَرْتَ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى
مَسْحُوا لِحَاهُمْ ثُمَّ قَالُوا: سَالِمُوا يَالْيَتَنِي فِي الْقَوْمِ إِذْ مَسَحُوا اللَّحَى^(٤)
وَكَتِيبَةً لَبَسَتْهَا بِكَتِيبَةٍ حَتَّى تَقُولَ سَرَانُهُمْ: هَذَا الْفَتَى
لَا يَسْتَكُونُ الْمَوْتَ غَيْرَ تَغْمُغٍ حَكَ الْجَمَالِ جُنُوبَهُنَّ مِنَ الشَّدَا^(٥)
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا كَأَصَابِعِ الْمَقْرُورِ أَقْمَى فَاضْطَلَى^(٦)

= بجميع الأقسام، فلم يدع قسماً من أقسام النُصْبَةِ التي ترى في الفرس إذا رُمي عليها إلا أتى به.

(١) ممتطرٌ: مسرعٌ، وتمدطرت الخيلُ: ذهبت مُسرعةً، والسرحان: الذئب، والغضا: شجر، وذئاب الغضا من أجبث الذئاب.

(٢) مخوفٌ: يُقال: هذا طريقٌ مخوفٌ إذا كان يُخَافُ فيه، ولا يُقال: مخيفٌ، لأن الطريق لا يُخيفُ، وإنما يُخَافُ قاطعُها، والجُمَّة: القوم الذين يطلبون الثار.
(٣) الخصاصة: الفقر.

(٤) مسحوا لِحَاهُمْ: علامة الصلح.

(٥) التغمغم: أصوات الفرسان في القتال، والشدا: دُباب الكلب يقع على الدواب فيؤذيها.

(٦) عوابسٌ: غَضَاب، والمقرور: البارد، وهو الذي أصابه القَر، وأقمى: جلس مُتسائلاً إلى ما وراءه، واصطلى: استندأ.

يَتَخَالِسُونَ نَفُوسَهُمْ بِنَوَافِدٍ فَكَأَنَّمَا عَصُ كَلِمَةً عَلَى الْحَصَى ^(١)
فَإِذَا شَدَدْتُ شَدَدْتُ غَيْرَ مُكَدِّبٍ وَإِذَا طَعَنْتُ كَسَرْتُ رُمْحِي أَوْ مَضَى
مِنْ وَلَدٍ أَوْدٍ عَارِضِي أَرْمَاحِهِمْ أَنَهَلْتُهُمْ بَاهَى الْمُبَاهِي وَانْتَمَى ^(٢)
يَا رَبِّ عَزَجَلَةٍ أَصَابُوا خَلَّةً دَابُّوا وَحَارَدَ لَيْلُهُمْ حَتَّى بَكَى ^(٣)
بَاتَتْ شَامِيَةُ الرِّيَّاحِ تَلْفُهُمْ حَتَّى أَتَوْنَا بَعْدَمَا سَقَطَ النَّدَى
فَنَهَضْتُ فِي الْبَرْكِ الْهَجُودِ وَفِي يَدَيِ لَذَنُ الْمَهْرَةِ ذُو كُعُوبٍ كَالثَّوَى ^(٤)
أَخَذَيْتُ رُمْحِي عَائِطًا مَمْكُورَةً كَوْمَاءَ أَطْرَافِ الرَّمَّاحِ لَهَا خَلَا ^(٥)
فَتَطَايَرَتْ عَنِّي وَقُمْتُ بِعَاثِرٍ صَدَقِ الْمَهْرَةِ ذُو كُعُوبٍ كَالثَّوَى ^(٦)
بَاتَتْ كِلَابُ الْحَيِّ تَسْنُحُ بَيْنَنَا يَأْكُلْنَ دَعْلَجَةً وَيَشْبَعُ مَنْ عَفَا ^(٧)
وَمِنْ اللَّيَالِي لَيْلَةٌ مَرْوُودَةٌ غَبْرَاءُ لَيْسَ لِمَنْ تَجَشَّمَهَا هُدَى ^(٨)
كَلَّفْتُ نَفْسِي حَدَّهَا وَمِرَاسَهَا وَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ بِهَا عَنَا
وَمُنَاهِبٍ أَقْصَدْتُ وَسَطَ جُمُوعِهِ وَعِشَارِ رَاعٍ قَدْ أَخَذْتُ فَمَا تَرَى
ظَلْتُ سَنَابِكُهَا عَلَى جُثَمَانِهِ يَلْعَبْنَ دُخْرُوجَ الْوَلِيدِ وَقَدْ قَضَى

(١) رماحٌ نوافدٌ: مواضعٌ مختبرات.

(٢) أودٌ: أودٌ بن صعب بن سعد العنيزة وهو جد الأوفى الأودي الشاعر.

(٣) العرجلة: الجماعة المشاة، وحارَد: غصب.

(٤) البرك: الإبل البروك، أو البركة، لذن المهرة: يقصد به الرمح الذي يهتز من لينة.

(٥) أخذيت: أعطيت، والعائط: الحائل، وهي الناقة التي بلغت في سنها الأولى ولم تحمل، الممكورة: مستديرة الساقين، الكوماء: عظمة السنام طويلة.

(٦) رمح عاتر: رمح مضطرب.

(٧) الدعجلة: الأكل بنهم.

(٨) مروودة: من الزود: وهو الفزع والدغر.

وَلَقَدْ ثَارَتْ دِمَاءُنَا مِنْ وَاتِرٍ فَالْيَوْمَ إِنْ كَانَ الْمُنُونُ قَدْ اشْتَقَى
بَانَ الْخَلِيْطُ وَلَمْ أَفَارِقْ عَنْ قَلِيْ نَسِي الْحَبِيْبِ وَقُلْ صَبَوْتُهُ الْقَلِي
وَالْهَمُّ مَا لَمْ تُغْضِهِ لِسَبِيْلِهِ لَيْسَ الْمَفَارِقُ يَا أُمَيْمَ كَمْ مِنْ نَأَى
أَمَلْتُ تَبَوُّاً فِي مَنَازِلِ ذُلِّهِ وَالْمَيْتُونَ شِرَارُ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى
أَخْبَاؤُهُمْ عَارٌ عَلَى مَوْتَاهُمْ وَمَتَى تُفَارِقُهُمْ تُفَارِقُ عَنْ قَلِي
وَإِذَا تُصَاحِبُهُمْ تُصَاحِبُ خَائَةً وَإِذَا عَوَى ذِيْبٌ بِصَاحِبِهِ عَوَى
لَا يَفْرَعُونَ إِلَى مَخَافَةٍ جَارِهِمْ أَمْ هَلْ لِحَنْفٍ رَاصِدٍ مِنْ مُتَنَائِي؟
هَلْ فِي السَّمَاءِ لِصَاعِدٍ مِنْ مُرْتَقَى سَيِّانٍ فِيهِ مَنْ تَصَفَّلَكَ وَافْتَنَى
لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ سَبِيْلِ وَاضِحٍ إِذْ لَا ذَلِيْلَ أَذُلٌ مِنْ وَادِي الثُّرَى
عَجَبًا عَجِبْتُ لِمَنْ يُدْنُسُ عِرْضَهُ وَالْعِرْضُ بَعْدَ ذَهَابِهِ لَا يُشْتَرَى
وَالثُّوبُ يَخْلُقُ ثُمَّ يُشْرَى غَيْرُهُ وَيَصُونُ حُلَّتُهُ يُوقِنُهَا الْأَدَى
إِلَّا رَوَاكِدَ بَيْنَهُنَّ خَصَاصَةً سَفَعَ الْمَنَاقِبِ كُلُّهُنَّ قَدْ اضْطَلَى^(١)
وَمُجَوِّفَاتٍ قَدْ عَلَا أَجْوَاَزَهَا أَسَارَ جُرْدٍ مُثْرَصَاتٍ كَالثُّوَى^(٢)

(١) الزواكِدُ: الأثافي مشتق من ثباتها، والخصاصة: الفتحة بين الأثافي، السفع: سواد على حمرة، أي تحولت سمرًا على حمرة.

(٢) المجوِّفات: المجوِّف من الدواب: الذي يصعد فيه البلق حتى يبلغ البطن. علا أجوازها: علا التجويف أو ساطها، وأسار: بقايا، والجرد: الخيل قصار الشعر، ومثْرصات: أي ملصقات ومتماسكات، والثوى: جمع نواة أي صلبة كنواة التمر.

الأفوه الأودي

الحياة ثوبٌ مُستعار

اسمهُ صَلاةُ بْنُ عَمْرٍو، وَسُمِّيَ بِالْأَفْوِهِ لَأَنَّهُ كَانَ غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ ظَاهِرَ
الْأَسْنَانِ. شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وَقَائِدَهُمْ وَشَاعِرَهُمْ، لَهُ شِعْرٌ
قَلِيلٌ. تُنْتَقَى قَصِيدَتُهُ هَذِهِ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى أَنَّهَا «وَاحِدَتُهُ» الَّتِي
لَا يَزِقُّنِي إِلَيْهَا سَائِرُ شِعْرِهِ، تَقَلَّ صَاحِبُ الْأَغَانِي عَنْ بَعْضِهِمْ: «الْأَفْوَهُ مِنْ
كِبَارِ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ» وَوَصَفَ ابْنُ قُتَيْبَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي «الشُّعْرِ
وَالشُّعَرَاءِ» بِأَنَّهَا «مِنْ جَيِّدِ شِعْرِ الْعَرَبِ» لِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ تَحْوِيلِ
التَّجَرِبَةِ الشَّخْصِيَّةِ الشُّعُورِيَّةِ إِلَى «أَمْثَالِ سَائِرَةِ» تُجَسِّدُ خِبْرَةَ حَيَاةٍ وَتُلْخِصُ
مَوْقِفًا إِزاءَ الْعَالَمِ الَّذِي وَجَدَ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ فِيهِ.

إِنْ تَرَى رَأْسِي فِيهِ قَرْعٌ وَشَوَاتِي خَلَّةٌ فِيهَا دَوَارٌ^(١)
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ لَوْنٍ وَاحِدٍ وَهِيَ لَوْنَانٍ وَفِي ذَاكَ إِخْتِبَارٌ
فُضْرُوفُ الدَّمْرِ فِي أَطْبَاقِهِ خِلْعَةٌ فِيهَا إِرْتِفَاعٌ وَإِنْجِدَاؤٌ

(١) القَرْعُ: شَعْرَاتٌ مَتَفَرِّقَةٌ فِي الرَّأْسِ، وَالشَّوَاةُ: جِلْدَةُ الرَّأْسِ.

بَيْنَمَا النَّاسُ عَلَىٰ عُلْبَائِهَا إِذْ هَوُوا فِي هُوَةٍ مِنْهَا فَعَارُوا
 إِنَّمَا نِغْمَةٌ قَوْمٍ مُنْعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارُ
 وَلَيْالِيهِ إِلَّا لَئْلَىٰ وَمِنَ الْمُدَّةِ تَخْتَلِيهَا وَشِفَارُ^(١)
 تَقَطَّعُ اللَّيْلَةُ مِنْهُ قُوَّةٌ وَكَمَا كَرِثَ عَلَيْهِ لَا تُغَارُ
 حَتَّمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أَنَّهُ ظَلَفٌ مَا نَالَ مِنَّا وَجُبَارُ^(٢)
 فَلَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَذْوَةٌ لَيْسَ عَنْهَا لِامْرِئٍ طَارَ مَطَارُ
 رِيَّشَتْ جُزْهُمُ نَبْلًا قَرَمَىٰ جُزْهُمَا مِنْهُنَّ فَوْقَ وَغِرَارُ^(٣)
 عَلَّمُوا الطَّنْفَنَ مَعْدًا فِي الْكُلَىٰ وَادْرَاعَ اللَّامِ فَالطَّرْفُ يَحَارُ^(٤)
 وَرَكُوبَ الْخَيْلِ تَعْدُو الْمَرَطَىٰ قَدْ عَلَاهَا نَجْدٌ فِيهِ إِخْمِرَارُ^(٥)
 يَا بَنِي هَاجِرَ سَاءَتْ خُطَّةٌ أَنْ تَرَوْمُوا النُّصْفَ مِنَّا وَنُجَارُ
 إِنْ يَجْلُ مُهْرِي فِيكُمْ جَوْلَةٌ فَعَلَيْهِ الْكَرُ فِيكُمْ وَالْغَوَارُ
 كَشَّهَابِ الْقَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ فَارِسٌ فِي كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارُ
 شَنْ مِنْ أَوْدِ عَلَيْكُمْ شَنَّةٌ إِنَّهُ يَخْمِي جَمَاهَا وَتَغَارُ
 فَارِسٌ صَفْدَتُهُ مَسْمُومَةٌ تَخْضِبُ الرُّمَحَ إِذَا طَارَ الْغُبَارُ^(٦)

(١) الإلأل: الجَرَابُ، والشِفَارُ: السَّكَاكِينُ.

(٢) الْجُبَارُ: الْهَذَرُ، يقال ذهب دُمُهُ جُبَاراً أَي هَذَرًا، وظلف: باطل، ويقال ذهب ظلفاً أَي مجاناً.

(٣) جُزْهُمُ: قَبِيلَةٌ مِنْ عَرَبِ الْيَمَنِ الْبَائِدَةِ، وَالْفَوْقُ: وَتَرُ السَّهْمِ، وَالْغِرَارُ: حَدُّ الرُّمَحِ وَالسَّيْفِ وَالسَّهْمِ.

(٤) اللَّامُ: جَمْعُ لَامَةٍ، وَهِيَ الدَّرْعُ.

(٥) المَرَطَى: نَوْعٌ مِنَ الْعَدُوِّ مَتَوَسِّطُ الشَّرْعَةِ، وَالنَّجْدُ: الْعَرَقُ.

(٦) الصَّفْدَةُ: الْقَنَاءَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ.

مُسْتَطِيرٌ لَيْسَ مِنْ جَهْلٍ وَهَلْ
يَخْلُمُ الْجَاهِلُ لِلْسِلْمِ وَلَا
نَحْنُ أَوْدٌ وَلَاوِدُ سُئِنَةٌ
سُئِنَةٌ أَوْرَتْنَاهَا مَذْجِجٌ
نَحْنُ قُذْنَا الْحَيْلَ حَتَّى انْقَطَعَتْ
كُلَّمَا سِرْنَا تَرَكْنَا مَنْزِلًا
وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا
جَخْفَلٌ أَوْرَقٌ فِيهِ هَبْوَةٌ
تَرَكَ النَّاسُ لَنَا أَكْتَأَفُهُمْ
مُلْكُنَا مُلْكٌ لَقَاحٌ أَوَّلٌ
وَلَقَدْ كُنْتُمْ حَدِيثًا زَمَعًا
نَحْنُ أَضْحَابُ شَبَا يَوْمَ شَبَا
عَنْكُمُ فِي الْأَرْضِ إِنَّا مَذْجِجٌ
لِأَخِي الْجِلْمِ عَلَى الْحَزْبِ وَقَارُ
يَقْرُ الْجِلْمُ إِذَا مَا الْقَوْمُ غَارُوا
شَرَفَ لَيْسَ لَنَا عَنْهُ قَصَارُ
قَبْلَ أَنْ يُنْسَبَ لِلنَّاسِ نِزَارُ
شُدُنُ الْأَفْلَاءِ عَنْهَا وَالْمِهَارُ^(١)
فِيهِ شَتَّى مِنْ سِبَاعِ الْأَرْضِ غَارُوا
رَأَيْ عَيْنٍ ثِقَّةً أَنْ سَتْمَارُ^(٢)
وَنُجُومٌ تَتَلَطَّى وَشَرَارُ^(٣)
وَتَوَلَّوْا لَا تَ لَمْ يُغْنِ الْفِرَارُ
وَأَبُونَا مِنْ بَنِي أَوْدٍ خِيَارُ
وَذُنَابُنِي حَيْثُ يَخْتَلُ الصَّغَارُ^(٤)
بِصِفَاحِ الْبَيْضِ فِيهِنَّ إِظْفَارُ^(٥)
وَرَوِيدَا يَفْضَحُ اللَّيْلَ النَّهَارُ

(١) شُدُنُ الْأَفْلَاءِ : ظبياء الفلوات .

(٢) سَتْمَارُ : مستجدٌ يُمِرَّتْهَا ، أي الطعام ، بمعنى أن الطير تتبع آثارنا لأنها مستجد القوت من جُثَثِ أعدائنا .

(٣) الهَبْوَةُ : الغبرة .

(٤) الصَّغَارُ : الذَّلَّ والضميم .

(٥) شَبَا : أرض باليمن وقعت فيها حربٌ بين أهل اليمن وبكر ، كما جاء في «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للأندلسي» .

عَبْدُ يَغُوثِ الْحَارِثِيِّ

لِسَانُ الْأَسِيرِ

شَاعِرُ جَاهِلِيٍّ أَسْرَتْهُ قَبِيلُهُ تَمِيمٌ فِي يَوْمِ الْكُلابِ الثَّانِي - وَالْكُلابُ :
اسْمُ وَادٍ وَفِيهِ كَانَ الْكُلابُ الْأَوَّلُ وَالْكُلابُ الثَّانِي وَهُمَا مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ
الْمَشْهُورَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ بِالْكُلابِ لَمَّا لَقُوا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ
فِي الْمَعَارِكِ - فَشَدُّوا لِسَانَهُ بِنِسْعَةٍ وَهِيَ سَيْرٌ جَلِيدِيٌّ ، يَسْتَغْمَلُ عِنَانًا
لِلْفَرَسِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَهْجُوهُمْ ، وَلَمْ يَفْكُوهُ إِلَّا فِي وَقْتِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ .

وَطَلَبُوا مِنْهُ ، بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَخْتَارَ كَيْفَ يُقْتَلُ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَطْلِقُوا لِسَانِي
حَتَّى أَذُمَّ قَوْمِي ، وَأُنْوَحَ عَلَى نَفْسِي ، وَاقْتُلُونِي قَتْلَةَ كَرِيمَةٍ بَأَنْ تَسْقُونِي
خَمْرًا صِرْفًا وَتَقْطَعُوا شَرَائِينَ يَدَيَّ قَانِزَفَ حَتَّى الْمَوْتِ .

قَالَ الْجَاحِظُ : مَا قَرَأْتُ فِي الشُّعْرِ كَشُعْرِ عَبْدِ يَغُوثِ بْنِ صَلَاءِ
الْحَارِثِيِّ ، وَطَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ ، وَهَذَبَةَ بْنِ الْخَشَرَمِ فَإِنَّ شِعْرَهُمْ فِي الْخَوْفِ
لَا يَقْصُرُ عَنْ شِعْرِهِمْ فِي الْأَمْنِ ، وَهَذَا قَلِيلٌ جَدًّا .

أَلَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بَيَا
وَمَا لَكُمْ فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَأَةَ نَفَعُهَا
 قَلِيلٌ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا^(١)
 قَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَنْتِ
 نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ، أَنْ لَا تَلَاقِيَا
 أَبَا كَرْبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا
 وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا^(٢)
 جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكُلَابِ مَلَأَةً
 صَرِيحَهُمُ وَالْآخَرِينَ الْمَوَالِيَا^(٣)
 وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتَنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً
 تَرَى خَلْفَهَا الْحَوْ الْجِيَادَ تَوَالِيَا^(٤)
 وَلَكِنِّي أَخِي ذِمَارَ أَبِيكُمْ
 وَكَانَ الرَّمَاخُ يَخْتَطِطْنَ الْمُحَامِيَا

(١) شِمَالِيَا: خلقي، وهي مُفْرَدَةٌ من: الشمائل.

(٢) أبو كرب والأيهمان وقيس: هؤلاء كانوا نداماه هناك قبل أسره، فذكرهم عند أسره وحن إليهم؛ وقد نُصبت الأسماء على «البدل من نداماي» وأبو كرب والأيهمان من اليمن، وقيس هو: ابن معد يكرب، أبو الأشعث بن قيس الكندي؛ ويروى أن قيساً هذا لَمَّا بلغه هذا البيت قال: لييك، وإن كنت قد أخرتني.

(٣) الصريح: الخالص والمحض، والموالي: الحلفاء المنضمون إليهم، والكُلابُ: اسمُ موضع الوقعة.

(٤) النهدة: التلّة، وكلُّ ما ارتفع يقال له نهد، والحو من الخيل: التي يَمِيلُ لونها إلى الخضرة «بمعنى السّواد» وتواليا: جَمْعُ تالية أي: إن فرسي لخفتها تسبق الحو فهي تتلو فرسي.

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ:
 أَمَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا عَنْ لِسَانِيَا^(١)
 أَمَشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكَتُمْ فَأَسْجَحُوا
 فَإِنْ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا^(٢)
 فَإِنْ تَفْتُلُونِي تَفْتُلُوا بِي سَبْدًا
 وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرُبُونِي بِمَالِيَا^(٣)
 أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعًا
 نَشِيدَ الرُّعَاءِ الْمُغْزِينَ الْمَتَالِيَا^(٤)
 وَتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ
 كَأَنْ لَمْ تَرِي قَبْلِي أَسِيرًا يَمَانِيَا^(٥)
 وَظَلَّ نِسَاءَ الْحَيِّ حَوْلِي رُكْدًا
 يُرَاوِدْنَ مِنِّي مَا تُرِيدُ نِسَائِيَا^(٦)

-
- (١) النِسْعَةُ: سير مضفور على شكل أعنة الخيل .
 (٢) أسجحوا: بمعنى سهلوا ويسروا، والبواء: السواء، أي: لم يكن أخوكم نظيراً لي فأكون بواء له .
 (٣) تحربوني: تسلبوني وَحَرَبَهُ: بمعنى أخذ ماله .
 (٤) الرُّعَاءُ: جَمْعُ رَاعٍ. وَالْمُغْزِبُ: الْمُتَنَحِّي بِإِبْلِهِ، وهو اسم فاعل من أعزب والمَتَالِي: الأبل التي تتلوها أبنائها، وقيل هي التي وَلَدَتْ من قبل، وفي بطونها أولاد جلد .
 (٥) عبشمية: نسبة إلى عبد شمس، وكان الذي أسر عبد يغوث، فتى أهوج من عبد شمس، ولما رآته أم الفتى في أسره وكان عظيم الجسد جميلاً سألتَهُ من أنت فأجابها: أنا سيّد القوم، فضحكك منه وقالت له: وكيف أسرك هذا الأهوج وإليها يشير في البيت .
 (٦) راودته عن نفسها: دعتهُ إِلَى إقامَةِ فِعْلِ الْجِنْسِ، جاء في سورة يوسف:

وَقَدْ عَلِمْتُ عِرْسِي مُلْبِكَةً أَتْنِي
 أَنَا اللَّيْتُ مَغْدُوءًا عَلَيَّ وَعَادِيَا^(١)
 وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمُغْمِلَ الْمَطِيِّ وَأَنْضِي حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيَا^(٢)
 وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامَ مَطِيئِنِي
 وَأُضْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا^(٣)
 وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمْسَهَا الْقَنَا
 لَبِيقًا بِنَضْرِيفِ الْقَنَاةِ بَنَانِيَا^(٤)
 قِيَا عَاصٍ فُكَّ الْقَبْدِ عَنِّي فَأَتْنِي
 صَبُورٌ عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ نَاكِبَا^(٥)
 وَعَادِيَّةِ سَوْمِ الْجَرَادِ وَزَعْنُهَا
 بِكَفِّي وَقَدْ أَنْحُوا إِلَيَّ الْعَوَالِيَا^(٦)
 كَأَنِّي لَمْ أَزَكِبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقُلْ
 لِحَيْلِي كُرِّي، نَفْسِي عَنْ رَجَالِيَا

= ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ تَزِيدُ فَنَهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ فجعل الفعل لها .

- (١) عرسي : امرأتي ، المرأة عرس الرجل ، وهو عرسها .
 (٢) الجزور : السمنية من الإبل الصالحة للطعام ، وطريق مغمل : واضح المسلك ، يريد
 انه كريم مع الضيف ، وبيته طريق سالكة للضيوف الراكبين على المطي .
 (٣) الشرب : الشاربون ، جمع شارب ، وأصدع : أشق والقينة : الجارية .
 (٤) لبيقاً : من اللبابة ، وهي حذاقة الرجل بما يعمل .
 (٥) ناكيا : من نكى بالعدو ، أي هزمه وانتصر عليه ، والحوادث ، النوائب والمصائب ،
 يريد هنا إنه كان يهزم تلك النوائب بالصبر .
 (٦) العادية : القوم الذين يعدون ، من العدو ، وسوم الجراد : انتشاره ، ووزعتها :
 كفتها ، وأنحوا إلي : مالوا علي ، والعوالي : قناة الرمح .

وَلَمْ أَشْبَأِ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلَ
لِأَيْسَارِ صِدْقِي: أَغْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا^(١)

(١) سبأ الخمر: اشتراه للشرب لا للبيع، والأيسار: الذين يضربون القداح، جمع ياسر، والزق: وهاء الخمر.

عَمْرُو بْنُ قَعَّاسٍ الْمُرَادِي

الْبَيْتُ الْمُسَافِرُ

تُعَرَّفُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِتَأْيِثَةِ عَمْرُو بْنِ قَعَّاسٍ الْمُرَادِيِّ، وَهُوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ لَمْ تَكْشِفِ الْمَصَادِرُ عَنْ قَصِيدَةٍ لَهُ سِوَى هَذِهِ التَّائِيَةِ، قَالَ عَنْهُ الْمَعْرِيُّ فِي رَسَائِلِهِ: «وَقَدْ زَعَمَتِ الرُّوَاةُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ قَعَّاسٍ سَكَرَ فَذَبَحَ ابْنَهُ وَلِذَلِكَ قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، وَيَسْتَشْهَدُونَ بِبَيْتِهِ»: وَلَحْمٍ لَمْ يَذُقْهُ النَّاسُ قَبْلِي، أَكَلْتُ عَلَى خَلَاءٍ وَانْتَقَيْتُ.

أَلَا يَا بَيْتُ بِالْعَلْيَاءِ بَيْتُ وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ
أَلَا يَا بَيْتُ أَهْلُكَ أَوْعَدُونِي كَأَنِّي كُلُّ ذَنْبِهِمْ جَنْبْتُ
إِذَا مَا فَأْتَنِي لَحْمٌ غَرِيضُ ضَرَبْتُ ذِرَاعَ بَكْرِي فَأِشْتَوَيْتُ
أَرْجُلُ لِمَنِّي وَأَجْرُ ذَيْلِي وَتَحْمِلُ شِكْمِي أَفْقُ كُمَيْتُ
وَسُودَاءِ الْمَحَاجِرِ إِلْفِ صَخِرِ ثَلَا حِظْنِي التَّطَلُّعَ قَدْ رَمَيْتُ
وَعُضْنٍ لَمْ تَنْلُهُ كَفُّ جَانِ مَدَدْتُ إِلَيْهِ كَفِّي فَاِجْتَلَيْتُ
وَتَأْمُورٍ هَرَقْتُ وَلَيْسَ خَمْرًا وَحَبَّةٍ غَيْرِ طَاحِنَةٍ قَضَيْتُ^(١)

(١) التامور: مهجة النفس.

وَبَرَكَ قَدْ أَثَرْتُ بِمَشْرِفِي
وَعَادِيَةِ لَهَا دَنْبٌ طَوِيلُ
أُتِبْتُ بِأَطْلِي فَيَكُونُ حَقًّا
مَتْنِ مَا يَأْتِنِي يَوْمِي يَجِدُنِي
وَكَمْ مِنْ لَأْتِمِ فِي الْخُمْرِ زَارِ
وَأَنَسَةِ حَدُوثٍ وَلَمْ أَدْنِهَا
فَلَمَّا أَنْ وَهَتْ قَرْنَتْ وَلَانَتْ
وَبَيْتِ لَيْسَ مِنْ شَعْرِ وَصُوفِ
وَبَيْتِ قَدْ أَتَيْتُ حَوَالِ بَيْتِ
وَجَمَاءَ الْمَرَافِقِ قَدْ دَعَنْتَنِي
وَجَارِيَةِ تُنَازِعُنِي رِدَائِي
نَقُولُ فَضَحْتَنِي وَرَأَى قَوْمِي
أَلَا بَكَرَ الْعَوَازِلُ فَاسْتَمَيْتُ
وَكُنْتُ إِذَا أَرَى زِقًا مَرِيضًا
أَمْشِي فِي سِرَاةِ بَنِي غَطِيفِ
وَعُضْنِ بَأْنَ مِنْ عِضِّهِ رَطِيبِ
وَمَاءِ لَيْسَ مِنْ عِدِّ رَوَاءِ
وَلَحْمِ لَمْ يَذُقْهُ النَّاسُ قَبْلِي
وَصَادِرَةِ مَعَا وَالْوَرْدُ شَتَّى
وَنَارِ أَوْقَدْتُ مِنْ غَيْرِ زَنْدِ
وَلَمْ أَدْبِرْ عَنِ الْأَدْنَيْنِ إِنِّي

إِذَا مَا زَلَّ عَنْ عُفْرِ رَمِيْتُ
رَدَدْتُ بِمُضْغَةٍ فَبِمَا اِسْتَهَيْتُ
وَحَقًّا غَيْرَ ذِي شَبِّهِ لَوْنْتُ
شَبِغْتُ مِنَ اللَّذَازَةِ وَاسْتَقْفَيْتُ
عَلَيَّ عَدَا يَلُومُ فَمَا اِرْعَوْنْتُ
فَأَعَجَبَنِي طَرَاوَةُ مَا حَدُوثُ
وَجَاءَتْ فِي الْجِدَاءِ كَمَا اِسْتَهَيْتُ
عَلَى ظَهْرِ الْمَطْبِئَةِ قَدْ بَتَيْتُ
وَبَيْتِ مَا أَحَاوَلُهُ أَتَيْتُ
لِتُدْخِلَنِي فَقُلْتُ لَهَا أَبَيْتُ
أَمَامَ الْحَيِّ لَيْسَ عَلَيَّ بَيْتُ
وَمَا عُذْرِي الْآنَ وَقَدْ زَنَيْتُ
وَهَلْ أَنَا خَالِدٌ إِمَّا صَحَوْتُ
يُنَاحُ عَلَيَّ جِنَازَتِهِ بَكَيْتُ
إِذَا مَا سَاءَ نَبِي أَمْرُ أَبَيْتُ
هَضَرْتُ إِلَيَّ مِنْهُ فَاجْتَنَيْتُ
وَلَا مَاءَ السَّمَاءِ قَدِ اِسْتَقْفَيْتُ
أَكَلْتُ عَلَى خَلَاءٍ وَانْتَقَيْتُ
عَلَى أَذْبَارِهَا أَصْلًا حَدُوثُ
أَثَرْتُ جَمِيعَهَا ثُمَّ اِضْطَلَيْتُ
نَأَيْتُ الْأَكْرَمُونَ وَمَا نَأَيْتُ

الْمُنْخَلُ الْيَشْكُرِي

أَحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي

شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مَشْهُورٌ بِوَسَامَتِهِ، كَانَ أَحَدَ نَدَامَى الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَدِّرِ، وَيَتَّهَمُ بِعِلَاقَةٍ مَعَ زَوْجَتِهِ الْمُتَجَرِّدَةِ، وَيَذْكُرُ صَاحِبُ الْأَغَانِي: أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ أَنَّ ابْنِي الثُّعْمَانِ مِنْهَا كَانَا مِنَ الْمُنْخَلِ، أوردَ ذَلِكَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ» وَثَنَّى عَلَيْهِ أَبُو الْفَرَجِ الْأصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ «الْأَغَانِي» وَهَتَاكَ قِصَّةٌ غَرِيبَةٌ بِهَذَا الشَّانِ تَتَعَلَّقُ بِالتَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّةِ وَقَصِيدَتِهِ الدَّلَالِيَّةِ فِي الْمُتَجَرِّدَةِ، رُبَّمَا نَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَةٍ مُقَارِنَةٍ مَعَ «وَاحِدَةٍ» الْمُنْخَلِ هَذِهِ.

إِنْ كُنْتُ عَاذِلْنِي فَيَسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَلَا تَحْزُونِي
لَا تَسْأَلِي عَنْ جُلِّ مَالِي وَأَسْأَلِي كَرَمِي وَخَيْرِي
وَقَوَارِسِ كَأَوَارِ حَرِّ النَّارِ، أَخْلَاسِ الذُّكُورِ^(١)
شَدُّوا دَوَابِرَ بِيضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ
وَأَسْتَلَامُوا وَتَلَبُّبُوا إِنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمُغِيرِ

(١) أحلاسُ الذكور: الذين يلازمون ظهورَ الخيل.

وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرَاتِ فَوَارِسَ مِثْلِ الضُّفُودِ
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ يَجْفَنَ بِالنُّعْمِ الْكَثِيرِ
تَزْفُلْنَ، فِي الْمِسْكِ الذِّكْيِ وَصَائِكَ كَدَمِ النُّجَيْرِ^(١)
يَفْكُفْنَ مِثْلَ أَسَاوِدِ التُّنُومِ لَمْ تُفَكِّفْ لِرُودِ^(٢)
أَفْرَزْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلِيكَ وَالْفَوَائِحِ بِالْمَعِيرِ
فَإِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ بِجَوَانِبِ الْبَيْتِ الْكَاسِيرِ
أَلْفَيْتَنِي هَشَّ الْيَدَيْنِ بَمَزِي قَدْحِي أَوْ شَجِيرِي^(٣)
وَنَهَى أَبُو أَفْعَى فَقُلْدَنِي أَبُو أَفْعَى جَرِيرِي
وَجَلَالَةِ خَطَاةٍ هَوَجَاءَ جَائِلَةِ الضُّفُودِ
تَغْدُو بِأَشْعَثَ قَذَوَهَى سِرْبَالُهُ بَاقِي الْمَسِيرِ
فَضْلًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ عُلْقَمَةُ بَنِّ صِيرِ
الْوَاهِبِ الْكُؤُمِ الصُّفَايَا وَالْأَوَانِسَ فِي الْخُدُودِ
يُضْفِيكَ حِينَ تَجِيئُهُ بِالْعُضْبِ وَالْحُلِيِّ الْكَثِيرِ
وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخَذِرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَزْفُلُ فِي الدُّمُقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْقَدِيرِ
وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفُّسَتْ كَتَنَفُّسِ الظُّبْيِ الْبَهِيرِ
فَدَنْتُ وَقَالَتْ: يَا مُنْخُلُ، مَا بِجَسْمِكَ مِنْ حَرُورِ

(١) دَمٌ صَالِكٌ: دَمٌ لَزِقٌ.

(٢) التَّنُومُ: شَجَرٌ يَكْثُرُ فِي الْبَادِيَةِ.

(٣) الْمَرِي: حَجَرٌ قَاسٍ يَسْتَعْمَلُ لِلْقَدْحِ.

مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّكَ فَأَهْدِنِي عَنِّي وَسِيرِي
وَأَحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي
يَا رَبِّ يَوْمَ لِّلْمُنْخَلِ قَدْلَهَا فِيهِ، قَصِيرِ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بِالصُّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ
وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بِالعَبْدِ الصُّحَّاحِ وَبِالْأَسِيرِ
وَشَرِبْتُ بِالْخَيْلِ الْإِنَاثِ وَبِالْمُطَهَّمَةِ الدُّكُورِ
فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَلَئِنِّي رَبُّ الْخَوَزْنَقِ وَالسُّدَيْرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَلَئِنِّي رَبُّ الشُّوْزَهَةِ وَالْبَمِيرِ
يَا هِنْدُ مَنْ لِمَتَيْمِ يَا هِنْدُ لِّلْعَانِي الْأَسِيرِ

المُفَضَّلُ النُّكْرِيُّ

الْمُنْصِفَةُ فِي الْحُبِّ وَالْحَرْبِ

هَذِهِ قَصِيدَةُ أَنْصَفَ بِهَا الشَّاعِرُ خُصُومَهُ فَأَنْصَفْتُهُ، فَهِيَ الْقَصِيدَةُ
الْوَحِيدَةُ لِصَاحِبِهَا «الْمُفَضَّلِ» لِكِنَّهَا مَنَحَتْهُ كِنِيَّةً جَدِيدَةً وَصَارَتْ لَهُ اسْمًا
جَدِيدًا يُعْرَفُ بِهِ، وَكَانَ مِنْ قَبْلُ يُعْرَفُ بِاسْمِهِ: عَامِرِ بْنِ مَعْشَرِ بْنِ
أَسْحَمَ. فَقَدْ ذَكَرَ النَّشَائِيُّ فِي «الْمَذَاكِرَةِ فِي الْقَابِ الشُّعَرَاءِ»: أَنَّهُ سُمِّيَ
بِالْمُفَضَّلِ لِقَوْلِهِ فِي بَيْتٍ مِنْ هَذِهِ «الْمُنْصِفَةِ».

فَأَبْكَيْنَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكُوا نِسَاءَ مَا يَسُوغُ لَهُنَّ رِنَقُ
تُعَدُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مُؤَسَّسَةً لِمَا يُعْرَفُ بِالْمُنْصِفَاتِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ
«وَهِيَ الْقَصَائِدُ الَّتِي تُقَالُ فِي الْحُرُوبِ فَتَنْصِفُ الْخُصُومَ» قَالَ الْخَالِدِيُّ
فِي «الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ»: ذَكَرَ الرُّوَاهُ أَنَّ مُنْصِفَاتِ الْعَرَبِ ثَلَاثَةٌ أَوَّلُهَا قَصِيدَةُ
الْمُفَضَّلِ النُّكْرِيِّ هَذِهِ، وَآيِدُهُمَا الْبُصْرِيُّ فِي حِمَاسَتِهِ. وَهُنَاكَ مَنْ يَرَى
أَنَّ الْمُهْلِيلَ بْنَ رَبِيعَةَ أَوَّلَ مَنْ «أَنْصَفَ» فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ. وَلَمْ يَرِدْ فِي
الْمَصَادِرِ الْقَدِيمَةِ وَسَائِرِ كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ قَصِيدَةُ أُخْرَى لِهَذَا الشَّاعِرِ
الْجَاهِلِيِّ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيزَتَنَا اسْتَقْلُوا فَنِيَّتُنَا وَنِيَّتُهُمْ فَرِيْقُ
قَدَمِعِي لَوْلُو سَلِسُ عُرَاهُ يَخْرُ عَلَى الْمَهَاوِي مَا يَلِيْقُ
عَدَتْ مَا رُمَتْ إِذْ شَحَطَتْ سُلَيْمَى وَأَنْتَ لِدِكْرِهَا طَرِبَ مَشُوْقُ
فَوَدَّعَهَا وَإِنْ كَأَنْتَ أَنْاءُ مُبْتَلَّةٌ لَهَا خَلَقُ أَنْيْقُ
تُلْهِي الْمَرْءَ بِالْحَدَثَانِ لَهَوَاً وَتَحْدِجُهُ كَمَا حُدِجَ الْمُطِيْقُ
فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتَ عَدَاةَ جِثْنَا بِبَطْنِ أَثَالِ ضَاحِيَةٍ نُسُوْقُ^(١)
فِدَاءٌ خَالَتَنِي لِبَنِي حَيِّي خُصُوصَا يَوْمَ كُسِ الْقَوْمِ رُوْقُ^(٢)
هُمْ صَبَرُوا وَصَبَرُهُمْ تَلِيدُ عَلَى الْعَرَاءِ إِذْ بَلَغَ الْمَضِيْقُ
وَهُمْ دَفَعُوا الْمَنِيَّةَ فَاِسْتَقْلَتْ دِرَاكَاً بَعْدَمَا كَادَتْ تَحِيْقُ
تَلَاقَيْنَا بِغَيْبَةِ ذِي طَرِيْفٍ وَبَغْضُهُمْ عَلَى بَغْضِ حَنِيْقُ^(٣)
فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرْدَاً وَجِثْنَا كَسِيلِ الْعِرْضِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيْقُ^(٤)
مَشِينَا شَطْرَهُمْ وَمَشُوا إِلَيْنَا وَقُلْنَا الْيَوْمَ مَا تُقْضَى الْحَقُوْقُ
رَمَيْنَا فِي وَجُوْهِهِمْ بِرِشْقٍ تَغْصُ بِهِ الْحَنَاجِرُ وَالْحُلُوْقُ
كَأَنَّ النَّبْلَ بَيْنَهُمْ جَرَادُ نُكْفِيهِ شَامِيَّةَ خَرِيْقُ^(٥)
وَيَسْلُ أَنْ تَرَى فِيهِمْ كَمِيَاً كَبَا لِيَدَيْنِهِ إِلَّا فِيهِ فُوْقُ^(٦)

(١) أَثَال: اسم جبل .

(٢) تقول العرب: في الحرب صار الأكس كالأزوق، أي يقبض شفته فتبدو أسنانه .

(٣) الحنق: شدة الاغتيال والغضب. أي جاء أحدهم ممتكاً غضباً على الآخر .

(٤) فَجَاؤُوا عَارِضًا بَرْدَاً: جاءوا في كثرتهم وتعجلهم كأنهم قطعة من السحاب فيها برد، والعرض: الوادي .

(٥) تسمي العرب ريح الشمال: الشامية . وريح الجنوب: اليمانية، وخريق: شديدة الهبوب .

(٦) الفوق: مواضع الوتر من السهام .

يَهْزُهُزُ صَعْدَةً جَرْدَاءَ فِيهَا سِنَانُ الْمَوْتِ أَوْ قَرْنُ مَجِيئِ^(١)
وَجَدْنَا السُّدْرَ خَوَّارًا ضَعِيفًا وَكَانَ التَّنْبُعُ مَنِيئُهُ وَثِيئُ
لَقَيْنَا الْجَهْمَ ثَعْلَبَةَ بَنِ سَيْرٍ أَضْرَبَ مَنْ يَجْمَعُ أَوْ يَسُوقُ
لَدَى الْأَعْلَامِ مِنْ تَلْعَاتِ طِفْلِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَضَجَّ بِهِ الْفُرُوقُ^(٢)
فَحَوَّطَ عَنْ بَنِي عَمْرُو بَنِ عَوْفٍ وَأَفْنَاءَ الْعُمُورِ بِهَا شَفِيقُ^(٣)
فَأَلْقَيْنَا الرُّمَاحَ وَكَانَ ضَرْبًا مَقْبِلَ الْهَامِ كُلُّ مَا يَلُوقُ
وَجَاوَزْنَا الْمَنُونِ بِغَيْرِ نَكْسٍ وَخَاطِي الْجِلْزِ ثَعْلَبُهُ دَمِيقُ^(٤)
كَأَنَّ هَزِيزَنَا يَوْمَ التَّقِينَا هَزِيزُ أَبَاءَةٍ فِيهَا حَرِيقُ^(٥)
بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ رِنَعٍ بَنَانُ فَنَى وَجُمُجْمَةٌ فَلِيقُ
وَكَمْ مِنْ سَيْدٍ مَنَا وَمِنْهُمْ بِذِي الطَّرْقَاءِ مَنْطِقُهُ شَهِيْقُ
بِكُلِّ مَجَالَةٍ غَادَرَتْ خِرْقًا مِنَ الْفَتْيَانِ مَبْسَمُهُ رَقِيقُ^(٦)
فَأَشْبَغْنَا السَّبَاعَ وَأَشْبَعُوهَا فَرَأَحَتْ كُلُّهَا تَيْقُ يَفُوقُ^(٧)
تَرَكْنَا الْعُرْجَ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ وَلِلْغُرَبَانِ مِنْ شِبَعٍ نَغِيقُ^(٨)

(١) الصَّعْدَةُ: قناة الرَّمَحِ الْمُسْتَوِيَّةُ، وَسِنَانُ مَجِيئٍ: حَادُّ الْمَلَمَسِ.

(٢) تَلْعَاتٌ: أَرْضٌ قَلِيلَةُ الارتفاع، وَتَلْعَاتِ طِفْلٍ: اسْمُ مَكَانٍ وَقَعَتْ فِيهِ الْمَعْرَكَةُ، وَأَضَجَّ بِهِ الْفُرُوقُ: ضَجَّ بِهِ الْخَوْفُ.

(٣) الْعُمُورُ: بَطْنٌ مِنْ بَطُونِ عَبْدِ الْقَيْسِ.

(٤) خَاطِي الْجِلْزِ: السُّنَانُ الْكَبِيرُ الْمَقْبُضُ، وَثَعْلَبُهُ دَمِيقٌ: أَدْخَلَ طَرَفَهُ حَتَّى آخَرَهُ.

(٥) الْإِبَاءَةُ: الْقَصَبَةُ.

(٦) مَجَالَةٌ: مُقَاتَلَةٌ.

(٧) التَّقِ الْمَمْتَلِئُ، وَتَفُوقٌ: تَكَادَ تَخْرُجُ لَشَدَّةِ امْتِلَائِهَا.

(٨) الْعُرْجُ: الْقُصْبَاعُ، النَّغِيقُ: صَوْتُ الْغُرَابِ، وَالْعَرَبُ تَفَرَّقُ بَيْنَ النَّغِيقِ وَالنَّعِيبِ، فَالنَّغِيقُ: صَوْتُ الْغُرَابِ بِخَيْرٍ، وَالنَّعِيبُ: صَوْتُهُ بِشَرٍّ.

فَأَبْكَينَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكَوْا نِسَاءَ مَا يَسُونُغُ لَهُنَّ رِنُقُ
يَجَاوِبِنَ النَّيَّاحَ بِكُلِّ فَجْرِ فَقَدْ صَحِلَتْ مِنَ النَّوْحِ الْحُلُوقُ^(١)
قَتَلْنَا الْحَارِثَ الْوَضَّاحَ مِنْهُمْ فَخَرَّ كَأَنَّ لِمَتَّهُ الْعُدُوقُ^(٢)
أَصَابَتْهُ رِمَاحُ بَنِي حَبِي فَخَرَّ كَأَنَّهُ سَيْفٌ دَلُوقُ^(٣)
وَقَدْ قَتَلُوا بِهِ مِنَّا غُلَامًا كَرِيمًا لَمْ تُؤْشِبْهُ الْعُرُوقُ^(٤)
وَسَائِلَةٌ بِثَغْلَبَةِ بْنِ سِيرٍ وَقَدْ أَوْدَتْ بِثَعْلَبَةِ الْعَلُوقُ^(٥)
وَأَفْلَتْنَا إِيْنُ قُرَّانٍ جَرِيضًا تَمُرُ بِهِ مُسَاعِفَةٌ حَرُوقُ^(٦)
تَشْقُ الْأَرْضَ شَائِلَةُ الذَّنَابِي وَهَادِيهَا كَأَنَّ جَذْعَ سَحُوقُ^(٧)
فَلَمَّا اسْتَيْقَنُوا بِالصَّبْرِ مِنَّا نُذْكَرَتِ الْعَشَائِرُ وَالْحَزِينُ^(٨)
فَأَبْقَيْنَا وَلَوْ شِئْنَا تَرَكْنَاهَا لُجَيْمًا لَا تَقُودُ وَلَا تَسُوقُ^(٩)
وَأَنَعَمْنَا وَأَبَاسْنَا عَلَيْهِمْ لَنَافِي كُلِّ أُنْيَاتٍ طَلِيْقُ

(١) صَحِلَتْ: بَحَت.

(٢) اللمة: فورة الرأس إذا كانت تصل الإذنين، والعدوق: عناقيد العنب أو التمر الصغيرة.

(٣) السيف الدلوق: الذي سقط من غمده دون أن يسيل.

(٤) لم تؤشبه العروق: الأصيل النسب، لم تتداخل فيه الأعراق، والأوشاب من الناس: الأوباش المتفرقون في الأصل.

(٥) العلوق: المنية.

(٦) أفلت جريضا: صار مشارفًا على الهلاك بما فيه من جروح.

(٧) شائلة الذنابي: رافعة ذيلها والسحوق: الطويلة، وهو وصف للناقة التي أفلتت بالجريح.

(٨) الحزيق: الجماعة.

(٩) بنو لجيم: بطن من بطون العرب.

الأسود بن يعفر

في الأرض المسدودة

كَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرُ شَاعِرًا فَخَلَا مِنْ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ أَعْمَى
لِهَذَا يَقُولُ فِي أَحَدِ أَشْطَرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ: «ضَرَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْأَسْدَادِ»
وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ شَاعِرًا جَوَابًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْمَسْدُودَةِ، وَيُكْثِرُ التَّنْقُلَ فِي
الْعَرَبِ وَيَجَاوِرُهُمْ، قَالَ ابْنُ سَلَامٍ فِي طَبَقَاتِهِ: لَهُ وَاحِدَةٌ رَائِعَةٌ طَوِيلَةٌ،
لَا حِقَّةٌ بِأَجُودِ الشُّعْرِ، لَوْ كَانَ شَفَعَهَا بِمِثْلِهَا قَدَّمْتَاهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ.
وَيَذْكُرُ صَاحِبُ الْأَغَانِي أَنَّ هَارُوتَ الرَّشِيدَ رَصَدَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِمَنْ
يَقْرَأُ لَهُ قَصِيدَةَ الْأَسْوَدِ كَامِلَةً.

نَامَ الْخَلِيٌّ وَمَا أَحْسُ رُقَادِي وَالْهَمُّ مُخْتَضِرٌ لَدَيَّ وَسَادِي
مِنْ غَيْرِ مَا سَقَمٍ وَلَكِنْ شَفَنِي هَمُّ أَرَاهُ قَدْ أَصَابَ فُؤَادِي
وَمِنَ الْحَوَادِثِ، لَا أَبَا لِكَ، أَتَنِي ضَرَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْأَسْدَادِ
لَا أَهْتَدِي فِيهَا لِمَوْضِعِ تَلْعَةٍ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَبَيْنَ أَرْضِ مُرَادِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذِي نَبَأْتَنِي أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلَاهُمَا يُؤْفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي^(١)
 لَنْ يَرْضِيَا مِنِّي وَفَاءَ رَهِيْنَةٍ مِنْ دُونِ نَفْسِي، طَارِفِي وَتِلَادِي
 مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَيَعْدُ إِيَادِي
 أَهْلِ الْخَوْزَنَةِ وَالسُّدَيْرِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
 أَرْضاً تَخَيَّرَهَا لِذَا رِ ابْنِهِمْ كَغَبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ
 جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
 وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
 نَزَلُوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ بِجِيءٍ مِنْ أَطْوَادِ
 ابْنِ الَّذِينَ بَنَوْا فَطَالَ بِنَاؤُهُمْ وَتَمَتُّعُوا بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ
 فَإِذَا النُّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَنَفَادِ
 فِي آلِ عَزَفٍ لَوْ بَغَيْتِ لِي الْأَسَى لَوَجَدْتُ فِيهِمْ لِسُوءَةِ الْعُدَادِ
 مَا بَعْدَ زَيْدٍ فِي فَتَاةٍ فُرُقُوا قَتْلًا وَنَفْيًا بَعْدَ حُسْنِ تَادِي^(٢)
 فَتَخَيَّرُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ لِعِزِّهِمْ وَيَزِيدُ رَافِدُهُمْ عَلَى الرُّفَادِ
 إِمَّا تَرَيْنِي قَدْ بَلَيْتُ وَغَاضَنِي مَا نَبِلَ مِنْ بَصْرِي وَمَنْ أَجْلَادِي
 وَعَصَيْتُ أَصْحَابَ الصُّبَابَةِ وَالصُّبَا وَأَطَعْتُ عَاذِلَتِي وَلَآنَ قِيَادِي
 فَلَقْدَ أَرَوْحُ عَلَى التُّجَارِ مُرَجَّلَا مَذَلًا بِمَالِي لِبِنَا أَجْيَادِي^(٣)

(١) المخارم: جَمْعُ مخرم، وهي الفجاج أو الطرق الضيقة في الجبل، وقوله:

«يؤفي»: يقال: أوفيت على الجبل، إذا علوت عليه، قال: ومعنى «يرقبان»:

يتظران، و«سوادِي»: شخصي.

(٢) بَعْدَ حَسْنِ تَادِي: بعد القوة، وحسن العُدَّة.

(٣) مَذَلُّ بِمَالِي: مسترخ فيه، لَيِّنٌ: سهل، والأجباد: جَمْعُ جيد، وهو العنق.

وَلَقَدْ لَهَوْتُ وَلِلشَّيْبَابِ لَذَاذَةٌ بِسَلَاةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ عَوَادِي
 مِنْ خُمُرٍ ذِي نَظْفٍ أَغْنَى مُنْطَقِي وَافَى بِهَا لِدَرَاهِمِ الْأَسْجَادِ^(١)
 يَسْعَى بِهَا ذُو ثَوَمَتَيْنِ مُشْمَرٌ قَنَأَتْ أَنَامِلُهُ مِنَ الْفِرْصَادِ^(٢)
 وَالْبَيْضُ تَمْشِي كَالْبُدُورِ وَكَالدُمَى وَنَوَاعِمُ يَمْشِينَ بِالْأَرْفَادِ
 وَالْبَيْضُ يَزِمِينَ الْقُلُوبَ كَأَنَّهَا أَذْجِي بَيْنَ صَرِيْمَةٍ وَجَمَادِ^(٣)
 يَنْطِقْنَ مَعْرُوفاً وَهُنَّ نَوَاعِمُ بَيْضُ الْوُجُوهِ رَقِيقَةُ الْأَكْبَادِ
 يَنْطِقْنَ مَخْفُوضِ الْحَدِيثِ تَهَامِساً قَبْلَنْ مَا حَاوَلْنَ غَيْرَ تَنَادِي
 وَلَقَدْ غَدَوْتُ لِعَازِبٍ مُتَنَادِرٍ أَخَوَى الْمَذَانِبِ مُؤْنِقِ الرُّوَادِ^(٤)
 جَادَتْ سَوَارِيهَ وَأَزَرَ نَبْتَهُ نُفَاً مِنَ الصُّفْرَاءِ وَالزِّيَادِ^(٥)
 بِالْجَوْفِ الْأَمْرَاتِ حَوْلَ مُرَامِرٍ قَبْضَارِجٍ فَقْصِيْمَةِ الطَّرَادِ^(٦)
 بِمُشْمَرٍ عَتِيدٍ جَهِيْزٍ شَدُهُ قَبْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهْنَانِ جَوَادِ^(٧)
 يَشْوِي لَنَا الْوَحْدَ الْمُدِلَ بِحَضْرِهِ بِشَرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِزَادِ^(٨)

(١) دراهمُ الأسجاد: دراهم الملوك كان الناس يسجدون لها بخضوع لأن فيها صور الملوك، ومنها أسجاد كسرى.

(٢) التومتان: القرطان، وقنأت: تخضبت، والفرصاد: التوت الأحمر.

(٣) الأدحي: الحفرة التي تبيض فيه النعامة والصريمة مكان محاط بالأشجار صعب الدخول.

(٤) العازب: العشب في الأرض البعيدة، والمذانب: السيول في الأرض المنخفضة.

(٥) النفا: قطع من الزرع المتفرق، والصفراء والزياد: نوعان من العشب.

(٦) الأمرات: الأراضي العالية، وهي العلامات، ومرامر: ناعم، وضارج: أرض سبخة تشرف على الكوفة، وقصيمة الطراد: أرض ينبت بها شجر الغضا.

(٧) العتد: الجواد الجاهز للجري، وفرس قيد الأوابد: التي تطارد الوحش وتقيدها.

(٨) المدل: الجريء: وشريح: بالتساوي، وبين الشَّدِّ والإِزَادِ: يعدو بين القوة والرويلة.

وَلَقَدْ تَلَوْتُمُ الظُّلُمَيْنِ بِجَنَسَرَةٍ أَجْدٍ مُهَاجِرَةٍ السُّقَابِ جَمَادٍ^(١)
عَيْرَانَةٍ سَدِّ الرَّبِيعِ خَصَاصَهَا مَا يَسْتَبِينُ بِهَا مَقِيلُ قُرَادٍ^(٢)
فَإِذَا وَذَلِكَ لَأَمْهَاءَ لَذِكْرِهِ وَالذَّهْرُ يُغْقِبُ صَالِحاً بِفَسَادٍ^(٣)

(١) ناقة أجد: التي تكون متصلة فقرات الظهر كأنها عظم واحد، والسقاب: الناقة التي تلد الذكور.

(٢) العيرانة: النشيطة، والخصاص: الفتحات الصغيرة بين الأصابع.

(٣) المهاء: الطراوة.

كُفُّ الْغَنَوِيِّ

لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ قَالَهَا كُفُّ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ أَبِي الْمُغَوَّارِ وَيُقَالُ أَنَّ اسْمَهُ شَيْبُ، قُتِلَ فِي حَرْبٍ ذِي قَارَ.

وَبِرْغَمِ أَنَّ شَاعِرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنْ مُحْضَرِّمِي الْعَصْرَيْنِ الْجَاهِلِيَّ وَصَدْرِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّ قَصِيدَتَهُ تَمْتَازُ بِلُغَةٍ ذَاتِ خُصُوصِيَّةٍ، وَمَعَانٍ وَجُودِيَّةٍ، وَأَسْئَلَةُ عَمِيقَةٍ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْخُلُودِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا تَحَدَّثَ عَنْهُ الْقَالِي مِنْ زِيَادَاتٍ قَدْ تَكُونُ الْحَقَّتْ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْفَرِيدَةِ، إِلَّا أَنَّهَا تُبَنِّتُ فِي جَمْهَرَاتِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ مِنْ بَيْنِ سَنَعٍ مِنْ عُيُونِ الْمَرَاثِي فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ. وَقَدَّمَهَا قُدَّامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ فِي «نَقْدِ الشُّعْرِ» عَلَى سَائِرِ الْمَرَاثِي لِمَا تَتَّصِفُ بِهِ مِنْ قُوَّةِ التَّائِينَ.

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَبْسِيِّ: قَدْ شَبِتَ بَعْدَنَا،

وَكُلُّ أَمْرٍ بَعْدَ الشَّبَابِ يَشِيبُ

وَمَا الشَّيْبُ إِلَّا غَائِبٌ كَانَ جَائِيًا،

وَمَا الْقَوْلُ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُصِيبٌ

تَقُولُ سُلَيْمَى : مَا لِحَسَمِكَ شَاحِبًا ،
كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابُ طَبِيبُ^(١)
فَقُلْتُ ، وَلَمْ أَهَيِّ الْجَوَابَ ، وَلَمْ أَبْخُ ،
وَلِلدَّهْرِ فِي الصُّمِّ الصَّلَابِ نَصِيبُ^(٢) :
تَتَابَعَ أَخْدَاثُ تَخَرَّمَنْ إِخْوَتِي ،
فَشَيَّبَنْ رَأْسِي ، وَالْخُطُوبُ تُشِيبُ^(٣)
لَعَمْرِي لَيْسَ كَأَنَّ أَصَابَتْ مَنِيَّةُ
أَخِي ، وَالْمَنَائِيَا لِلرُّجَالِ شَعُوبُ^(٤)
لَقَدْ كَانَ أَمَّا جِلْمُهُ فَمُرُوحُ
عَلَيْهِ ، وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبُ^(٥)
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ ،
وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ الْلِقَاءِ هَيُوبُ^(٦)
أَخِي كَانَ يَكْفِينِي ، وَكَانَ يُعِينُنِي
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ ، حِينَ تَنْوُبُ^(٧)

(١) يحملك : من الحمية أي : منعك .

(٢) الوعي : خلاف البيان ، وقد عَيَّ في منطقه : إذا لم يهتد لقصده وحجته ، والصم الصلاب : الصخور .

(٣) تخرَّمَنْ أخوتي : ذهبت بهم ، تقول العرب عن الرجل إذا مات : خرَّمته الخوارم .

(٤) الشعبة : الفرقة تقول : شَعَبَتْهُمُ الْمَنِيَّةُ : فَرَّقَتْهُمْ ، ومنه سُمِّيَتِ الْمَنِيَّةُ الشُّعُوبُ ، لأنها تُفَرِّقُ .

(٥) المُرُوحُ : القريبُ والمُقيَّمُ ، والعزيبُ : البعيدُ والغائبُ .

(٦) الْوَرَعُ : الخوف .

(٧) النَّائِبَةُ : المصيبة ، وتنوب : تصيب .

حَلِيمٌ، إِذَا مَا سُورَةُ الْجَهْلِ أُنْزِلَتْ
 حُبَى الشَّيْبِ، لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبٌ^(١)
 هُوَ الْعَسَلُ الْمَادِي لِينًا وَنَائِلًا،
 وَلَيْتُ، إِذَا يَلْقَى الْمُدَّةَ، غَضُوبٌ^(٢)
 هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا
 وَمَاذَا يَوْدُ اللَّيْلِ حِينَ يَوُوبُ
 هَوَتْ أُمُّهُ، مَاذَا تَضْمَنَ قَبْرُهُ
 مِنَ الْمَجْدِ، وَالْمَعْرِوفِ حِينَ يُثِيبُ
 أَخُو سَنَوَاتٍ يَغْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ
 سَيَكْثُرُ مَا فِي قَدْرِهِ، وَيَطِيبُ
 حَبِيبٌ إِلَى الرُّؤَايَا غَشِيَانُ بَيْتِهِ،
 جَمِيلُ الْمُحْيَا، شَبٌّ وَهُوَ أَدِيبٌ^(٣)
 كَأَنَّ بُيُوتَ الْحَيِّ، مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا،
 بَسَابِسُ قَفَرٍ، مَا بِهِنَّ عَرِيبٌ^(٤)
 كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ يَكُنْ،
 إِذَا ابْتَدَرَ الْخَيْلَ الرُّجَالُ، يَخِيبُ

-
- (١) سَوْرَةُ الْجَهْلِ: جِدَّتُهُ، حُبَى: مِنَ الْاِخْتِيَاءِ: أَيِ الْاِخْتِفَاءِ، تَقُولُ الْعَرَبُ اخْتَبَى يَتَوَبَّه
 اخْتِيَاءً: يَقْصِدُ أَنْ الشَّيْبَ يَكُونَ مَخْفِيًا أَوْ مُتَدَثِّرًا تَحْتَ الْعِمَامَةِ، فَتُطْلَقُ سُورَةُ الْجَهْلِ.
 (٢) الْمَادِي: الْعَسَلُ الْأَبْيَضُ وَهُوَ أَجْوَادُ الْأَنْوَاعِ.
 (٣) غَشِيَانُ: غَاشِيَةُ الرَّجُلِ، مَنْ يَتَابَهُ مِنْ زَوَارِهِ وَالْأَصْدِقَاءِ.
 (٤) الْبَسَابِسُ: جَمْعُ بَسَبَسَ: الْفَضَاءُ الْقَفَرُ الْوَاسِعُ، وَالْعَرِيبُ: أَحَدٌ، تَقُولُ مَا فِي الدَّارِ
 مِنْ عَرِيبٍ: أَيِ مَا بِهَا مِنْ أَحَدٍ.

إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي الرُّجَالِ عَنِ الْعُلَى،
 تَنَاوَلَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ، كَسُوبُ
 جَمُوعٍ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،
 إِذَا حَالَ مَكْرُوءٌ بِهِنْ ذَهُوبٌ^(١)
 مُنِيَتْ، مُفِيدُ الْفَائِدَاتِ، مُعَاوِدُ
 لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ، نَدُوبُ
 وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى
 فَلَمْ يَسْتَجِبْ عِنْدَ النَّدَاءِ مُجِيبُ
 فَقُلْتُ: اذْغُ أُخْرَى وَارْزُقِ الصَّوْتِ ثَانِيًا،
 لَعَلَّ أَبَا الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ
 يُجِيبُكَ، كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ، إِنَّهُ
 بِأَمْتَالِهَا رَخْبُ الذَّرَاعِ، أَرِيبُ^(٢)
 أَنَاكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى،
 كَذَلِكَ، قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ
 كَأَن لَمْ يَكُنْ يَدْعُو السَّوَابِحَ مَرَّةً
 بِلَدِّي لَجَبٍ، تَحْتَ الرَّمَاكِ، مُهَيْبُ^(٣)

(١) الْخِلَالُ: الْخِصَالُ: مُفْرَدُهَا خَلَّةٌ: خَصْلَةٌ.

(٢) الْأَرِيبُ: الْعَاقِلُ.

(٣) السَّوَابِحُ: الْخِيُولُ، وَاللَّجَبُ: الصَّوْتُ وَالصَّيَاحُ وَالْجَلْبَةُ عِنْدَ الْحَرْبِ، وَقِيلَ: هُوَ

ارْتِفَاعُ الْأَصْوَاتِ وَاخْتِلَاطُهَا؛ قَالَ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سَلْمَى:

هَزِيرٌ إِذَا حَلَّ الْحَلِيفَانِ حَوْلَهُ، بِلَدِّي لَجَبٌ لَجَائِهِ وَضَوَائِلُهُ

فَتَنَى أَرْحَى كَانَ يَهْتَرُ لِلنَّدَى،
كَمَا اهْتَرُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ قَضِيبُ^(١)
فَتَنَى لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجَسْمِهِ،
إِذَا نَالَ خَلَاتِ الْكِرَامِ، شُحُوبُ
إِذَا مَا تَرَاهُ الرُّجَالُ تَحْفُظُوا،
فَلَمْ تَنْطِقِ الْعَوْرَاءُ، وَهُوَ قَرِيبُ^(٢)
عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ الرُّجَالُ خِلَالَهُ،
وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا قِسْمَةٌ وَنَصِيبُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى، فَيُجِيبُهُ
سَرِيعاً، وَيَدْعُوهُ النَّدَى، فَيُجِيبُ
غَيَاثُ لِعَانٍ لَمْ يَجْذَمَنْ يُعِينُهُ،
وَمُخْتَبِطُ يَغْشَى الدُّخَانَ غَرِيبُ^(٣)
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحْبُ فَنَاقُهُ،
إِلَى سَنَدٍ، لَمْ تَخْنَجْنَهُ غُيُوبُ^(٤)

-
- (١) ماء الحديد: السيف، والعرب تقول: ماء الحديد، إذا قصدوا الخالص منه.
(٢) لَمْ تَنْطِقِ العوراء: أي لا تذكر العورات بوجوده، أراد أن ينزه مجالسه عن الغيبة ومسامحه عن النيمة.
(٣) العاني: الأسير، والمختبط: الذي يطلب المعونة أو المساعدة دون أن تكون له آصرة أو قرابة مِمَّنْ يطلب منه.
(٤) عَظِيمُ رماد النار: جواد، والعرب تمدح الرجل بِعَظَمِ الرَّمَادِ، لأنه لا يعْظُمُ إِلَّا رَمَادُ من كان يَطْعَمًا لِلْأَصْيَافِ، وتحتجته: تحتجزه وتغيبه، والغيوب: الوديان أو المنخفضات.

يَبِيتُ النَّدَى، يَا أُمَّ عَمْرٍو، ضَجِيعَهُ،
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُنْقَبَاتِ حَلُوبٌ^(١)
حَلِيمٌ، إِذَا مَا الْجِلْمُ رَزَنَ أَهْلَهُ،
مَعَ الْجِلْمِ، فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ، مَهِيْبٌ
مُعْنَى، إِذَا عَادَى الرَّجَالُ عَدَاوَةً،
بَعِيدٌ، إِذَا عَادَى الرَّجَالُ، قَرِيبٌ^(٢)
عَنِينَا بِخَيْرِ حَقْبَةٍ ثُمَّ جَلَحَتْ
عَلَيْنَا النَّبِي كُلُّ الْأَنَامِ تُصِيبُ^(٣)
فَأَبَقْتُ قَلِيلًا ذَاهِبًا، وَتَجَهَّزْتُ
لَاخِرَ، وَالرَّاجِي الْخُلُودَ كَذُوبٌ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَاقِي الْحَيِّ مِنْهُمْ
إِلَى أَجَلٍ، أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبٌ
لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ، وَقَدْ أَتَى
عَلَى يَوْمِهِ عِلْقٌ عَلَيَّ حَبِيبٌ^(٤)
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً
إِلَيَّ، فَقَدْ عَادَتْ لَهْنٌ ذُّنُوبٌ

(١) الْمُنْقَبَاتُ: الإبل والخيول ذَوَاتُ النَّفْيِ، وَهُوَ الشَّحْمُ؛ يُقَالُ: نَاقَةٌ مُنْقَبَةٌ، إِذَا كَانَتْ سَمِيَةً، وَحَلُوبٌ: كَثِيرَةُ الْحَلِيبِ.

(٢) الْمُعْنَى: الْفَحْلُ إِذَا هَاجَ بِفَعْلٍ حَبَسَهُ عَنْ أَثْنَاهُ.

(٣) جَلَحَتْ: ذَهَبَتْ بِنَا وَأَكَلْتَنَا فَأَفْرَطَتْ، وَيُقَالُ: جَلَحَتْ الْأَرْضُ إِذَا أَكَلَتْ مَا فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ، وَيُقَالُ: جَلَحَ الشَّجَرُ فَهُوَ مُجْلَحٌ: إِذَا ذَهَبَ الشِّتَاءُ بِنُصُونِهِ وَوَرَقِهِ.

(٤) الْعِلْقُ: الشَّيْءُ النَّفِيسُ.

جَمَعْنَ النُّوَى حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الْهَوَى ،
 صَدَعْنَ الْعَصَا ، حَتَّى الْقَنَاةُ شُعُوبُ
 أَتَى دُونَ حُلُو الْعَيْشِ حَتَّى أَمْرُهُ
 نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبٌ ^(١)
 كَأَنَّ أَبَا الْمِغْوَارِ لَمْ يُوفِ مَرْقَبًا ؛
 إِذَا رَأَى الْقَوْمَ الْفُرَاةَ رَقِيبٌ ^(٢)
 وَلَمْ يَذْغُ فَنِيَانًا كِرَامًا لِمَيْسِرِ ،
 إِذَا اشْتَدَّ مِنْ رِيحِ الشَّتَاءِ هُبُوبُ
 فَإِنَّ غَابَ مِنْهُمْ غَائِبٌ ، أَوْ تَخَاذَلُوا ،
 كَفَى ذَاكَ مِنْهُمْ ، وَالْجَنَابُ خَصِيبٌ ^(٣)
 كَأَنَّ أَبَا الْمِغْوَارِ ذَا الْمَجْدِ لَمْ تَجِبْ
 بِهِ الْبَيْدَ عَيْسُ بِالْقَلَاةِ ، خُبُوبُ
 عَلَاةٌ ، تَرَى فِيهَا ، إِذَا حُطَّ رَحْلُهَا ،
 نُذُوبًا عَلَى آثَارِهِنَّ نُذُوبٌ ^(٤)
 وَإِنِّي لَبَاكِيهِ ، وَإِنِّي لَصَادِقُ
 عَلَيْهِ ، وَبَغْضُ الْقَائِلِينَ كَذُوبُ

(١) النكوبُ : المصائب .

(٢) المَرْقَبُ : المكان العالي للمراقبة . ورباً : صار لهم ربيبة ، والزَّيْبَةُ : الطليعة .

(٣) رجلٌ خصيبُ الجنب : كثيرُ الخير .

(٤) العلَاةُ : الناقة .

فَتَنَى الْحَرْبَ إِنْ جَارَتْ تَرَاهُ سِمَامَهَا
وَفِي السُّلَمِ مَفْضَالُ الْيَدَيْنِ وَهُوبٌ^(١)
وَحَدَّثْتُمَانِي إِنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقُرَى،
فَكَيْفَ؟ وَهَذَا مَضْبَةٌ وَكَثِيبٌ
وَمَاءُ سَمَاءٍ، كَانَ غَيْرَ مَحْمَةٍ
بِبَرِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جُنُوبٌ^(٢)
وَمَنْزِلُهُ فِي دَارِ صِدْقٍ وَغَبْطَةٍ،
وَمَا أَقْتَالَ مِنْ حَكَمٍ عَلَيْهِ طَبِيبٌ^(٣)
فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ،
بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النُّفُوسُ تَطِيبُ
بِعَيْنِي أَوْ يُمْنَى يَدَيَّ، وَقِيلَ لِي:
هُوَ الْغَانِمُ الْجَذْلَانُ يَوْمَ يَوْوَبُ
لَعَمْرُكُمَا إِنَّ الْبَعِيدَ لَمَّا مَضَى،
وَلِأَنَّ الَّذِي يَأْتِي غَدًا لَقَرِيبُ
وَلَأَنِّي وَتَأْمِيلِي لِقَاءَ مُؤْمَلٍ،
وَقَدْ شَعَبْتُهُ عَنْ لِقَائِي شُعُوبٌ^(٤)

(١) سِمَامُهَا: سُمُّهَا.

(٢) أَرْضٌ مَحْمَةٌ: تَكْثُرُ فِيهَا الْحُمَّى وَالْوَبَاءُ.

(٣) أَقْتَالَ عَلَيْهِ: تَحَكَّمَ عَلَيْهِ.

(٤) شَعَبْتُهُ: فَرَقْتُهُ.

كَذَّاعِي هُدَيْلٍ لَا يَزَالُ مُكَلِّفًا،
وَلَيْسَ لَهُ، حَتَّى الْمَمَاتِ، مُجِيبٌ
سَقَى كُلَّ ذِكْرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤْمِلٍ،
عَلَى النَّأْيِ، زَحَافُ السَّحَابِ سَكُوبٌ
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَّ شَارِقٌ
وَمَا إِهْتَرَزُ مِنْ فَرْقِ الْأَرَاكِ قَضِيبٌ^(١)

(١) ذُرٌّ: طلع.

بَيْهَسُ بْنُ عَبْدِ الْحَارِثِ

فِي مُلْتَقَى الرِّيحِ

هَذِهِ قَصِيدَةُ لِشَاعِرٍ مَغْمُورٍ، حَتَّى فِي الْعَصْرِ الَّذِي يَتَّعِي إِلَيْهِ، فَقَدْ قَالَ عَنْهُ الْأَمِيدِيُّ، أَنَّهُ شَاعِرٌ قَدِيمٌ، أَظُنُّهُ جَاهِلِيًّا لَكِنَّهُ يَقُولُ إِنَّ أَشْعَارَهُ مِنْ الْجِيَادِ.

وَيَتَّضِحُ مِنْ قَصِيدَةِ بَيْهَسَ، إِنَّهُ شَاعِرٌ جَوَّابٌ لَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ، يَسْتَوْجِبِي صُورَهُ الشُّغْرِيَّةَ الْبَارِعَةَ مِنْ تِلْكَ الرُّحَلَاتِ فِي الصَّحَرَاءِ وَتَحْتَ السَّحَابِ وَفِي مُرَاقَبَةِ قَطَارَاتِ الْجِمَالِ، وَالتَّيْرَانِ الْوَحْشِيَّةِ، مَمْرُوجَةً بِشَيْءٍ وَفِيرٍ مِنَ الْهُمُومِ الذَّائِيَةِ الَّتِي تَجِدُ مِرَاتَهَا فِي تِلْكَ الصُّورِ الْمُتَدَاخِلَةِ.

لِمَنِ الدِّيَارُ عَرَفَتْهَا وَكَأَنَّهَا
لَيْسَتْ غَدَاةٌ أَتَيْتَهَا بِدِيَارِ
دَرَسَتْ مَعَارِفَهَا رِيَّاحٌ تَلْتَقِي
وَتَقَادِمٌ مِنْهَا وَضَرْبُ قِطَارِ^(١)

(١) القطار: قطيع الإبل عندما تكون الواحد بعد الآخر في نسق واحد.

حَتَّى كَأَنَّ تُرَابَهَا مِنْ غَيْرِهَا
 يُفْدَى لَهَا مِنْ رَمْلَةٍ وَصَحَارِي
 دَارِ لِعَزَّةٍ أَوْ جَمِيلَةٍ إِذْ هُمَا
 تَرْبَانِ فِي عَضْرِ مِنَ الْأَغْصَارِ^(١)
 فَهَلِ الشَّبَابُ زَمَانَ عَزَّةٍ رَاجِعُ
 أَمْ هَلِ مَشْيَبُكَ نَاطِرُ الْإِهْتَارِ
 بَكَرَ الْمَشْيَبُ عَلَى الشَّبَابِ فَشَانُهُ
 شَيْنَ الْمُحَرَّقِ فِي الْحَدِيدِ بِنَارِ^(٢)
 حَتَّى كَأَنَّ حَدِيثَهُ وَقْدِيئِمُهُ
 لَيْلٌ تَلْفَعُ مُذْبِرًا بِنَهَارِ
 لَيْسَ الْخِضَابُ لِكُنَى يُوَارِي شَيْبَهُ
 وَالشَّيْبُ لَا حَسَنٌ وَلَا مُتَوَارِي
 طَرَقَتْكَ عَزَّةٌ مِنْ مَزَارٍ نَازِحِ
 يَا حُبَّ زَائِرَةٍ وَيُفْدَ مَزَارِ
 وَاللَّيْلُ مُخْتَلِطُ النُّجُومِ كَأَنَّهُ
 سَاجٌ يُرَوِّقُ سَابِغَ الْأَسْتَارِ^(٣)
 فَتَهَجَّتْ أَنْظَرُ مَا الْخَبَالُ فَرَاعَنِي
 وَالْعَيْنُ غَيْرُ حَدِيثَةٍ بِغِرَارِ^(٤)

(١) التربان: ما كانا في عمر واحدة.

(٢) الشَّيْنُ: القبيح يقال: شَانُهُ يَشِينُهُ، وَالْمَشَايِرُ: المعايير والمقاييس. قال لبيد بن ربيعة:

بَشْبَنُ صَحَاخِ الْبَيْدِ كُلِّ فَيْبَةٍ بِعَوْدِ السَّرَاءِ عِنْدَ بَابٍ مُعْجَبٍ

(٣) السَّاجِي: السَّاكِنُ وَالِدَائِمُ، وَالسَّابِغُ: الطَّوِيلُ وَالْمُمْتَدُّ.

(٤) تَهَجَّتْ: تَبَيَّنَتْ، وَالْغِرَارُ: التَّوَمُّ الْقَلِيلُ.

فَرَأَى لَهَا شَبَهًا وَلَيْسَ بِعَارِفٍ
 جَدًّا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنِ الْإِنْكَارِ
 كَالْجَنِّ تَغْرِفُهَا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ
 وَتَكَادُ تُنْكِرُهَا مَعَ الْإِذْثَارِ
 بِبَسَاطٍ أَغْبَرَ مِنْ تَهَامَةٍ غَائِرِ
 مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ مُشْرِفِ الْأَقْطَارِ^(١)
 مِنْهُ مَطَالِعُ يُهْتَدَى بِمَنَارِهَا
 وَمَطَالِبُ لَيْسَتْ بِذَاتِ مَنَارِ
 كَلَفْتُ نَفْسِي قَطْعَهَا بِشِمْلَةٍ
 حُفِرَتْ مِحَالُ فَقَارِهَا بِفَقَارِ^(٢)
 سُرْحِ الْبَيْدِينَ إِذَا الْجِدَابُ تَرَقُّصَتْ
 وَإِذَا رُفَعْنَ رَفِيعَةَ الْمِشْوَارِ^(٣)

(١) بطن نخلة: اسم قرية، جاء في معجم البلدان: بطن نخلة: بناحية مكة، وهو

المكان الذي كانت العامة في ذلك الوقت تسميه: «بستان ابن عامر».

(٢) الحفر: حثك الشيء من خلفه سَوْقًا وَغَيْرَ سَوْقٍ، قال الأعشى:

لَهَا تُجْدَانِ يَخْفِزَانِ مَحَالَةً وَذَأِيًّا، كُبَيْثَانِ الصُّوَى، مُتَلَاكِحَا

والفقار: عظام الظهر.

(٣) سُرْحُ الْبَيْدِينَ: سريعة منبسطة وسهلة في عدوها. والحداب: الأرض الغليظة

المرتفعة. وترقُصت: إذا ارتفعت وانخفضت، وقد أَرْقَصَ الْقَوْمُ فِي سَيْرِهِمْ: إِذَا

كَانُوا يَرْتَفِعُونَ وَيُنْخَفِضُونَ؛ قال الراعي النميري:

وَإِذَا تَرَقُّصَتِ الْمَفَارِزُ هَادَرَتْ رَبِلْدًا يُبْغِلُ خَلْفَهَا تَبْنِيْلًا

حَلَبَ الْهَجِيرُ بِلَبِنَتِهَا وَمَقَذُهَا
 حَتَّى كَأَنَّ بِهَا عَيْنِيَّةَ قَارٍ^(١)
 تَغْلُو النَّجَادَ كَأَنَّهَا مُتَوَجِّسٌ
 طَيَّانٌ بَيْنَ خَمَائِلٍ وَصَحَارِي^(٢)
 بَاتَتْ تُصَفِّقُهُ جُنُوبٌ رَنَدَةٌ
 وَقَطَارٌ سَارِيَّةٍ بِغَيْرِ شِمَارٍ^(٣)
 تَطْوِي شَوَاكِلَهُ وَتَخْنُو صُلْبَهُ
 كَأَنَّ قَلْبَ غَوْدِرٍ فِي مَرَادٍ عِدَارِي^(٤)
 بَاتَ الْمُكَلَّبُ فِي مَرَاوِدِ حَوْلِهِ
 يَسْعَى بِطَاوِيَةِ الْبُطُونِ ضَوَارٍ^(٥)

(١) الهجيرُ: منتصف النهار عند اشتداد الحر، والليت: عروق العنق، والمقذ: ما بين الأذنين من خلف. وقيل: هو منتهى الشعر من القفا، والعَيْنِيَّة: بولٌ فيه أخلاطٌ تُظَلَّى به الإبل الجَرْبَى، والتَّعْنَى: التَّطَلَّى بها.
 قال الشاعر:

عندي فواء الأجرِبِ المُعْبِدِ عَيْنِيَّةٌ مِنْ قَطِيرَانٍ مُنْقَدِ

(٢) النَّجَادُ: الأراضي المرتفعة، وطَيَّانٌ: خميص البطن. وقد طوي من الجوع فهو طيان.

(٣) الرَّيْدَةُ: الرِّيحُ اللَّيْنَةُ الهبوب، والسَّارِيَّة من السَّحَاب: التي تجيء ليلاً، قَالَ النَّابِغَةُ: سَرَتْ عَلَيْهِ، من الجَوَزَاءِ، سَارِيَّةٌ تُزْجِي الشَّمَالَ عَلَيْهِ جَابِدَ الْبَرْدِ
 وقيل: السَّارِيَّةُ الْمَطْرَةُ التي تكون بالليل؛ قال الشاعر:

وَأَبْنُكَ تَغْشَى السَّارِيَّاتِ، ولم تكن لِعَرْكَبِ إِذَا الرُّسُومُ الْمَوْعِدَا

(٤) الشَّوَاكِلُ: الشعاب وهذا طريق ذو شَوَاكِلَ: تشعب منه طرق أخرى وتحنو: تنعطف، وأَرْضُ مَرْدَاءٍ، وجمعها مَرَادٍ: وهي رمال لا يُبْتِثُ فيها، والعِدَارِي: العِدَارَى.

(٥) الْمُكَلَّبُ: إذا استبدَّ به العطش والجوع، فكلَّب.

رُزِقِ الْمُيُونِ إِذَا رَأَيْنَ طَرِيْدَةً
 طَمَحَتْ سَوَالِفُهُنَّ فِي الْأَوْتَارِ^(١)
 حَتَّى غَدَا لَهَقُ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ
 لَثِقُ الْقَمِيصِ مِنَ الْمَشَامِلِ عَارِي^(٢)
 وَغَدَوْنَ فِي قِطْعِ الْغُبَارِ عَوَاصِفًا
 دُزْمًا حَوَاجِبُهَا مِنَ الْإِضْرَارِ^(٣)
 حَتَّى إِذَا مَا كِدْنَ أَوْ خَالَطْنَهُ
 وَطَمِعْنَ بِالْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ
 هَرَّ الْقَنَاءَ لَهُنَّ ثُمَّ أَعَادَهَا
 طَوْرَيْنِ بَيْنَ مُعَانِقِي وَمَمَارِي
 ثُمَّ اسْتَمَرَّ وَفِئْنَ غَيْرَ جَوَازِلِ
 يَخْلِطْنَ بَيْنَ حَشَارِجٍ وَهَرَارِ^(٤)

(١) طَمَحَتْ: ارتفعت واشترأت، والسوالف: جَمْعُ سالفه، وهي مُقَدِّمَةُ الْعُنُقِ،
 والأوتار: جَمْعُ وَتِيرَةٍ وهي حلقة فيها خَرَزَةٌ تُعَلَّقُ فِي أَعْنَاقِ الْحَيَوَانَاتِ وهي
 كَالْتَمِيمَةِ، يريد وصف تحفُّز حيوانات الصيد لفريستها وارتفاع حلقة العنق لشدة
 تحفُّزها للصيد.

(٢) لَهَقُ السَّرَاةِ: الأبيض من أعلى الظهر، ولثق القميص: مبتلّه، ويقال إن اللثق:
 اختلاط الماء بالطين، والمشامل: ما يُلْتَحَفُ بِهِ مِنْ كَسَاءٍ. ولعله هنا يصف الثور
 الوحشي، ومطاردة الكلاب له.

(٣) دُزْمًا حَوَاجِبُهَا: تقاربت حواجبها.

(٤) حَشَارِجُ: جَمْعُ مِنَ الْحَشَرَجَةِ: وهي تردُّدُ الصَّوْتِ وَالتَّنَفُّسِ فِي الْحَلْقِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
 يُخْرِجَ وَقِيلَ هُوَ تردُّدُ الصَّوْتِ فِي الصَّدْرِ. وَهَرَّ الْكَلْبُ: إِذَا نَبَحَ بِشِدَّةٍ وَكَثُرَ عَنْ
 أَنْيَابِهِ.

يَلْحَسْنَ مِنْ صَفْحَاتِهِنَّ نَوَافِدًا
 لَحَسَ الرَوَائِمَ سَلَخَهَا الْأَبْكَارُ^(١)
 وَافْتَرَزُ يَمْعُجٌ فِي الْجِهَادِ كَأَنَّهُ
 قُرْنَسَةٌ طَوِيَتْ عَلَى أَنْبَارٍ^(٢)
 فَعَلَا الْخَمْبِلَةَ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ
 نَفْضَ الْمَقَامِسِ رَأْسَهُ الْمَهَارِ^(٣)
 يَزْعُ الدُّبَابَ بِحَشْرَةٍ مَطْوِيَةٍ
 وَيَحْرَتِي مُتَوَجِّسٍ بَرِبَارٍ^(٤)
 خَمِطَ الضُّحَى وَكَأَنَّ رِنَحَ كِنَاسِهِ
 مِنْ رَغْبَةِ الْقَفَرَاتِ رِنَحُ صَوَارٍ^(٥)
 وَثَمَتْ مَذَارِعُهُ بِوَشْمٍ بَيْنَهَا
 خَلَلٌ كَمَا وَشَمَ الْأَكْفُ عَذَارِي^(٦)

(١) صفحاتهن: جلودهن، والنوافذ: مكان الطعنة أو الجرح، والروائم: النوق إذا عطف على وليدها.

(٢) يمعج: يسرع في السير، والقرناسة: صنارة المغزل، والأنبار: جمع نير، وهو نسيج الخيوط إذا اجتمعت.

(٣) القمّس: القمص في الماء: وكلُّ شَيْءٍ يُنْعَطُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ يَزْتَفِعُ فَقَدْ قَمَسَ، والمهارة: السابح، وكلمة ماهر، تطلق في الأصل على من يجيد السباحة على وجه التخصص.

(٤) يزع: يكف، والحشرة: الإذن الصغيرة: وقيل هي باطن الإذن، ويحزتيه: بفتح الحاء أدنيه، والبربار: كلُّ صوتٍ يشبه الهمدانيان والجلبة.

(٥) الخمط: من النبات والشجر إذا كانت فيه حموضة وقيل هو المريز، والضحي هنا: الغدأ، لأنه يتناول في الضحي، وكناسه: بيته ومأواه، والصوار: قطع البقر.

(٦) المذارع: القوائم.

دَوَقْلَةُ الْمُنْبِجِي

اليتيمة

مِنْ أَكْثَرِ الْقَصَائِدِ الَّتِي نُسِجَتْ حَوْلَهَا الْأَقَاوِيلُ الَّتِي قَارَبَتْ أَحْيَانًا حُدُودَ
الْأَسَاطِيرِ، خَاصَّةً مَا كَتَبَهُ عَنْهَا جُرْجِي زَيْدَانُ فِي مَجَلَّةِ الْهِلَالِ. أَوَّلُ مَنْ
حَقَّقَهَا أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوخِي الْمُعْتَزَلِي «٣٥٥ - ٤٧٧ هِجْرِيَّةً» بِاسْمِ
«الْقَصِيدَةِ الْيَتِيمَةِ» وَكَانَتْ تُنْسَبُ لِسَبْعَةِ عَشَرَ شَاعِرًا بَيْنَهُمْ ذُو الرُّمَّةِ
وَالْعَكَّوكُ وَأَبُو الشَّيْصِ. وَنُقِلَ عَنِ الْمُبَرِّدِ قَوْلُهُ: هَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ عَلَّتِي
وَهِيَ «الْيَتِيمَةُ» وَنَسَبَهَا ابْنُ أَبِي عَوْنٍ فِي كِتَابِ «التَّشْبِيهَاتِ» لِشَاعِرٍ
مَجْهُولٍ هُوَ زَوْبَعَةُ الْمُلْحَى، وَجَعَلَهَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ مِنَ
الْمُعَلَّقَاتِ الضَّائِعَةِ، وَأَشَارَ مُحَمَّدُ شُكْرِي الْأَلُوسِيُّ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ
«بُلُوغِ الْأَرَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْعَرَبِ» إِلَى أَنَّهَا مِنَ الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ،
دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى شَاعِرِهَا مُكْتَفِيًا بِالْقَوْلِ: وَفِي الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ كَثِيرٌ مِنْ
أَوْصَافِ النِّسَاءِ الْمَحْمُودَةِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ قَصِيدَةٍ. وَأُورِدَ
وَاحِدًا وَعِشْرِينَ بَيِّنًا مِنْهَا، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ وَلَهَا قِصَّةٌ
مَشْهُورَةٌ، وَيَبْدُو أَنَّ جُرْجِي زَيْدَانَ اعْتَمَدَ عَلَى هَذِهِ الْفَرَضِيَّةِ لِتَخْرِيجِ

أَسْطُورَةٌ غَرِيبَةٌ عَنِ الْقَصِيدَةِ وَقَصِيدَتِهَا، ثُمَّ صَارَتْ تُنْسَبُ لِشَاعِرٍ آخَرَ مَعْمُورٍ
اسْمُهُ «دَوْقَلَةُ الْمَنْبِجِي» وَاخْتَلَفَ أَيْضاً عَلَى اسْمِهِ أَيْضاً فَهُوَ «سَعِيدُ بْنُ
حَمِيدِ الْمَنْبِجِي» فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ وَهُوَ «أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ» فِي مَصَادِرٍ
أُخْرَى وَيُعْرَفُ كَذَلِكَ بِدَوْقَلَةِ الْعَبْدِ.

هَلْ بِالطَّلُولِ لِسَائِلِ رَدٍّ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكَلُّمِ عَهْدٍ؟
أَبْلَى الْجَدِيدِ جَدِيدَ مَعْهَدِهَا فَكَأَنَّمَا هُوَ رَنْطَةٌ جُرْدٌ^(١)
مِنْ طُولِ مَا تَبْكِي الْغُيُومُ عَلَى عَرَصَاتِهَا وَيُقْفِئُهُ الرُّعْدُ^(٢)
وَتِلْكَ سَارِيَّةٌ وَغَادِيَّةٌ وَيَكْرُ نَخْسٌ خَلْفَهُ سَغْدُ^(٣)
تَلْقَى شَامِيَّةٌ يَمَانِيَّةً لَهُمَا بِمَوْرِ ثُرَابِهَا سَرْدُ^(٤)
فَكَسَتْ بَوَاطِنُهَا ظُلُومَ أَهْرِهَا نَوْرًا كَأَنَّ زُهَاءَهُ بُرْدُ
يَغْدُو فَيَسْدِي نَسْجَهُ حَدَبٌ وَأَهْيَ الْغُرَى وَيُنِيرُهُ عَهْدُ
فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا أَلَمَهَا وَتَقَانِقُ رُبْدُ^(٥)
وَمُكْدَمٌ فِي عَانَةِ جَزْأَتٍ حَتَّى يُهَيِّجَ شَاوَهَا الْوَرْدُ^(٦)

(١) الرِيْطَةُ: المَلَاءَةُ، والجُرْدُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا لَا يَنْبُتُ، وَهَذَا اسْتِخْدَامٌ مَجَازِيٌّ، فَقَدْ
اعْتَادَتِ الْعَرَبُ أَنْ تَطْلُقَ عَلَى الْبَلَى مَجَازَاتٍ عَدَّةً مِنْ قَبِيلِ: ثَوْبٌ هَدْمٌ، وَرِيْطَةٌ
جُرْدٌ، وَكِتَابٌ دَارِسٌ، وَرَسْمٌ طَامِسٌ.

(٢) عَرَصَاتُهَا: سَاحَاتُهَا.

(٣) الثُّلُثُ الْغُيُومُ: إِذَا دَامَتْ طَوِيلًا، وَالسَّارِيَّةُ وَالْغَادِيَّةُ: الْغُيُومُ، وَمِنْهَا الشَّامِيَّةُ وَالْيَمَانِيَّةُ
بِحَسَبِ جِهَةِ قُدُومِهَا.

(٤) مَارَ: إِذَا تَحَرَّكَ حَرَكَةً تَمُوجِيَّةً فِيهَا ذَهَابٌ وَإِيَابٌ: تَشَبَهَ حَرَكَةُ اهْتِرَازِ سَعْفِ النَّخِيلِ

(٥) التَّقَانِيقُ الرُّبْدُ: التُّعَامُ ذَاتِ السَّوَادِ الْمُخْتَلَطِ.

(٦) مَكْدَمٌ: مَتَمَسْكُ الْفَتْلِ وَالنَّسِيجِ، وَالشَّأُو: الْغَايَةُ، أَوْ خِلَاصَةُ الشَّيْءِ.

فَتَبَادَرَتْ دِرَرُ الشُّوونِ عَلَى خَدْنِي كَمَا يَتَنَائِرُ الْعِقْدُ
أَوْ نَضْحُ عَزَلَاءِ الشَّعِيبِ وَقَدْ رَاحَ الْعَسِيفُ بِمِلْئِهَا يَغْدُو^(١)
لَهْفِي عَلَى دَعْدٍ وَمَا حَفَلْتُ إِلَّا بِحَرَ تَلْهُفِي دَعْدُ
بَيْضَاءُ قَدْ لَبَسَ الْأَدِيمُ أَدِيمَ الْحُسْنِ فَهُوَ لِجِلْدِهَا جِلْدُ^(٢)
وَزَيْنُ قُودَيْهَا إِذَا حَسَرَتْ ضَافِي الْعَدَائِرِ فَأَحْمَ جَعْدُ
فَالْوَجْهَ مِثْلُ الصُّبْحِ مَبْيَضُ وَالْفَرْعَ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسَوَّدُ
ضِدَانٍ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسْنَا وَالضُّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضُّدُّ
وَجَبِينُهَا صَلَتْ وَحَاجِبُهَا شَخْتُ الْمَخْطُ أَرْجُ مُنْتَدُ^(٣)
وَكَأَنَّهَا وَسْنَى إِذَا نَظَرْتُ أَوْ مُدْنَفٌ لَمَّا يُفْقُ بَعْدُ^(٤)
بِفُتُورِ عَيْنٍ مَا بِهَا رَمْدُ وَبِهَا تُدَاوِي الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
وَتُرِيكَ عِزْنِيًّا بِهِ شَمَمٌ وَتُرِيكَ خَدًّا لَوْنُهُ الْوَرْدُ
وَتُجِيلُ مِسْوَاكَ الْأَرَاكِ عَلَى رَتْلِ كَأَنَّ رُضَابَهُ الشَّهْدُ^(٥)
وَالْجِيدُ مِنْهَا جَائِزَةٌ تَغْطُو إِذَا طَالَهَا الْمَرْدُ^(٦)
وَكَأَنَّمَا سُقِيَتْ تَرَائِبُهَا وَالنَّخْرُ مَاءُ الْحُسْنِ إِذْ تَبْدُو^(٧)

(١) الشَّعِيبُ: القرية البالية، والعسيف: الأجير أو العبد المستهان به.

(٢) الْأَدِيمُ: الْبَشْرَةُ، وَيُسَمَّى وَجْهُ الْأَرْضِ: أَدِيمُهَا.

(٣) الصَّلَتْ: الْوَاضِعُ، وَالشَخْتُ: الدَّقِيقُ، وَالْأَرْجُ: الطَوِيلُ.

(٤) الْمُدْنَفُ: الْمَرِيضُ، إِذَا لَازَمَهُ الْمَرَضُ.

(٥) الرَتْلُ: تَنَاسُقُ الْأَسْنَانِ وَبَيَاضُهَا وَكَثْرَةُ مَا فِيهَا.

(٦) ظَبِيَّةٌ جَائِزَةٌ: اسْتَغْنَتْ عَنِ الرِّطْبِ بِالْمَاءِ، وَتَعْطُو: تَتَنَاوَلُ، وَظَبِي عَطَوُ: يَتَطَاوَلُ إِلَى الشَّجَرِ لِيَتَنَاوَلَ مِنْهُ، وَالْمَرْدُ: الثَّمَرُ الْغَضُّ، وَقِيلَ هُوَ شَجَرُ الْأَرَاكِ.

(٧) التَرَائِبُ: عِظَامُ الصُّدْرِ، وَهُوَ مَكَانُ الْقِلَادَةِ، وَقِيلَ هِيَ بِالتَّحْدِيدِ مَا بَيْنَ التَّرْقُوتِ، وَأَوَّلِ لَحْمِ التَّنْذِي.

وَامْتَدُّ مِنْ أَغْضَادِهَا قَصَبٌ نَعْمَ زَهْنُهُ مَرَّافِقُ دُرْدُ^(١)
وَلَهَا بَنَانٌ لَوْ أَرَدْتَ لَهُ عَقْدًا بِكَفِّكَ أَمَكَنَّ الْعَقْدُ
وَالْمِفْصَمَانِ فَمَا يُرَى لَهُمَا مِنْ نَعْمَةٍ وَبَضَاضَةٍ زُنْدُ
وَالْبَطْنُ مَطْوِيٌّ كَمَا طُوِيَتْ بِيضُ الرِّبَاطِ يَصُونُهَا الْمَلْدُ^(٢)
وَبِخَضْرِهَا هَيْفٌ يُزَيِّنُهُ فَإِذَا تَنَوَّءُ بِكَادٍ يَنْقَدُ^(٣)
وَالْتَفُّ فَخْذَاهَا وَفَوْقَهُمَا كَفَلٌ كَدِغَصِ الرَّمْلِ مُشْتَدُّ^(٤)
فَنُهُوضُهَا مَثْنَى إِذَا نَهَضَتْ مِنْ ثِقْلِهِ وَقَعُودُهَا قَرْدُ

(١) نَعْمٌ: مِثْلُ

(٢) الرِّبَاطُ: جَمْعُ رِبْطَةٍ، وَهِيَ الْمَلَاءَةُ، وَقِيلَ كُلُّ ثَوْبٍ رَقِيقٍ وَلَيِّنٍ يُسَمَّى رِبْطَةً.

(٣) هُنَاكَ ثَلَاثَةُ آيَاتٍ اسْتَظَرَفْتَ بَعْضُ الْمَصَادِرِ الْحَدِيثَةِ لِإِضَافَتِهَا، وَرَبَّمَا دَسَّهَا عَلَى الْقَصِيدَةِ الْمُنْسُوبَةِ لِدَوْقَلَةَ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ هِيَ:

وَلَهَا هَنْ زَابٌ مَجْسُئُهُ	ضَيْقُ الْمَسَالِكِ خَرَهُ وَقَدُ
نَكَّائُهُ مِنْ كِبَرِهِ قَدَحٌ	أَكَلَ الْعِيَالُ وَكَبَّهُ الْعَبْدُ
فَإِذَا طَمَعْتَ فِي لُبْدٍ	وَإِذَا سَلَلْتَ بِكَادٍ يَنْسَدُ

لَكِنَّ هَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ لَمْ تَرُدَّ فِي أَصْلِ رِوَايَةِ التَّنُوخِيِّ «لِلْقَصِيدَةِ الْيَتِيمَةِ» بِتَحْقِيقِ صَلاَحِ الدِّينِ الْمُنْجِدِ الَّتِي اعْتَمَدْنَاهَا هُنَا، وَإِنَّمَا وَرَدَتْ فِي كُلِّ مِنْ: دِيَوَانِ أَبِي الشَّيْخِ بِتَحْقِيقِ الدَّكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُبُورِيِّ، وَدِيَوَانِ الْعَكَّوكِ «عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ» بِتَحْقِيقِ الدَّكْتُورِ حَسَنِ عَطْوَانَ. كَمَا أوردُ ابْنَ أَبِي عَوْنٍ «بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ الْهَجْرَيْنِ» فِي: «التَّشْبِيهَاتِ» الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَ وَالثَّالِثَ مِنْهَا عَلَى أَنَّهُمَا جُزْءٌ مِنَ الْقَصِيدَةِ الْمُنْسُوبَةِ لَزَوْبَعَةَ الْمُلْحَى، وَأَضَافَ إِبْرَاهِيمُ النُّجَارِيُّ فِي: «شُعْرَاءَ عَبَّاسِيُونَ مَنَسُيُونَ» آيَاتًا أُخْرَى لِتَصِلَ الْقَصِيدَةُ مَعَهُ إِلَى سَبْعِينَ بَيْتًا، مُتَحَرِّزًا نَسْبَتَهَا إِلَى دَوْقَلَةَ أَوْ لِسَوَاهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ، وَمُنَوِّهًا إِلَى أَنَّ ذَلِكَ يُوَكِّدُ «صِبْغَةَ الْعَمَلِ الْمُشَاعَ لِهَذَا الْأَمْرِ الْفَرِيدِ، وَالْجُهْدَ الْمُشْتَرَكَ لِأَجْيَالٍ مِنَ الرُّوَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْقُرَّاءِ الْأَدْبَاءِ وَالنَّسَخَةِ الْمُتَأَدِّينَ».

(٤) الدَّغْصُ: الْكُثْبُ مِنَ الرَّمْلِ أَوْ الْكُتْلَةُ مِنْهُ.

وَالسَّاقُ خَرَعَبَةٌ مُنْعَمَةٌ عِبِلْتُ فَطَوَّقُ الْحَجَلِ مُنْسَدُ^(١)
وَالْكَفُّ أَذْرَمُ لَا يَبِينُ لَهُ حَجْمٌ وَلَيْسَ لِرَأْسِهِ حَدُ
وَمَشَتْ عَلَى قَدَمَيْنِ خُصْرَتَا وَأَلْبِنْتُ أَتَكَامَلَ الْقَدُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضَلٌ لَدَيْكَ لَنَا يَشْفِي الصَّبَابَةَ فَلْيَكُنْ وَغْدُ
قَدْ كَانَ أَوْزَقَ وَضَلُكُمْ زَمْنًا فَذَوَى الْوِصَالِ وَأَوْزَقَ الصَّدُ
لِلَّهِ أَشْوَاقِي إِذَا نَزَحْتُ دَارُ بِنَا وَنَوَى بِكُمْ تَغْدُو
إِنْ تُثْهِمِي فَتَهَامَةٌ وَطَنِي أَوْ تُنْجِدِي يَكُنِ الْهَوَى نَجْدُ
وَرَعَمْتُ أَنَّكَ تَضْمُرِينَ لَنَا وَدَا فَهَلَا يَنْفَعُ الْوُدُ
وَإِذَا الْمُحِبُّ شَكَا الصَّدُودَ فَلَمْ يُغْطَفْ عَلَيْهِ فَقَتْلُهُ عَمْدُ
نَخْتَصُّهَا بِالْحُبِّ وَهِيَ عَلَى مَا لَا نُحِبُّ فَهَكَذَا الْوُجْدُ
أَوْ مَا تَرَى طَمْرِي بَيْنَهُمَا رَجُلٌ أَلَحَّ بِهِزْلِهِ الْجِدُ^(٢)
فَالسَّيْفُ يَقْطَعُ وَهُوَ ذُو صَدَا وَالنَّضْلُ يَفْرِي الْهَامَ لَا الْغِمْدُ
هَلْ تَنْفَعَنَّ السَّيْفُ حَلِيَّتَهُ يَوْمَ الْجِلَادِ إِذَا نَبَا الْحَدُ
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي رَجُلٌ فِي الصَّالِحَاتِ أَرْوَحُ أَوْ أَغْدُو
بَرْدٌ عَلَى الْأَذْنَى وَمَرْحَمَةٌ وَعَلَى الْحَوَادِثِ مَارِنٌ جَلْدُ^(٣)
مَنْعَ الْمَطَامِعِ أَنْ تُثْلِمَنِي أَنِّي لِمَغُولِهَا صَفَا صَلْدُ^(٤)
فَأَظِلُّ حُرًّا مِنْ مَذَلَّتِهَا وَالْحُرُّ حِينَ يُطِيعُهَا عَبْدُ

(١) خَرَعَبَةٌ: رَقِيقَةُ الْعَظْمِ، كَثِيرَةُ اللَّحْمِ، نَاعِمَةٌ، وَعِبِلْتُ: قُتِلْتُ.

(٢) طَمْرَاهُ: ثِيَابُهُ الْوَاسِعَةُ، وَقِيلَ هُوَ الثَّوْبُ الْبَالِي، وَالثَّنِيَّةُ هُنَا تَخَصُّ الثَّوْبَ وَالْعِبَادَةَ مَعًا.

(٣) مَارِنٌ: مِنَ الْمَرُونَةِ، أَيْ: اللَّيْنِ فِي صَلَابَةٍ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى التَّفَاعُلِ مَعَ الصَّعُوبَاتِ.

(٤) الصَّفَا: جَمْعُ صَفَاةٍ: وَهِيَ الصَّخْرَةُ الْمَلْسَاءُ.

أَلَيْتُ أَمَدَحُ مُفَرِّفًا أَبَدًا يَبْقَى الْمَدِينُ وَيَذْهَبُ الرَّفْدُ^(١)
 مَبِيهَاتٍ يَا بَنِي ذَاكَ لِي سَلَفٌ خَمَدُوا وَلَمْ يَخْمُدْ لَهُمْ مَجْدُ
 وَالْجَدُّ حَارِثٌ وَالْبَنُونَ هُمْ فَرَزَكَ الْبَنُونَ وَأَنْجَبَ الْجَدُّ
 وَلَيْتَن قَفَوْتُ حَمِيدَ فَعْلِهِمْ بِدَمِيمٍ فَعَلِي إِنْ بَنِي وَغَدُ
 أَجْمِلُ إِذَا طَالَبْتَ فِي طَلَبٍ فَالْجَدُّ يُغْنِي عَنْكَ لَا الْجَدُّ
 وَإِذَا صَبَرْتَ لِجَهْدٍ نَازِلَةٍ فَكَأَنَّهُ مَا مَسَّكَ الْجَهْدُ
 وَطَرِيدٍ لَيْلٍ قَادَهُ سَغَبٌ وَهَنًا إِلَيَّ وَسَاقَهُ بَرْدُ
 أَوْسَعْتُ جُهْدَ بَشَاشَةٍ وَقَرَى وَعَلَى الْكَرِيمِ لَضَيْفِهِ الْجُهْدُ^(٢)
 فَتَصَرَّمِ الْمَشْتَى وَمَنْزِلُهُ رَحْبٌ لَدَيَّ وَعَيْشُهُ رَغْدُ
 ثُمَّ انْثَنَى وَرِدَاؤُهُ نَعَمٌ أَسْدَيْتُهَا وَرِدَائِي الْحَمْدُ
 لِيَكُنْ لَدَيْكَ لِسَائِلٍ فَرَجٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَلْيَخْسَنِ الرُّدُّ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ ذَلِكَ وَمَحَارُ كُلِّ مُؤْمِلٍ لَحْدُ
 أَصْرِيغُ كَلِمٍ أَمْ صَرِيغُ رَدَى أَوْدَى فَلَيْسَ مِنَ الرَّدَى بُدُ

(١) المقرف: الهجين، وقيل هو من كانت أمه أمة: أي جارية، وليست حرة، والرفد: العطية والكسب.

(٢) القري: الإحسان.

عمرو بن مغدي كزب

قصيدة ربحانة

شاعر جاهلي، فارس فاتك ومفوة بليغ من أهل اليمن، له شعر آخر جيد غير هذه القصيدة لكن ابن رشيقي القيرواني رأى في كتابه «العمدة» أن هذه القصيدة تعد من «واحدات» الشعر الجاهلي التي تلي المعلقات شهرة. و«ربحانة» التي سميت القصيدة باسمها، هي أخت الشاعر وكانت قد سبيت، فقال فيها مطلع القصيدة. وتزوجها الصمة بن الحارث بعد سبيها، فأنجب له «دريد بن الصمة» الشاعر والفارس المشهور.

امن ربحانة الداعي السميع يؤزقني وأضحاني هجوع^(١)
ينادي من برأقش أو معين فأسمع واتلاب بنا ملبع^(٢)
وقد جاوزن من «عمدان» داراً لأبوال البغال بها وقيع

(١) ربحانة: اسم أخته وقد سبها بنو سليم فولدت دريد بن الصمة الشاعر، وإليها توجه القصيدة.

(٢) اتلاب: استقام، والمليع: الأرض الواسعة.

وَرُبُّ مُحَرَّشٍ فِي جَنْبِ سَلَمَى يَمْلُ بِعَيْنَيْهَا عِنْدِي شَفِيعٌ ^(١)
كَانَ الْأَثْمَدُ الْحَارِيَّ فِيهَا يَسْفُ بِحَيْثُ تَبْتَدِرُ الدُّمُوعُ ^(٢)
وَأَبْكَارٍ لَهْوَتْ بِهِنَ حِينًا نَوَاعِمَ فِي أَسْرَتِهَا الرُّدُوعُ ^(٣)
أَمْسَى حَوْلَهَا وَأَطُوفُ فِيهَا وَتُعْجِبُنِي الْمَحَاجِرُ وَالْفُرُوعُ
إِذَا يَضْحَكُنْ أَوْ يَبْسِمُنْ يَوْمًا تَرَى بَرْدَ أَلْحٍ بِهِ الصَّقِيعُ
كَانَ عَلَى عَوَارِضِهِنَّ رَاحًا يُفَضُّ عَلَيْهِ رُءُوسُ رُءُوسِ
تَرَاهَا الدُّمَرُ مُفْتِرَةً كِبَاءً وَتَفْدَحُ صَفْحَةً فِيهَا نَقِيعُ ^(٤)
وَصَبَغُ ثِيَابِهَا فِي زَعْفَرَانٍ بِجُدَّتِهَا كَمَا اخْمَرَ النَّجِيعُ
وَقَدْ عَجِبْتُ أَمَامَهُ أَنْ رَأَيْتَنِي تَفَرَّعَ لِمَنِي شَيْبٌ فَظِيعُ ^(٥)
وَقَدْ أَغْدُوْ يُذَافِعُنِي سَبُوحُ شَدِيدُ أَسْرِهِ فَعَمَّ سَرِيعُ ^(٦)
وَأَخْمِرَةُ الْهَجِيرَةِ كُلُّ يَوْمٍ يَضُوعُ جَحَاشُهُنَّ بِمَا يَضُوعُ ^(٧)
فَارْسَلْنَا رَيْبَتَنَا فَأَوْفَى فَقَالَ: الْأُولَى خَمْسُ رُتُوعُ ^(٨)
رَبَاعِيَّةٌ وَقَارِحُهَا وَجَحْشُ وَهَادِيَّةٌ وَتَالِيَّةٌ زُمُوعُ ^(٩)

(١) الْمُحَرَّشُ: الشَّخْصُ وَالْأَثَرُ.

(٢) الْأَثْمَدُ: الْكَحْلُ، وَالْحَارِيَّ: نِسْبَةٌ إِلَى الْحِيرَةِ.

(٣) الرُّدُوعُ: الْأَوْجَاعُ.

(٤) مَقْتَرَةٌ: مَتَبَخَّرَةٌ، وَالْكِبَاءُ: الْبَخُورُ: أَيِ كَأَنَّهَا عُودُ الْبَخُورِ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، وَالصَّفْحَةُ: جَانِبُ الْوَجْهِ، وَالنَّقِيعُ: شَرَابُ الزَّرْبِ، شَبَّ خَدَّهَا بِشَرَابِ الزَّرْبِ.

(٥) اللَّيْمِيُّ: يَكْسِرُ الرِّاءَ فَرَوَةَ الرَّاسِ.

(٦) السَّبُوحُ: الْفَرَسُ، وَالْفَعْمُ: الْمُغْتَلِيُّ.

(٧) الْجَحَاشُ: الْمُدَافَعَةُ وَالْإِشْبَاكُ.

(٨) رَيْبَةُ الْقَوْمِ: طَلِيعَتُهُمْ.

(٩) الرَّبَاعِيَّةُ: الْخَيْلُ ذَاتُ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ، وَالزُّمُوعُ: الْأَرْبَابُ السَّرِيعَةُ.

فَنَادَانَا: أَنْكُمُنْ أَمْ نُبَادِي؟ فَلَمَّا مَسَّ حَالِبَهُ الْقَطِيعُ
 أَرْنُ عَشِيَّةً فَاسْتَفْجَلْنَاهُ قَوَائِمُ كُلِّهَا رِبْدٌ سَطُوعُ^(١)
 فَأَوْقَى عِنْدَ أَقْصَاهُنَّ شَخْصٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ صَنِيعُ
 نَرَاهُ حِينَ يَمُتُّ فِي دِمَاءٍ كَمَا يَمْشِي بِأَقْدَحِهِ الْخَلِيعُ^(٢)
 أَشَابَ الرَّأْسَ أَيَّامَ طَوَالٍ وَهُمْ مَا تَبَلَّغَهُ الضَّلُوعُ
 وَسَوْقُ كَتِيبَةٍ دَلَفَتْ لِأُخْرَى كَأَنَّ رُهَاءَهَا رَأْسَ صَالِيعُ
 دَنَتْ وَاسْتَأْخَرَ الْأَوْغَالَ عَنْهَا وَخُلِيَ بَيْنَهُمْ إِلَّا الْوَرِيعُ^(٣)
 فِدَى لَهُمْ مَعَا عَمِي وَخَالِي وَشَرَحَ شَبَابُهُمْ إِنْ لَمْ يُضْئِعُوا
 وَإِسْنَادُ الْأَسِنَّةِ نَحْوَ نَحْرِي وَهَزُّ الْمَشْرِفِيَّةِ وَالْوُقُوعُ
 فَإِنْ تَنَبَّ النَّوَائِبُ آلَ عُضْمٍ تُرَى حَكَمَاتُهُمْ فِيهَا رُفُوعُ^(٤)
 إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْئًا فَدَغْهَ وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
 وَصِلْهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ سَمَّاكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلُوعُ^(٥)
 فَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلَمَى قَلِيلِ الْأَنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعُ^(٦)
 بِهِ السُّرْحَانُ مُفْتَرِشاً يَدِيهِ كَأَنَّ بَيَاضَ لَبَّتِهِ الصَّدِيعُ^(٧)

(١) الأرن: النشاط، والرّيد: الخفّة في الحركة

(٢) الأقدح: السّهام، والخليع: الصياد.

(٣) الأوغال: الضعفاء، والوريع: الجبان.

(٤) الحكمات: لجام الخيل.

(٥) الزماع: العزم على الأمر والمضي إليه.

(٦) الغائط: الأرض الواسعة الآمنة، والكتيع: الشخص المنفرد، أي ليس في تلك الأرض من أحد.

(٧) السرحان: الدّئب، ولبته: نخره، والصديع: أول الصّبح.

وَأَرْضٍ قَدْ قَطَعْتُ بِهَا الْهَوَاهِي مِنْ الْجَنَانِ سَرَبُخَهَا مَلِيعٌ^(١)
تَرَى جَيْفَ الْمَطِيِّ بِحَافَتَيْهِ كَأَنَّ عِظَامَهَا الرُّخْمُ الْوُقُوعُ^(٢)
لَعَمْرُكَ مَا ثَلَاثُ حَائِمَاتٍ عَلَيَّ رُبْعَ يَرِغْنَ وَمَا يَرِغُ
وَنَابٌ مَا يَمِيشُ لَهَا حَوَارٌ شَدِيدُ الطُّغْنِ مِثْكَالُ جَزُوعٍ^(٣)
سَدِيسٌ نَضُجَتْهُ بَغْدَ حَمَلٍ تَحْرَى فِي الْحَنِينِ وَتَسْتَلِيعُ^(٤)
بِأَوْجَعِ لَوْعَةٍ مِئْنَى وَوَجْدًا غَدَاةَ تَحْمَلُ الْإِنْسُ الْجَمِيعُ^(٥)
فَلِمَا كُنْتُ سَائِلَةً بِمُهْرِي فَمُهْرِي إِنْ سَأَلْتَ بِهِ الرِّفِيعُ

(١) الهواهى: ضربٌ من السَّيْرِ، والسَّرْبُخُ: الأرضُ الواسعةُ، والمليعُ: الفلاةُ الممتدةُ.

(٢) الرُّخْمُ: طيور النعام.

(٣) الحَوَارُ: ابن الناقة في سته الأولى، ومثكال: كثير الثكل، وفقدان الأبناء.

(٤) تحرى: من الحرارة، وحرارة النار لهيبها، وتستليع، من أسلع، إذا اكتوى جلده بالنار فتركت فيه أثراً.

(٥) تحمل الإنسان الجميع: غادر الناس جميعاً.

سُحَيْمُ الرِّيَاحِي

صُورَةُ الْأَنَا

شَاعَ مَطْلَعُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّينَ بَعْدَ أَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ الثَّقَفِيُّ فِي أَوَّلِ ظُهُورِ لَهُ أَمَامَ النَّاسِ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي الْكُوفَةِ بَعْدَ تَوَلِّيَّتِهِ، حَتَّى ظَنَّ الْكَثِيرُونَ أَنَّهَا لَهُ، وَإِنَّمَا هِيَ لِشَاعِرٍ عَاشَ قَرْنًا كَامِلًا وَلَمْ تُعْرِفْ لَهُ قَصِيدَةٌ سِوَى هَذِهِ الَّتِي عَاشَتْ مِنْ بَعْدِهِ لِقُرُونٍ، حَيْثُ يَقُولُ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي كِتَابِ «الْأَشْتِقَاقِ»: عَاشَ سُحَيْمُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَسِتِّينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ.

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(١)
وَإِنْ مَكَانَنَا مِنْ جَمِيرِي مَكَانُ اللَّيْلِ مِنْ وَسْطِ الْعَرِينِ
وَلَيْسَ لَا يَمُودُ إِلَيَّ قَرْنِي غَدَاةُ الْوَرْدِ إِلَّا فِي قَرْنِي
بِلَدِّي لِبَدٍ يَصُدُّ الرُّكْبَ عَنْهُ وَلَا تُؤْتِي قَرْنِسْتَهُ لِحِينِ

(١) ابنُ جَلَا: الْمُتَكَشِّفُ الْأَمْرَ الْمَشْهُورَ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِلصَّبِيحِ: ابْنُ جَلَا، وَقَدْ انشَغَلَ النِّحَاةُ الْعَرَبُ بِصِيغَةِ «ابْنُ جَلَا» هَلْ هِيَ اسْمٌ أَمْ مَنْقُولَةٌ عَنْ فِعْلٍ، وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا: الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى الْأَرْضِ الْمَرْتَفَعَةِ.

عَذَرْتُ الْبَزْلَ إِذْ هِيَ خَاطَرْتَنِي فَمَا بَالِي وَبَالَ إِنِّي لَبُونٌ^(١)
وَمَاذَا يَبْتَغِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْتَعِينَ
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعًا أَشْدِي وَتَجِدَنِي مُدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ^(٢)
فَإِنْ عَلَلْتَنِي وَجَرَاءَ حَوْلِي لَدُوشِقْ عَلَى الضَّرْعِ الظَّنُونِ
سَاحِيًا مَا حَبِيتُ وَإِنْ ظَهَرِي لَمُسْتَنِدٌ إِلَيَّ نَصْدِ أَمِينِ
أَنَا ابْنُ الْغُرِّ مِنْ سَلَفِي رِيَّاحٍ كَنَضْلِ السَّيْفِ وَضَاحِ الْجَبِينِ
مَتْنِي أَخْلِلْ إِلَيَّ قَطْنٍ وَزَنْدٍ وَسَلَمْنِي تَكْثُرُ الْأَصْوَاتُ دُونِي^(٣)
وَهَمَامٌ مَتْنِي أَخْلِلْ إِلَيْهِ يَجْلُ اللَّيْتُ فِي عَيْصِ أَمِينِ
أَلْفُ الْجَانِبِينَ بِهِ أَسْوَدُ مُنْطَقَةٌ بِأَضْلَابِ الْجُفُونِ
وَإِنْ قَنَاتَنَا مَشِظٌ شَظَاهَا شَدِيدٌ مَدُّهَا عُنُقَ الْقَرِينِ

(١) البزل: الإبل إذا شقت أسنانه بعد السنة الثامنة.

(٢) رجلٌ منجدٌ: مجربٌ وعارفٌ.

(٣) قطن: اسم جبل.

قُتَيْلَةُ بِنْتُ النُّضْرِ

مُبَكِّيَةُ النَّبِيِّ

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لِقُتَيْلَةَ بِنْتِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَقِيلَ هِيَ قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، فَهِيَ قِيلَتْ فِي رِثَاءِ أَبِيهَا، أَوْ أَخِيهَا النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ الَّذِي قُتِلَ مَعَ قُرَيْشٍ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَقِيلَ أَنَّ الشَّاعِرَةَ عَرَضَتْ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص) وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَاسْتَوْفَقَتْهُ وَجَذَبَتْ رِدَاءَهُ وَأَنشَدَتْهُ شِعْرَهَا فَلَمَّا سَمِعَهَا بَكَى وَقَالَ: «لَوْ جِئْتِنِي مِنْ قَبْلِ لَعَفُوْتُ عَنْهُ» ثُمَّ قَالَ: «لَا يَقْتُلُ قُرَشِيٌّ بَعْدَ هَذَا صَبْرًا». قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ: «يُقَالُ أَنَّ شِعْرَهَا أَكْرَمُ شِعْرِ مَوْتُورَةٍ وَأَعْفَى وَأَكْفَى وَأَحْلَمُهُ». وَقَالَ الْخَالِدِيَّانِ: «كَانَتْ قُتَيْلَةُ مِنْ أَحْسَنِ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَفْصَحِهِنَّ، وَكَانَ النَّبِيُّ (ص) أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهَا مَا كَانَ».

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَثِيلَ مَظْنَةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقٌ بَلَغَ بِهِ مَيْتًا فَإِنْ تَحْيَا مَا إِنْ تَرَأَى بِهَا الرُّكَّائِبُ تَخْفُقُ مِنِّي إِلَيْكَ، وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَاءَتْ لِمَا نَحْنُ وَأُخْرَى تَخْفُقُ فَلَيْسَ مَعْنَى النَّضْرِ إِنْ نَادَيْتُهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيْتٌ أَوْ يَنْطِقُ

ظَلْتُ مُيُوفٌ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لَهُ أَزْحَامٌ هُنَاكَ تُمَرِّقُ
 قَسْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا رَسَفُ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ عَانٍ مُوثِقٌ ^(١)
 أُمَحَمَّدٌ، وَلَأَنْتَ نَجْلُ نَجِيبَةٍ مِنْ قَوْمِهَا، وَالْفَخْلُ فَخْلٌ مُغَرِّقُ
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ، وَرُبَّمَا مَنْ الْفَتَى، وَهُوَ الْمَغْبِظُ الْمُخْتَقُ
 وَالنُّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَسِيلَةٌ وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِشْقٌ يُغْتَقُ
 لَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ لَفَدَيْتُهُ بِأَعَزِّ مَا يُغْلِي بِهِ مَنْ يُنْفِقُ

(١) رَسَفُ الْمُقَيَّدِ: مَشَى الْمُقَيَّدِ.

مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ

أُمُّ الْمَرَاثِي

يَرَى الْأَضْمَعِيُّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ هِيَ «أُمُّ الْمَرَاثِي» وَإِيْدَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعِقْدِ الْفَرِيدِ. وَقَدَّمَهَا الْمُبَرِّدُ فِي التَّعَاذِي وَالْمَرَاثِي عَلَى سَائِرِ شِعْرِ الرَّثَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَجَعَلَ ابْنُ سَلَامٍ شَاعِرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي طَلِيعَةِ طَبَقَةِ أَصْحَابِ الْمَرَاثِي. وَهِيَ قِيلَتْ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ، الَّذِي قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي مَا عُرِفَ «بِحُرُوبِ الرَّدَّةِ» وَبَقِيَّةُ شِعْرِهِ يَصُبُّ أَغْلَبُهُ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ مَالِكٍ، وَهَذِهِ أَجُودُهَا. سَمِعَهَا الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: «يَا مُتَمِّمُ، لَوْ كُنْتُ أَقُولُ الشُّعْرَ لَسَرَّني أَنْ أَقُولَ فِي زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ مِثْلَ مَا قُلْتَ».

وَكَانَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ، أَخُو الْخَلِيفَةِ، قَدْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ نَفْسِهَا، وَفِي وَفَعَةٍ «الْيَمَامَةِ» بِالذَّاتِ.

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْبِينِ هَالِكٍ وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
لَقَدْ كَفَرْنَا مِنَهَا تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ، أَرْوَعًا^(١)

(١) المنهال بن عصفه البربوعي مر على مالك بن نؤيرة التميمي وهو صريع فالقى =

وَلَا بَرَمًا تُهْدِي النِّسَاءَ لِعِرْسِهِ إِذَا الْقَشْعُ مِنْ حَسِّ الشِّتَاءِ تَقَفَّقَا^(١)
لَيْبِبُ أَهَانَ اللَّبِّ مِنْهُ سَمَاحَةٌ خَصِيبٌ إِذَا مَا رَاكِبُ الْجَذْبِ أَوْضَعَا^(٢)
نَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنُّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا
وَيَوْمًا إِذَا مَا كَظُّكَ الْخَضْمُ إِنْ يَكُنْ نَصِيرُكَ مِنْهُمْ لَا تَكُنْ أَنْتَ أَضْيَعَا^(٣)
وَإِنْ تَلَقَّاهُ فِي الشَّرْبِ لَا تَلْقُ فَاجِحًا عَلَى الْكَأْسِ ذَا قَادُورَةٍ مُتْرَبَعَا^(٤)
وَإِنْ ضَرَسَ الْعَزْرُ الرَّجَالَ رَأَيْتَهُ أَخَا الْخَرْبِ صَدَقًا فِي الْمَقَامِ سَمِيدَعَا^(٥)
وَمَا كَانَ وَقَافًا إِذَا الْخَيْلُ أَجَحَمَتْ وَلَا طَائِشًا عِنْدَ الْبَلَاءِ مُدْفَعَا^(٦)
وَلَا يَكْهَمُ بَرْءُهُ عَنْ عَدُوِّهِ إِذَا هُوَ لَاقِيَ حَاسِرًا أَوْ مُقْتَنَعَا^(٧)
فَعَيْنِي هَلَا تُبْكِيَانِ لِمَالِكٍ إِذَا أَذْرَبَ الرِّيحُ الْكَئِيفَ الْمُرْقَعَا^(٨)
وَهَبَّتْ شِمَالًا مِنْ نَجَاهِ أَظَانِفٍ إِذَا صَادَفَتْ كَفَّ الْمُفِيضِ تَقَفَّقَا^(٩)

= عليه رداء..

(١) الْبَرَمُ: الرجلُ الذي لا يتعاطى الميسر، والفشع: جِدَارٌ للبيوت يُصْنَعُ مِنَ الْجِلْدِ الْيَابِسِ، فَإِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ وَالْبَرْدُ تَقَفَّقَتْ نَوَاجِيهِ أَيْ تَخَلَّخَتْ.

(٢) أَوْضَعُ: سَارِ بِسُرْعَةٍ.

(٣) كَظُهُ: مَلَأَ غَمًّا، وَتَكَاطَفَ الْقَوْمُ إِذَا تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْعِدَاوَةِ.

(٤) رَجُلٌ قَادُورَةٌ: مُتَبَرِّجٌ بِالنَّاسِ لَا يَخَالِطُهُمْ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا وَحْدَهُ، وَمُتَزَيِّعٌ: سَيِّءُ الْخُلُقِ.

(٥) ضَرَسَ: اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ، وَالْمُشْبَدَعُ: الرَّئِيسُ، أَوْ شَرِيفُ الْقَوْمِ.

(٦) أَجَحَمَتِ الْخَيْلُ: اشْتَدَّ مَعْرَكَهَا.

(٧) رَجُلٌ كَهَامٌ: بَطِيءٌ فِي الثَّغْرَةِ وَالْحَرْبِ، وَالْبَرْءُ وَالْبِرَّةُ: السَّلَاحُ يَدْخُلُ فِيهِ الدَّرْعُ وَالْبَغَنَرُ وَالسَّيْفُ.

(٨) الْكَئِيفُ: السَّائِرُ وَالتَّرْسُ.

(٩) تَقَفَّقَتِ الْبِدَا: إِذَا تَشَنَّجَتْ وَانْقَبِضَتْ.

وَلِلشَّرْبِ قَابِئِي مَالِكاً وَلِبُهِمَةِ
وَضَيْفٍ إِذَا أَرْغَى طُرُوقاً بَعِيرَهُ
وَأَزْمَلَةَ تَمْشِي بِأَشْعَثَ مُحْتَلٍ
إِذَا جَرَّدَ الْقَوْمُ الْقِدَاحَ وَأَوْقَدَتْ
وَلِنْ شِهْدَ الْأَيْسَارَ لَمْ يُلَفْ مَالِكٌ
أَبَى الصَّبْرَ آيَاتُ أَرَاهَا وَأَنْبِي
وَقَدْ كَانَ مَجْدَاماً إِلَى الْحَزْبِ رَكْضُهُ
وَأَنْبِي مَتْنِي مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِبْ
وَكَانَ جَنَاحِي إِنْ نَهَضْتُ أَقْلَنِي
وَعَشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً
وَكُنَّا كَنَدَمَائِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ
فَلِنْ تَكُنْ الْأَيَّامُ فَرَقْنَ بَيْنَنَا
شَدِيدٍ نَوَاجِيهِ عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا
وَعَانَ ثَوَى فِي الْقِدْ حَتَّى نَكْنَعَا^(١)
كَفَرَحِ الْخُبَارَى رَأْسُهُ قَدْ تَضَوَّعَا^(٢)
لَهُمْ نَارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا^(٣)
عَلَى الْفَرْتِ بِخِمِي اللَّحْمِ أَنْ يَتَوَزَّعَا^(٤)
أَرَى كُلَّ حَبَلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا
سَرِيحاً إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا^(٥)
وَكُنْتُ جَدِيرَا أَنْ تُجِيبَ وَتُسْمِعَا
وَيَخْوِي الْجَنَاحُ الرِّيشَ أَنْ يَتَنَزَّعَا
أَصَابَ الْمَنَائِيَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَّعَا
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا^(٦)
فَقَدْ بَانَ مُحْمُودَا أَخِي حِينَ وَدَّعَا

(١) يقال: أتيتك فما أنغى ولا أرغى، أي: لم يُعطِ شاة ولا ناقة، يقال: تَكْنَعُ الأسيرُ في قَدْوِهِ: تَقْبِضُ واجتمع.

(٢) المحتل: السيئ الرضاعة أو سيئ التغذية.

(٣) الإيسار: من الميسر، وتضجع الرجل عن الأمر إذا تقعد ولم يقم به.

(٤) فَرَّتِ اللحم: فتنه.

(٥) رجلٌ مجْدَامٌ: رجل حاسم في الأمور الصعبة.

(٦) جَذِيمَةٌ: هو الأبرش كان ثالث ملوك تنوخ وأول ملك بالحيرة، وأول من انتعل النعال، واتخذ المنجنيق ووضعه على الحصون وكان أول من أوقدت له الشموع، وكان يربأ بنفسه من أن ينادم أحداً ويقول: أنا أعظم من أن أنادم إلا الفرقدين، فكان يشرب كأساً ويصب لهما كأسين، وصار مثلاً يضرب في أخوين طال تصاحبهما.

فَتَنَى كَمَا كَانَ أَحْيَا مِنْ فِتَاةٍ حَبِيبَةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ إِذَا مَا تَمَنَّى
أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَيَابِهِ وَجَوْنٍ يَسُحُ الْمَاءَ حَتَّى تَرِيْعَا^(١)
سَقَى اللَّهُ أَرْضًا حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجَنَاتِ فَأَمْرَعَا^(٢)
وَأَكْرَسَيْلَ الْوَادِيَيْنِ بِدِيمَةٍ تُرْشُحُ وَسِمِيًّا مِنَ الثَّنْبِ خِرْوَعَا^(٣)
فَمُجْتَمَعَ الْأَسْدَامِ مِنْ حَوْلِ شَارِعٍ فَرَوَى جِبَالَ الْقَرَيَتَيْنِ فَضَلَفَعَا^(٤)
فَوَاللَّهِ مَا أَسْقَى الْبِلَادَ لِحُبِّهَا وَلَكِنِّي أَسْقَى الْحَبِيبَ الْمُودَعَا
تَحِيَّتَهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِبَا وَأَمْسَى تُرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقَعَا
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِئِ مَالِكَ بَعْدَمَا أَرَاكَ حَدِيثًا نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعَا
فَقُلْتُ لَهَا: طُولُ الْأَسَى إِذْ سَأَلْتَنِي وَلَوْعَةٌ حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا^(٥)
وَفَقَدْ بَنَى أُمُّ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ خِلَافَهُمْ أَنْ أَسْتَكِينَنَّ وَأَضْرَعَا
وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَلِكَ مُقَدِّمًا إِذَا بَغْضُ مَنْ يَلْقَى الْحُرُوبَ تَكْفَعَا^(٦)
وَعَمْرًا وَجَزَاءً بِالْمُشْقَرِ أَلْمَعَا^(٧)
وَمَا غَالَ تَدْمَانِي يَزِيدُ، وَلَيْتَنِي تَمَلَّيْتُهِ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ أَجْمَعَا
وَإِنِّي وَإِنْ هَارَلْتَنِي قَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَثِّ مَا يُبْكِي الْحَزِينَ الْمُفْجَعَا

(١) الرَيَابُ: الجون؛ السُّحْبُ: البيض، وتريع: تراجع.

(٢) الذَهَابُ: اسمٌ للمطر، والمدجَنَات: الممثلثات بالمطر، وأمرع: صار خضبًا.

(٣) الوسمي: مطر الربيع في أوله.

(٤) الاسدَامُ: المياه المتجمعة الراكدة، وضلفع موقع.

(٥) أسفع: داكن يميل إلى السواد.

(٦) تكفع: أحجم ونكص وتراجع.

(٧) المشقَرُ: قصر بالبحرين، وألمع: ذهب بهم الموت.

ولستُ إِذَا مَا الدَّهْرُ أَخَذَتْ نَكْبَةً
 قَعِيدِكَ أَلَا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً
 فَقَضَرِكَ إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ
 فَلَا فَرِحَا إِن كُنْتُ يَوْمًا بِغِبْطَةٍ
 فَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى يُصِيبُ مُتَالِعًا
 وَمَا وَجَدُ أَظَارِ ثَلَاثِ رَوَائِمِ
 يَذْكُرْنَ: ذَا الْبَثِّ الْحَزِينِ بِبَيْتِهِ
 إِذَا شَارَفَ مِنْهُنَّ قَامَتْ فَرَجَعَتْ
 بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ قَامَ بِمَالِكِ
 فَإِنَّ يَكُ حُزْنٌ أَوْ تَتَابَعُ عَبْرَةٌ
 تَجَرَّعْتُهَا فِي مَالِكِ وَاحْتَسَيْنْتُهَا
 أَلَمْ تَأْتِ أَخْبَارُ الْمُحِلِّ سَرَاتِكُمْ
 بِمَشْمَتِهِ إِذْ صَادَفَ الْحَتْفُ مَالِكَا
 أَلَّتْزَتْ هَذَا بِالْيَا وَسَوِيَّةُ
 فَلَا تَفْرَحْنِ يَوْمًا بِنَفْسِكَ إِنِّي
 وَرُزْءًا بِرَوَائِرِ الْقَرَائِبِ أَخْضَعَا^(١)
 وَلَا تَنَكِّثِي قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَبْجَعَا^(٢)
 بِكَفِّي عَنْهُمْ لِلْمَنِيَّةِ مَذْفَعَا
 وَلَا جَزِعَا مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا
 أَوْ الرُّكْنِ مِنْ سَلَمَى إِذَا لَتَضَعَضَا^(٣)
 أَصْبَنَ مَجْرَأً مِنْ حُوَارٍ وَمَضْرَعَا^(٤)
 إِذَا حَنَّتِ الْأُولَى سَجَفْنَ لَهَا مَعَا
 حَيْنًا فَأَبْكِي شَجْوَهَا الْبَرْكَ أَجْمَعَا
 مُنَادٍ بِصِيرٍ بِالْفِرَاقِ فَاسْمَعَا
 أَذَابَتْ عَيْطًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ مُنْقَعَا^(٥)
 لِأَعْظَمَ مِنْهَا مَا اخْتَسَنِي وَتَجَرَّعَا
 فَيَغْضَبُ مِنْكُمْ كُلُّ مَنْ كَانَ مُوْجَعَا
 وَمَشْهَدِهِ مَا قَدْ رَأَى ثُمَّ ضَبَّعَا
 وَجِئْتُ بِهَا تَغْدُو بَرِيدًا مُقَرَّعَا^(٦)
 أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا عَلَيَّ مَنْ تَشْجَعَا

(١) القرائبُ: الأقرباء وتخص النساء تحديدًا.

(٢) يبيجُ: لغة في يوجع.

(٣) متالعٌ وسلمي: جبلان في البادية.

(٤) الآظارُ: جَمْعُ الظَّوُور وهي الناقة التي تحنو على ولد غيرها، والمجر والحوار والمصرع: من أسماء أولاد الناقة.

(٥) دَمٌ عَيْطٌ: إذا كان طرياً قد خرج من جسم صحيح، لم يمت صاحبه بعله.

(٦) المقزَعُ: الفرس السريعة وتستخدم عادة للبريد والرسول.

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُبْلِمَ مُلِيمَةً عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدْعُغْنَكَ أَجْدَعًا
نَعَيْتَ امْرَأً لَوْ كَانَ لَحْمُكَ حِنْدَهُ لَأَوَاهُ مَجْمُوعًا لَهُ أَوْ مُمَزَّعًا^(١)
فَلَا يُهْنِيهِ الْوَاشِيشِينَ مَقْتُلُ مَالِكٍ فَقَذَّابَ شَانِيهِ إِيَابًا فَوْدَعًا

(١) مُمَزَّعًا: مَقْسَمًا وَمَقْطَعًا.

سُحَيْمُ الْحَبَشِيُّ

الْغَزَلِيَّةُ الْقَاتِلَةُ

هُوَ سُحَيْمُ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ وَقِيلَ اسْمُهُ حَيَّةُ التُّوَيْيُّ، كَمَا فِي خَزَانَةِ
الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُوَلَدْ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ
وَتَقَاتِلَهَا، وَكَانَ يَرْتَضِخُ^(١) لَكُنَّةَ حَبَشِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَ لَنَا «وَاحِدَةً» مِنْ أَهَمِّ
الْغَزَلِيَّاتِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ قَالَ عَنْهَا الْمُفَضَّلُ: «قَصِيدَةُ الْأَسْوَدِ دِيبَاجٍ
خُسْرَوَانِيٍّ»

وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا التُّوَيْيَّ كَانَ أَسْتَاذَ طَرِيقَةٍ فِي الْغَزَلِ الْحِسِّيِّ الْمُبَاشِرِ لِعُمَرَ
بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بِالذَّاتِ إِذْ تُظْهَرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِشَكْلِ خَاصٍّ، تَأَثَّرَ ابْنُ أَبِي
رَبِيعَةَ بِشُعْرِ سُحَيْمٍ، خَاصَّةً وَأَنَّ وَالِدَ عُمَرَ، عَبْدَ اللَّهِ بَنَ أَبِي رَبِيعَةَ هُوَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ، وَلَبِثَ عِنْدَهُ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ.

وَقِيلَ أَنَّ الرَّسُولَ تَمَثَّلَ بِالْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ سَمِعَهَا فَقَالَ لِسُحَيْمٍ: «لَوْ قَدَّمْتَ الْإِسْلَامَ عَلَى الشَّيْبِ

(١) فلان يَرْتَضِخُ لَكُنَّةَ عَجْمِيَّةٍ: إِذَا نَشَأَ مَعَ الْعَجَمِ يَسِيرًا ثُمَّ صَارَ مَعَ الْعَرَبِ، فَهُوَ يَنْزِعُ
إِلَى الْعَجَمِ فِي أَلْفَاظٍ مِنْ أَلْفَاظِهِمْ لَا يَسْتَمِرُّ لِسَانَهُ عَلَى غَيْرِهَا وَلَوْ اجْتَهَدَ.

لَأَجْزُكَ، - وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ مُتَدَاخِلَيْنِ - وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى
الْمَقَاطِعِ الْعَزَلِيَّةِ الْحَسْبِيَّةِ مِنْهَا قَالَ لَهُ عُمَرُ: «وَنَلَّكَ إِنَّكَ لَمَقْتُولٌ» وَقُتِلَ
فَعَلَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ مَوَالِيهِ، أَيَّامَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَشَبَّبُ
بِإِنْسَانِهِمْ.

وَفِي «الْأَغَانِي» أَنَّهُ قَالَ لَمَّا قُدِّمَ لِيُقْتَلَ:

شُدُّوا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يَفْلِتُكُمْ إِنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبُ
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَبِينِ فِتَاتِكُمْ عَرَقٌ عَلَى مَثَنِ الْفِرَاشِ وَطَيْبُ
نُفْمٍ حُفِرَ لَهُ أَخْدُوْدٌ، وَالْقِيَّ فِيهِ، وَالْقِيَّ عَلَيْهِ الْحَطَبُ فَأَحْرِقْ.

عُمْبِرَةٌ وَدَغٌ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا
جُنُونًا بِهَا فِيمَا اعْتَشَرْنَا عِلَاقَةً عِلَاقَةً حُبٌ مُسْتَسِرًّا وَبَادِيَا
لِبَالِي تَضْطَادُ الْقُلُوبَ بِفَاحِمٍ تَرَاهُ أَثْبِتًا نَاعِمَ الثُّبُتِ عَافِيَا^(١)
وَجَنِيْدٌ كَجَنِيْدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِعَاطِلٍ مِنَ الدُّرِّ وَالْيَاقُوْتِ وَالشُّدْرِ حَالِيَا^(٢)
كَأَنَّ الشُّرْبَا عُلِقَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا وَجَمْرٌ غَضَى هَبَّتْ لَهُ الرُّيْحُ ذَاكِيَا
إِذَا انْدَفَعَتْ فِي رِنَطَةٍ وَخَمِيصَةٍ وَلَاثٌ بِأَعْلَى الرُّدْفِ بُرْدًا يَمَانِيَا^(٣)
تُرْنِكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ كَفَاً وَمِعْصَمًا وَوَجْهًا كَدِيْنَارِ الْهَرَقْلِيِّ صَافِيَا
فَمَا بَيْضَةٌ بَاتَ الظَّلِيمُ يَحْفُهَا وَيَرْفَعُ عَنْهَا جُوجُؤًا مُتَجَافِيَا^(٤)

(١) الْإِثْبُتُ: الْكُثْفُ وَالْمُلْتَفُّ.

(٢) حَالِي: مِنَ الْحَالِي.

(٣) الرِنَطَةُ: الْمَلَاءَةُ، وَالْخَمِيصَةُ: كِسَاءُ أَسْوَدَ.

(٤) الظَّلِيمُ: فَرَحُ النِّعَامِ، يَحْفُهَا: يَضْمُهَا، وَالْجُوجُؤُ: الصَّدْرُ وَمُتَجَافِيَا إِذَا بَرَكَ مُتَجَافِيَا
عَلَى قَوَائِمِهِ وَصَدْرِهِ.

وَيَجْعَلُهَا بَيْنَ الْجَنَاحِ وَدَفِّهِ وَيُنْفِرُهَا وَخَفَا مِنَ الرَّفِّ وَأَفِيَا^(١)
فَيَزْفُغُ عَنْهَا وَهِيَ بَيْضَاءُ طَلَّةُ وَقَدْ وَاجَهَتْ قَرْنًا مِنَ الشَّمْسِ ضَاحِيًا
بِأَحْسَنِ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ: أَرَا حِلًّا مَعَ الرُّكْبِ أَمْ قَاوٍ لَدَيْنَا لِيَالِيَا؟
فَإِنْ تَشَوَّ لَا تُمَلِّلْ وَإِنْ تُضَحِّحْ غَادِيَا تُرَوِّدْ وَتَرْجِعْ عَنْ عُمَيْرَةَ رَاضِيَا
وَمَنْ يَكُ لَا يَبْقَى عَلَى النَّأْيِ وَدُهُ فَقَدْ زَوَّدَتْ زَادًا عُمَيْرَةَ بَاقِيَا
أَلْكِنِي إِلَيْهَا عَمْرَكَ اللَّهُ يَا فَتَى بَأَيَّةِ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا^(٢)
تَهَادِي سَبِيلٍ فِي أَبَاطِحِ سَهْلَةٍ إِذَا مَا عَلَا صَمْدًا تَفَرَّعَ وَأَدِيَا
فَفَاءَتْ وَلَمْ تَقْضِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ وَمِنْ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ لِأَقِيَا
وَيَبْنَا، وَسَادَانَا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحَقْفِ تَهَادَاهُ الرِّيَاحُ تَهَادِيَا^(٣)
تُوسِدُنِي كَفًّا وَتَفْنِي بِمِعْصَمٍ عَلَيَّ وَتَرْمِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا
وَهَبْتُ لَنَا رِيحَ الشَّمَالِ بِقِرَّةٍ وَلَا تُؤَبِّ إِلَّا بُزْدَهَا وَرِدَائِيَا^(٤)
فَمَا زَالَ بُزْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَتَهَجَّ الْبُرْدُ بِأَلِيَا^(٥)
أَلِيَا طَيِّبَ الْجَنِّ بِاللَّهِ دَاوِنِي فَإِنَّ طَيِّبَ الْإِنْسِ أَعْيَاهُ مَا بِبَا
فَقَالَ: دَوَاءُ الْحُبِّ أَنْ تُلْصِقَ الْحَشَا بِأَخْشَاءِ مَنْ تَهَوَّى إِذَا كَانَ خَالِيَا
سَقْتَنِي عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْمَاءِ شَرِبَةً سَقَاهَا بِهَا اللَّهُ الذَّهَابَ الْغَوَادِيَا
وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ قَدْ رَأَيْتُهَا وَعِشْرِينَ مِنْهَا لَضَبْعًا مِنْ وَرَائِيَا

(١) الوحف: الجناح الكثيف الريش أو الشعر الكثيف، والرف: ريش النعام.

(٢) ألكني: أرسلني، أو أجعلني رسولاً إليها.

(٣) العَلَجُ: شَجَرٌ أَخْضَرٌ مُعْتَمُ الْخُضْرَةِ، وليس فيه ورق، والحقف: الرمل.

(٤) القرّة: البرد.

(٥) الحول: السنة.

أَقْلَبُهَا لِلْجَانِبَيْنِ وَأَنْقِي بِهَا الرِّيحَ وَالشُّفَانَ مِنْ عَن شَمَالِيَا^(١)
أَلَا أَبُهَا الْوَادِي الَّذِي ضَمَّ سَبِيلُهُ إِلَيْنَا نَوَى الْحَسَنَاءِ حُيَيْتَ وَأَدِيَا
فَبَا لَيْتَنِي وَالْعَامِرِيَّةُ نَلْتَقِي نَرُودُ لِأَهْلِينَا الرِّيَاضَ الْحَوَالِيَا
وَمَا بَرَحْتُ بِالذِّيرِ مِنْهَا أَثَارَةً وَيَالَجَوْ حَتَّى دَمَنْتُهُ لِيَالِيَا^(٢)
فَإِنْ تُقْبِلِي بِالْوُدِّ أَقْبِلْ بِمِثْلِهِ وَإِنْ تُدْبِرِي أَذْهَبْ إِلَيَّ حَالِ بَالِيَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي صَرُومٌ مُوَاصِلٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ لِشَيْءٍ مُّوَاتِيَا^(٣)
وَمَا جِئْتُهَا أَبْغِي الشُّفَاءَ بِنَظَرَةٍ فَأَبْصَرْتُهَا إِلَّا رَجَعْتُ بِدَائِيَا
وَلَا طَلَعَ النُّجُومُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ وَلَا الصُّبْحُ حَتَّى هَيَّجَا ذِكْرَ مَالِيَا
وَالْأَلْسَانِي الرَّاغِبَاتِ عَشِيَّةً إِلَى الْحَشْرِ اسْتَنْجِي الْحِسَانَ الْغَوَائِيَا^(٤)
أَغَالِي أَعْلَى اللَّهُ كَغَبَكَ عَالِيَا وَرَوَى بِرِيَاكَ الْعِظَامَ الْبَوَالِيَا
أَغَالِي لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي إِلَى جَبَلٍ صَغَبِ الدُّرَى لِأَنْحَنَى لِيَا
أَغَالِي مَا شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا بَدَتْ بِأَحْسَنِ مِمَّا بَيْنَ بُرْدَيْكَ عَالِيَا
أَشُوقًا وَلَمَّا يَمُضِ لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ رُوَيْدَ الْهُوَى حَتَّى يَغِيبَ لِيَالِيَا^(٥)
وَمَا جِئْتُ حَتَّى كُلِّ مَنْ شَاءَ وَابْتَنَى وَقُلْنَ: سَرَفْنَاكُمْ وَكُنَّ عَوَادِيَا^(٦)
أَلَا نَادَيْتُ أَثَارَهُنَّ الْغَوَائِيَا سُقَيْنَ سَمَامًا مَا لَهُنَّ وَمَا لِيَا؟
وَأَقْبَلْنَ مِنْ أَقْصَى الْبُبُوتِ يَعِدُنَنِي إِلَّا إِنَّمَا بَغْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

(١) الشُّفَانُ: الريح الباردة مع المطر.

(٢) أثارة: آثار، وتدمن: تجمّع وتكثّف.

(٣) الصروم: القوي القادر على القطيعة.

(٤) استنجى: قضى حاجته من الأمر بالنجوى.

(٥) رويد الهوى: أي أمهله.

(٦) سرفناكم: اغفلناكم.

تَجْمَعْنَ مِنْ شَيْءٍ : ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ وَوَاحِدَةٌ حَتَّى كَمَلْنَ ثَمَانِيَا
سُلَيْمَى وَسَلَمَى وَالرَّبَابُ وَتَرْبُهَا وَأَزَوَى وَرَبَا وَالْمُنَى وَقَطَامِيَا
وَأَقْبَلْنَ مِنْ أَقْصَى الْخِيَامِ يَعْدُنِي نَوَاهِدَ لَمْ يَعْرِفْنَ خَلْقًا سِوَانِيَا
يَعْدُنَ مَرِيضًا هُنَّ هَيْجَنَ دَاءَهُ أَلَا إِنَّمَا بَغَضَ الْعَوَائِدِ دَائِيَا
وَرَأَهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْنِي وَأَخَمَنِي عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَائِيَا
وَقَائِلَةِ وَالْدَّمْعُ يَخْدُرُ كُخْلَهَا : أَهَذَا الَّذِي وَجَدَا يُبْكِي الْعَوَانِيَا؟
فَلَمْ أَرِ مِثْلِي مُسْتَعْنِيًا بِشَرِيَّةٍ وَلَا مِثْلَ سَاقِينَا الْمُصْرَدِ سَاقِيَا^(١)
وَمِزِبٍ عَذَارَى بَشَنَ جَنْبِي مُوهِنَا مِنَ اللَّيْلِ قَدْ نَارَغْتَهُنَّ رِدَائِيَا
تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ نَحْمَلْنَ مِنْ جَنْبِي «شُرُورِي» عَوَادِيَا^(٢)
تَأْطُرْنَ حَتَّى قُلْتُ لَسَنَ بَوَارِحَا وَلَا لِاحِقَاتِ الْحَيِّ إِلَّا سَوَارِيَا^(٣)
أَخَذَنَ عَلَى الْمُقْرَأَةِ أَوْ عَنْ يَمِينِهَا إِذَا قُلْتُ قَدْ وَرَعَنَ أَنْزَلَنَ حَادِيَا^(٤)
أَشَارَتْ بِمِذْرَاهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا أَعْبُدْ بَنِي الْحَسْحَاسِ يُزْجِي الْقَوَافِيَا؟^(٥)
رَأَتْ رَجُلًا رَثَا وَسَخَقَ عَبَاءَةً وَأَسْوَدَ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ عَارِيَا
فَلَوْ كُنْتُ وَرَدًا أَبْيَضًا لَعَشَقْنِي وَلَكِنَّ رَبِّي شَأْنِي بِسَوَادِيَا
فَمَا ضَرَّنِي أَنْ كَانَتْ أُمِّي وَلِيدَةً تَصُرُّ وَتَبْرِي بِاللُّقَاحِ التَّوَادِيَا^(٦)

(١) السَّاقِي المصرد: السَّاقِي الذي يسقي القليل، ويقطع الشراب.

(٢) شُرُورِي: اسم جبل.

(٣) تَأْطُرْنَ: أَقْمَنَ فِي مَكَانِهِنَّ، وَلَمْ يَتَرُخَّه.

(٤) الْمُقْرَأَةُ: حَوْضٌ يَجْمَعُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ الْبَثْرِ، وَقِيلَ هُوَ الْآتِيَةُ الضَّخْمَةُ.

(٥) مِدْرَاهَا: مِشْطُهَا الَّذِي تَسْرُجُ بِهِ شَعْرَهَا.

(٦) الصَّرَا: الْخِيطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ «التَّوَادِي» وَهِيَ الْخَشَبَاتُ، عَلَى ضَرْعِ النَّاقَةِ الْوَلِيدِ

لثَلَا تَعْتَظُفُ عَلَى ابْنِهَا فَتَرْضَعُهُ.

فَقُلْ لِلْعَوَانِي مَا لَهُنَّ وَمَا لِيَا
يَرْجُلْنِ أَقْوَامًا وَيَشْرُكْنَ لُحْمِي
نَحْدَرْنَ مِنْ بِلْكَ الْهَضَابِ عَشِيَّةً
ذَهَبْنَ بِمَسْوَكِي وَأَبْقَيْنَ مَذْهَبًا
وَقُلْنَ الْأَقْلَعَيْنِ مَا لَمْ يَرُدْنَا
لَعِينٍ بِدُكْدَاكِ خَصِيبِ جَنَابِهِ
وَقُلْنَ لِصُغْرَاهِمِ أَنْتِ أَحَقُّنَا
فَقَامَتْ وَأَلْقَتْ بِالْخِمَارِ مُدْلَةً
وَمَا رُمْنُ حَتَّى أَرْسَلَ الْحَيُّ دَاعِيَا
تَمَارَيْنِ حَتَّى غَابَ نَجْمُ مُكَبَّدٍ
وَحَتَّى اسْتَبَانَ الْفَجْرُ أَشَقَرَ سَاطِعَا
فَأَذْبَرْنَ يَخْفِضَنَّ الشُّخُوصَ كَأَنَّمَا
وَأَضْبَحْنَ صَرَغِي فِي الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا
فَعَزَبْتُ نَفْسِي وَاجْتَنَبْتُ عَوَائِي
تَسَاقَيْنِ سُمًّا إِذْ رَأَيْنِ خَبَالِيَا
وَذَاكَ هَوَانٌ ظَاهِرٌ قَدْ بَدَا لِيَا^(١)
إِلَى الطَّلَعِ يَبْغَيْنِ الْهَوَى وَالتَّصَابِيَا^(٢)
مِنْ الصُّوْغِ فِي صُغْرِي بَنَانِ شِمَالِيَا
نُعَاسٌ وَمَا لَمْ يَرْسُلُوا لِي دَاعِيَا
وَأَلْقَيْنِ عَنْ أَغْطَافِهِنَّ الْمَرَادِيَا^(٣)
بِطَرْحِ الرَّدَاءِ إِنْ أَرَدْتَ التَّبَاهِيَا
تَفَادَى الْقِصَارُ السَّوْدُ مِنْهَا تَفَادِيَا^(٤)
وَحَتَّى بَدَا الصُّبْحُ الَّذِي كَانَ تَالِيَا
وَحَتَّى بَدَا النَّجْمُ الَّذِي كَانَ تَالِيَا^(٥)
كَأَنَّ عَلَى أَغْلَاهُ سِبًّا يَمَانِيَا^(٦)
قَتَلْنَ قَتِيلَا أَوْ أَصَبْنَ الدَّوَاهِيَا
شَرِبْنَ مُدَامًا مَا يُجِبُّنِ الْمُنَادِيَا
وَقَرَّبْتُ حُرْجُوجَ الْعَشِيَّةِ نَاجِيَا^(٧)

(١) لُحْمِي: مثلي.

(٢) الطَّلَعُ: المنخفض.

(٣) الدُّكْدَاكُ: السُّهْلُ، أو ما استوى من الأرض، والأغْطَافُ: الأكتاف، والمرادي: الأردنية.

(٤) مُدْلَةٌ: ذات دلالٍ وَغَنَجٍ.

(٥) تَمَارَيْنِ: أَخْلَقْنَ دَعْوَةَ الدَّاعِي، وَشَكَّكَ فِيهَا، وَنَجْمُ مُكَبَّدٍ: النَجْمُ الَّذِي يَطْلُعُ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ.

(٦) السِّبُّ: الْخِمَارُ، وَكَذَلِكَ هُوَ الْعَمَامَةُ.

(٧) الْحُرْجُوجُ: النَّاقَةُ الضَّامِرَةُ.

مَرُوحًا إِذَا صَامَ النَّهَارُ كَأَنَّمَا كَسَوْتُ قُتُودِي نَاصِعَ اللَّوْنِ، طَاوِيَا^(١)
شَبُوبًا تَحَامَاهُ الْكِلابُ تَحَامِيَا هُوَ اللَّيْتُ مَغْدُورًا عَلَيْهِ وَعَادِيَا^(٢)
حَمَتُهُ الْعَشَاءَ لَيْلَةً ذَاتُ قِرَّةٍ بَوَّغَسَاءِ رَمَلٍ أَوْ بِحَزْنَانٍ خَالِيَا^(٣)
يَشْتِيرُ وَيُبْدِي عَن عُرُوقٍ كَأَنَّهَا أَهْنَةُ خَرَّازٍ جَدِيدًا وَيَالِيَا
يُتَحَيُّ تَرَابًا عَن مَبِيتٍ وَمَكْنَسٍ رُكَّامًا كَبِيتِ الصَّيْدِنَانِي دَانِيَا^(٤)
فَصَبَّحَهُ الرَّامِي مِنَ الْعَوَثِ غُدْوَةً بِأَكْلِبِهِ يُغْرِي الْكِلابَ الضُّوَارِيَا
فَجَالَ عَلَى وَخَشِيهِ وَتَخَالَهُ عَلَى مَتْنِهِ سَبًّا جَدِيدًا يَمَانِيَا
يَذُودُ ذِيَادَ الْخَامِسَاتِ وَقَدْ بَدَتْ سَوَابِقُهَا مِنَ الْكِلابِ غَوَاشِيَا^(٥)
قَدَغَ ذَا، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ حَبِيئًا مُنْجِدًا مُتَعَالِيَا^(٦)
يُضِيءُ سَنَاهُ الْهَضْبِ هَضْبَ «مُتَالِيعٍ» وَحُبِّ بِذَاكَ الْهَضْبِ لَوْ كَانَ دَانِيَا^(٧)
نَعَمْتُ بِهِ عَيْنًا وَأَبْقَنْتُ أَنَّهُ يَحْطُ الْوُعُولَ وَالصُّخُورَ الرَّوَاسِيَا
فَمَا حَرَّكَتُهُ الرِّيحُ حَتَّى حَسِبْتُهُ «بِحَرَّةٍ لَيْلِي» أَوْ «بِنَخْلَةٍ» ثَاوِيَا^(٨)

(١) المَرُوحُ: من المَرَح، وقيل هو المغمور بالطيب والعطر، وصام النهار: طال، والقُتود: من أدوات الرُّخْل.

(٢) شَبُوبًا: إذا رفع قوائمه الأمامية، وهنا وصف للناقة أو الفرس.

(٣) لَيْلَةً ذَاتُ قِرَّةٍ: ليلة باردة، والوعساء: الأرض اللينة ذات الرَّمْل، وَالْحَزْنَان: الأرض الغليظة، وهو موضع في الجزيرة.

(٤) المَكْنَسُ: الموضع الذي تأوي إليه الطباء، والصَّيْدِنَانِي: الثعلب.

(٥) الْخَامِسَاتُ: الإبل إذا جاءت الماء بعد المنع لخمسَةِ أيام، فتكون شديدة العطش يصعب منعها وذودها عن الماء.

(٦) الْحَبِيَّ: السحاب المتراكم، ومنجد: ظهر من ناحية نجد، وقيل هو المرتفع.

(٧) مُتَالِيعٌ: اسم جبل.

(٨) حَرَّةٌ لَيْلِي: اسم موضع، والحرار في الجزيرة كثيرة، فكلُّ أرض ذات حجارة =

فَمَرَّ عَلَى الْأَنْهَاءِ فَالْتَجَّ مُرْتُهُ فَعَقَّ طَوِيلًا يَسْكُبُ الْمَاءَ سَاجِيًا^(١)
رُكَامًا يَسُحُ الْمَاءَ مِنْ كُلِّ فَبِقَّةٍ كَمَا سُفَّتْ مَنَكُوبَ الدَّوَابِرِ حَافِيًا^(٢)
وَمَرَّ عَلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالٍ طَبِيٍّ فَعَادَرَ بِالْقَيْعَانِ رَنَقًا وَصَافِيًا^(٣)
أَجَشُّ هَزِيمٍ سَبِيلُهُ مَعَ وَذَقِهِ تَرَى خَشَبَ الْغُلَّانِ فِيهِ طَوَافِيًا^(٤)
لَهُ فُرْقٌ مِنْهُ يُنْتَجَنُ حَوْلُهُ يُفَقِّنُ بِالْمَيْثِ الدَّمَائِ السَّوَابِيَا^(٥)
فَلَمَّا تَدَلَّى لِلْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَأَهْلِ الْفُرَاتِ قَاطَعَ الْبَحْرَ مَا ضِيَا
أَثَارَ خَنَازِيرِ السَّوَادِ إِزْنَجَارُهُ وَجَادَتِ أَعَالِيهِ الْعَقَبِيُّ الْمُعَالِيَا^(٦)
بَكَى شَجْوَهُ وَاعْتَظَ حَتَّى حَسِبْتُهُ مِنَ الْبُعْدِ لَمَّا جَلَجَلَ الرَّعْدُ حَادِيَا
فَأُصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ عَرْفَى وَأُصْبَحَتْ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَلْتَقِطُنَ الصَّيَاصِيَا^(٧)

= سوداء سميت حَرَّةً، ونخلة: موضع بين مكة والطائف.

(١) عَقَّ السَّحَابُ: دفع ماءه، وكلُّ شَيْءٍ أَوْ خَرَقٍ هُوَ عَقٌّ، والأنهاء: غدران المياه،
وساجيا: فاتر.

(٢) الفَبِقَّةُ: كلُّ مُجْتَمِعٍ لِلسَّحَابِ، وجمعها أفَاقِقُ: وهي ما اجتمع في السَّحَابِ من
ماء، فهو يَمُطِرُ فَبِقَةً بعد فَبِقَةٍ، أي ساعة بعد ساعة، ومنكوب الدوابر: الفرس التي
تحاول العدول عن طريقها بسبب كثرة الحجر تحت حافرها.

(٣) الرَنَقُ: تراب وشوائب في الماء.

(٤) أَجَشُّ: يقصد به شدة صوت الرعد، وهزيمٌ: متدفقٌ، والودقُ: المطر. والغلان:
نوعٌ من الأشجار ينبت في الأودية، وطوافيا: طافيات على السَّيْلِ.

(٥) يَفَقِّنُ: يشققن، والْمَيْثُ الدَّمَائُ: الرُّمَالُ اللَّيْنَةُ، وهو يَصِفُ السَّحَابَةَ وَيَشَبِّهُهَا
بِالنَّاقَةِ الَّتِي يَأْتِيهَا الْمَخَاضُ فَتَفَارِقُ أَهْلَهَا لِنَلْدَةٍ، ولا يعرف مكانها فهي فَارِقٌ.

(٦) الْعَقَبِيُّ: ما يشقُّ السَّيْلَ، على الأرض.

(٧) الصَّيَاصِي: صَنَارَةُ الْحَائِكِ وَالنَّسَاجِ، وهي تصنع أساساً من قرون البقر، ويقصد بها
هنا أن النساء يلتقطن قرون البقر الميتة في السَّيْلِ ليجعلنها صياصي، وهذا البيت =

وَالْأَفْحَوْ جِينَن تَنْدَى دِمَائُهُ عَلَى حَرَامٍ جِينَن أَضْبَحَ عَادِيَا^(١)
فَلِنْ تَرْتَحِلْ شَامَا فَشَامَا نَوْدُهُ وَإِنْ يَمَنَّا فَالْقَلْبُ صَبُّ يَمَانِيَا

= يردُّ في شعر النابغة .

(١) خو: كثيب رملي بنجد ويوم خو: من أيام القتال في تاريخ العرب .

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ

يَتِيْمَةُ الْجَاهِلِيَّةِ

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ الْبُشَيْرِيُّ، شَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ النَّضْرَانِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ، دَخَلَ الْإِسْلَامَ، سُجِنَ لِهَجَائِهِ قَوْمَهُ. قَصِيدَتُهُ هَذِهِ فَضَّلَهَا الْأَضْمَعِيُّ، وَقَالَ: الْعَرَبُ تُفَضِّلُهَا وَتَقْدِّمُهَا وَتَعُدُّهَا مِنْ حِكْمِهَا. وَأَضَافَ: كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُسَمَّى: «الْيَتِيْمَةُ» وَوَصَفَهَا الْخَالِدِيَّانِ فِي «الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ» بِأَجْوَدِ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ قَدَّمَاهَا عَلَى سَائِرِ قَصَائِدِهِمْ. يُمَكِّنُ الْقَوْلُ عَنْ يَتِيْمَةِ سُوَيْدٍ هَذِهِ بِأَنَّهَا «مُعَلَّقَةٌ مُغْفَلَةٌ» فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ، الَّتِي تَفُوقُ فِي عَدَدِ أَيْبَاتِهَا عَدَدَ أَيْبَاتِ الْمُعَلَّقَاتِ الطُّوَالِ كَمُعَلَّقَةِ طَرْفَةٍ، وَالْحَارِثِ بْنِ حِلِزَةَ، وَامْرِئِ الْقَيْسِ، وَغَنَتَرَةَ الْعَبْسِيِّ، جَمَعَتْ كُلَّ الْأَغْرَاضِ الشُّعْرِيَّةِ تَقْرِيبًا، مِنْ غَزَلٍ نَادِرٍ، وَوَصْفٍ بَاهِرٍ، وَهَجَاءٍ سَاجِرٍ، وَفَخْرٍ، وَرِخْلَةٍ، وَجَسَدَتْ كُلَّ ذَلِكَ فِي بِنَاءٍ مُحْكَمٍ وَشَاعَرِيَّةٍ عَالِيَةٍ.

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ
حُرَّةً نَجْلُو شَتِيئًا وَأُضْحَا كَشْعَاعِ الشَّمْسِ فِي الْغَيْمِ سَطَعَ^(١)

(١) الشَّتِيْتُ: الثَّغَرُ الْأَفْلَجُ الْأَسَانُ، أَيْ بَيْنَ أَسْنَانِهِ مَفْرَقٌ.

صَقَلْتُهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ مِنْ أَرَاكِ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعِ
أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَذِيذًا طَعْمُهُ طَيِّبَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَغَ
تَمْنَعُ الْمَرَاةَ وَجْهًا وَأَضْحَا مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصُّخْرِ إِزْتَفَعِ
صَافِي اللَّوْنِ وَطَرَفًا سَاجِيًا أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ مَا فِيهِ قَمْعٌ ^(١)
وَقُرُونًا سَابِغًا أَطْرَافَهَا غَلَّلَتْهَا رِيحُ مِسْكِ ذِي فَتَعٍ ^(٢)
هَبَّجَ الشُّوقَ خَيَالُ زَائِرٍ مِنْ حَبِيبٍ خَفِيرٍ فِيهِ قَدَعٌ ^(٣)
شَاحِطٍ جَازٍ إِلَى أَرْحُلِنَا عُصَبَ الْغَابِ طُرُوقًا لَمْ يَرَعِ ^(٤)
أَنَسَ كَأَن إِذَا مَا اغْتَادَنِي حَالَ دُونَ النَّوْمِ مِنِّي فَاثْمَنَعِ
وَكَذَلِكَ الْحُبُّ مَا أَشْجَعَهُ يَزْكِبُ الْهَوْلَ وَيَغْصِي مَنْ وَزَعٌ ^(٥)
فَأَبَيْتُ اللَّيْلَ مَا أَزُقُّدُهُ وَبِعَيْنِي إِذَا نَجْمٌ طَلَعِ
وَإِذَا مَا قُلْتُ لَيْلٌ قَدْ مَضَى عَطَفَ الْأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعِ
يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجُومًا ظُلُمًا فَتَوَالِيهَا بِطَيِّئَاتِ الثَّبَعِ ^(٦)
وَيُرْجِيهَا عَلَى إِنِّطَائِهَا مُغْرَبُ اللَّوْنِ إِذَا اللَّوْنُ انْقَشَعِ
قَدَعَانِي حُبٌّ سَلَمَنِي بَعْدَمَا ذَهَبَ الْجِدَّةُ مِنِّي وَالرَّيْعُ ^(٧)

(١) القمعُ: الشوائب واحمرار العين.

(٢) الفتعُ: المسك ذو الرائحة الزكية.

(٣) امرأةٌ قدَعٌ: قليلة الكلام حية.

(٤) الشاحطُ: بعيد الدار، وعصب الغاب: أشجار الغابات الكثيفة، أي: اجتازها في الليل دون خوف.

(٥) الوزعُ: الولع.

(٦) نجومٌ ظلع: نجومٌ في سيرها غمز وعرج واضح، والتبع: التي تتبعها.

(٧) الجِدَّةُ: الجديد والرَّيْعُ: من الربعان وهو مقبل العمر.

خَبَلْتَنِي ثُمَّ لَمَّا تُشَفِّنِي فَنُؤَادِي كُلُّ أَوْبٍ مَا اجْتَمَعَ
وَدَعْتَنِي بِرُقَاةَا إِنَّهَا تُنَزِّلُ الْأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ الْيَفْعِ ^(١)
تُسْمِعُ الْحَدَاثَ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يُسْتَمَعَ
كَمْ قَطَعْنَا دُونَ سَلَمَى مَهْمَهَا نَازَحَ الْغُورِ إِذَا الْآلُ لَمَعَ ^(٢)
فِي حَرُورٍ يُنْضِجُ اللَّحْمَ بِهَا يَأْخُذُ السَّائِرَ فِيهَا كَالصَّقَعِ ^(٣)
وَتَخْطُبْتُ إِلَيْهَا مِنْ عُدَى بِزِمَاعِ الْأَمْرِ وَالْهَمِّ الْكِنَعِ ^(٤)
وَفَلَاةٍ وَأَضْحَ أَقْرَابَهَا بِالْبَيَاتِ مِثْلَ مُرْقَتِ الْقَرْعِ ^(٥)
يَسْبَحُ الْآلُ عَلَى أَغْلَامِهَا وَعَلَى الْبَيْدِ إِذَا الْبَيُومُ مَتَعَ ^(٦)
فَرَكِبْنَاهَا عَلَى مَجْهُولِهَا بِصِلَابِ الْأَرْضِ فِيهِنَّ شَجَعٌ ^(٧)
كَالْمَغَالِي عَارِفَاتٍ لِلسَّرَى مُسْتَفَاتٍ لَمْ تُوشَمَ بِالنَّسَعِ ^(٨)

(١) الأعصم: الغراب الذي يكون في جناحه ريش أبيض، وقيل هو الوعل الذي ذراعا،
بيضاء وكلاهما من النوادر، واليفع: الأعالي.

(٢) المهمة: القفار، والآل: السراب.

(٣) الحرور: من الحرارة وهو جمعها، والصقع: الضرب على الرأس، وهو مجاز هنا
أي ضربه الحر على رأسه لشدة حره.

(٤) الزماع: العزم على الأمر والهم الكنع: بمعنى الهم الدائم والمتجمع.

(٥) المرفق: من الرفات وهو الحطام: والقزع من الصوف: ما تناتف في الربيع
نسقط، والقزع أيضاً: قطع متفرقة من السحاب.

(٦) متع: أرتفع وطال.

(٧) الشجع في الخيل والإبل: سرعة القوائم.

(٨) المغالي: المرامي الذي يباري برمي السهام وهنا يصف سرعة الخيول، ومُسْتَفَاتٍ:

الخيول حين توضع الأسنفة «الأحزمة» على بطنها إذا ضمرت، والنسع: زمام
الخيول حين يُضْفَرُ على صدرها.

فَتَرَاهَا عَصْفًا مُنْعَلَةً بِنَعَالِ الْقَيْنِ يَكْفِيهَا الْوَقْعُ^(١)
يَذْرِغْنَ اللَّيْلَ يَهُونَنَّ بِنَا كَهَوَى الْكُدْرِ صَبْحَنَ الشَّرْعُ^(٢)
فَتَنَاوَلْنَ غَشَاشًا مِنْهَلًا ثُمَّ وَجْهَنَ لَأَرْضٍ تُنْتَجِعُ^(٣)
مِنْ بَنِي بَكْرِ بِهَا مَمْلَكَةٌ مَنْظَرُ فِينِهِمْ وَفِيهِمْ مُسْتَمَعٌ
بُسْطُ الْأَيْدِي إِذَا مَا سُئِلُوا نَفْعُ النَّائِلِ إِنْ شِئَ نَفْعُ^(٤)
مِنْ أَنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُخْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ
عُرِفَ لِلْحَقِّ مَا نَعِيَ بِهِ عِنْدَ مُرِّ الْأَمْرِ مَا فِينَا خَرَعُ^(٥)
وَإِذَا هَبَّتْ شِمَالًا أَطْعَمُوا فِي قُدُورٍ مُشْبَعَاتٍ لَمْ تُجْعِ
وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ مِلَّتْ مِنْ سَمِينَاتِ الذَّرَى فِينَهَا تَرَعُ^(٦)
لَا يَخَافُ الْغَدْرَ مَنْ جَاوَرَهُمْ أَبَدًا مِنْهُمْ وَلَا يَخْشَى الطَّبَعُ^(٧)
وَمَسَامِيحُ بِمَا ضَنَّ بِهِ حَاسِرُوا الْأَنْفُسَ عَنْ سُوءِ الطَّمَعِ

(١) القَيْنُ: الحداد، ونعال القين الحدوات.

(٢) الكدْرُ: القطا، والشرع: موارد الماء، أراد تشبيه مشيهم أو مشي الخيول بهم، كلهفة القطا التي تأتي في الصباح إلى مناهل الماء لتشرب.

(٣) غشاشاً على عجل: يقصد أن القطا تأتي المنهل وتشرب بسرعة ثم تطير لأرض ملأى بالعشب.

(٤) النائل: السخي في العطاء، الجواد.

(٥) الخرْع: الضعف.

(٦) الجِفَان: جَمْعُ جَفْنَةٍ: وعاء كبير للطعام، والجوابي: حوض كبير والمعنى: أوعية للطعام كالبر في سعة، جاء في القرآن في الآية ١٣ من سورة سبأ ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾.

(٧) الطبع: الدنس والتلطيخ في العرض.

حَسَنُوا الْأَوْجُهَ بِبِضْ سَادَةٌ وَمَرَّاجِيحُ إِذَا جَدَّ الْفَرْعُ^(١)
 وَرُزُّ الْأَخْلَامِ إِنْ هُمْ وَارْتُوا صَادِقُوا الْبَاسِ إِذَا الْبَاسُ نَصَحَ
 وَلُبُوثُ تُتَقَى عُرْتُهَا سَاكِنُوا الرِّيحَ إِذَا طَارَ الْقَرْعُ^(٢)
 فِيهِمْ يُنْكِي عَدُوَّ وَبِهِمْ يَزَابُ الشَّغْبُ إِذَا الشَّغْبُ انْصَدَعَ
 عَادَةٌ كَانَتْ لَهُمْ مَغْلُومَةٌ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ لَيْسَتْ بِالْبِلْعِ
 وَإِذَا مَا حُمِلُوا لَمْ يَظْلَعُوا وَإِذَا حَمَلَتْ ذَا الشَّقِّ ظَلَعُ^(٣)
 صَالِحُوا أَكْفَأُهُمْ خَلَاءُهُمْ وَسَرَاةُ الْأَضَلِّ وَالنَّاسُ شَبِيحُ
 أَرْقُ الْعَيْنِ خَيَالٌ لَمْ يَدْعُ مِنْ سُلَيْمَى فَفَوَّادِي مُنْتَرِ
 حَلْ أَهْلِي حَيْثُ لَا أَطْلُبُهَا جَانِبَ الْحَضَرِ وَحَلَّتْ بِالْفَرْعِ^(٤)
 لَا الْأَتْبِيهَا وَقَلْبِي عِنْدَهَا غَيْرَ إِمَامٍ إِذَا الطَّرْفُ هَجَعَ
 كَالْتَّوَامِيَةِ إِنْ بَاشَرْتَهَا قَرَّتْ الْعَيْنُ وَطَابَ الْمُضْطَجِعُ^(٥)
 بَكَرَتْ مُزْمِعَةً نَيْتُهَا وَحَدَا الْحَادِي بِهَا ثُمَّ انْدَفَعَ
 وَكَرِيْمٌ عِنْدَهَا مُكْتَبَلٌ غَلِقَ إِثْرَ الْقَطِينِ الْمُتَّبَعِ^(٦)

(١) مراجيح: قوم مراجيح: يرجحون الحلم عند الغضب.

(٢) عُرْتُهَا: صوتها إذا استشاط بها الغضب. القرع: السحاب المتفرق، كلطخة في السماء تشبه الظل.

(٣) لَمْ يَظْلَعُوا: لم ينوءوا بحملهم، وذو الشق، الجبل.

(٤) الْحَضَرُ: مدينة عربية قديمة تقع على بعد ٨٠ كيلومترا جنوب الموصل الحالية، والفرع: تقع بين الكوفة والبصرة.

(٥) التَّوَامِيَةُ: قصبة على ساحل عمان، ولها ينسب الدر والصدف واللؤلؤ، وهو اسم للؤلؤ أساساً.

(٦) مكتبل: مقيد بالأكبال للمجاز، غلق: ملازم لا يفارق: يقال لكل شيء تَشَبَّهَ فِي شيء فلزمه قد غَلِقَ، غَلِقَ فِي الْبَاطِلِ، وَغَلِقَ فِي الْبَيْعِ، الْقَطِينِ: الْقَاطِنِ فِي الدَّارِ.

فَكَأَنِّي إِذْ جَرَى الْأَلْ ضَحَى فَوْقَ ذِيَالٍ بِخَدْبِهِ سَفَعٌ^(١)
كَفُّ خَدَاهُ عَلَى دِيْبَاجَةٍ وَعَلَى الْمَثْنَيْنِ لَوْنٌ قَدْ سَطَعَ
يَبْسُطُ الْمَشْيَ إِذَا هَبَّجَتْهُ مِثْلَ مَا يَبْسُطُ فِي الْخَطْوِ الذَّرْعُ
رَاعَهُ مِنْ طَبِيعِ ذُو أَسْهُمٍ وَضِرَاءٌ كُنَّ يُبْلِيْنَ الشَّرْعُ^(٢)
فَرَأَهُنَّ وَلَمَّا يَسْتَبِينَ وَكِلَابُ الصَّيْدِ فِيهِنَّ جَشَعُ
ثُمَّ وَلَّى وَجَنَابَانِ لَهُ مِنْ غُبَارِ أَكْدَرِيٍّ وَاتَّدَعَ^(٣)
فَتَرَاهُنَّ عَلَى مُهَلَّتِهِ يَخْتَلِينَ الْأَرْضَ وَالشَّاءَ يَلْعُ^(٤)
ذَانِيَاتٍ مَا تَلْبُسْنَ بِهِ وَائِقَاتٍ بِدِمَاءٍ إِنْ رَجَعَ
يُزْهِبُ الشَّدَّ إِذَا أَرْهَقْنَهُ وَإِذَا بَرَّرَ مِنْهُنَّ رَبْعُ^(٥)
سَاكِنُ الْقَفْرِ أَخُو دَوِيَّةٍ فَإِذَا مَا آتَسَ الصَّوْتُ إِمْصَعُ^(٦)

كَتَبَ الرَّحْمَنُ وَالْحَمْدُ لَهُ سَعَةُ الْأَخْلَاقِ فِينَا وَالضَّلْعُ^(٧)
وَإِبَاءٌ لِلذَّنِيَّاتِ إِذَا أُعْطِيَ الْمَكْثُورُ ضَيْمًا فَكَنَعَ^(٨)

(١) ذِيَالٌ: طويل الذنب، والسَفَعُ: السَّوَادُ، وقيل هو سوادٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ، وهو هنا يصف الثَّوْرَ الْوَحْشِيَّ.

(٢) الضِرَاءُ: من الضراوة، وهي الكلاب التي اعتادت الصيد، والشَّرْعُ: التمزيق والسلخ.

(٣) الاكدرِي: ذُو كِدْرَةٍ غَيْر صَافٍ: واتَّدَعَ: مشى بِلَدِيَّةٍ وَرَاحَةٍ.

(٤) يَلْعُ: لا يعدو بجِد، فكأنه يلعب.

(٥) رَبْعٌ: لَبِثٌ فِي مَكَانِهِ وَوَقَفَ خَائِفًا.

(٦) الدَّوِيَّةُ: الفلاة، وامْصَعُ: انسحب بِسُرْعَةٍ.

(٧) الضَّلْعُ: الْقُوَّةُ وَاحْتِمَالُ الثَّقِيلِ.

(٨): رَجُلٌ مَكْثُورٌ عَلَيْهِ: إِذَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْحَقُوقُ وَالْمَطَالِبَاتُ، عِنْدَهُ جَمْعٌ مِنَ النَّاسِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَشْيَاءَ فَكَأَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ حَقُوقًا فَهُمْ يَطْلُبُونَهَا، وَفِي حَدِيثٍ مَقْتُلُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ: «مَا=

وَبِنَاءَ لِلْمَعَالِي إِنَّمَا يَرْفَعُ اللَّهُ وَمَنْ شَاءَ وَصَفَّ
نِعَمَ لِلَّهِ فَبِنَاءُ رَيْهَا وَصَنِيعُ اللَّهِ وَاللَّهُ صَنَعَ^(١)
كَيْفَ بِاسْتِغْفَارِ خُرُشَاحِطٍ بِبِلَادِ لَيْسَ فِيهَا مُتَسَخِّعٌ^(٢)
لَا يُزِيدُ الدُّفْرَ عَنْهَا حَوْلًا جُرْعَ الْمَوْتِ وَلِلْمَوْتِ جُرْعٌ
رُبَّ مَنْ أَنْصَحْتُ غَبِظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْغِ
وَتَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَرِجُ
مُزِيدٌ يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرْنِي فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْقَمَعَ
قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَتَى مَا يَكْفِ شَيْئًا لَا يُضْغِ
بِشَسْ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابِنِي مَطْعَمٌ وَخَمٌّ وَدَاءٌ يُنْتَرِجُ
لَمْ يَضُرْنِي غَيْرَ أَنْ يَخْسُدَنِي فَهُوَ يَزُقُّو مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوْعُ^(٣)
وَيُحْبِسُنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَغُ
مُسْتَسِيرُ الشَّنْءِ لَوْ يَفْقِدُنِي لَبَدَا مِنْهُ ذُبَابٌ فَنَبَغُ^(٤)
سَاءَ مَا ظَنُّوا وَقَدْ أَبْلَيْتُهُمْ عِنْدَ غَايَاتِ الْمَدَى كَيْفَ أَقْعُ
صَاحِبُ الْمِثْرَةِ لَا يَسْأَمُهَا يُوقِدُ النَّارَ إِذَا الشَّرُّ سَطَعَ^(٥)

-
- = رأينا مكثوراً أجزاً مفقداً منه، والمكثور: المغلوب، وهو الذي تكاثر عليه الناس
فقهروه، أي: ما رأينا مهوراً أجزاً إقداماً منه، وكثف: بمعنى ضَعَفَ ولان.
(١) رَيْهَا: أصلها رَأَتْهَا.
(٢) الشَّاحِطُ: البعيد والمضطرب وهي هنا بالمعنى الثاني.
(٣) يَزُقُّو: يصيح ويصيح، والضُّوْعُ: طائر أصفر من البومة من طيور الليل إذا أَحَسَّ
بالصُّبْحِ صَدَحَ.
(٤) الشَّنْءُ: البغض، أي يخفي لي الكراهية.
(٥) المِثْرَةُ: العداوة.

أَضَقُّ النَّاسَ بِرَجْمِ صَائِبٍ لَيْسَ بِالطَّيِّسِ وَلَا بِالْمُرْتَجِعِ
فَارَغُ السُّوْطِ فَمَا يَجْهَدُنِي ثَلِبٌ عَوْدٌ وَلَا شَخْتُ ضَرَعٍ^(١)
كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا لَاحَ فِي الرَّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَعٌ^(٢)
وَرِثَ الْبِغْضَةَ عَنْ آبَائِهِ حَافِظُ الْعَقْلِ لَمَّا كَانَ اسْتَمَعٌ^(٣)
فَسَعَى مَسْعَاتِهِمْ فِي قَوْمِهِ ثُمَّ لَمْ يَظْفَرْ وَلَا عَجَزاً وَدَعٌ^(٤)
زَرَعَ الدَّاءَ وَلَمْ يُذْرِكْ بِهِ نِيرَةً فَآتَتْ وَلَا وَهِيّاً رَقَعٌ^(٥)
مُفْعِياً يَزِمُنِي صَفَاءُ لَمْ تُرَمِ فِي ذُرَى أُعْطِطَ وَغَرِ الْمُطْلَعُ^(٦)
مَغِيقٌ يَأْمَنُ مَنْ كَانَ بِهِ غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَهُ أَنْ تُقْتَلَعُ
غَلَبَتْ عَاداً وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَأَبَتْ بَعْدُ فَلَيْسَتْ تُتَضَعُ^(٧)
لَا يَرَاهَا النَّاسُ إِلَّا فَوْقَهُمْ فَهِيَ تَأْتِي كَيْفَ شَاءَتْ وَتَدَعُ
وَهُوَ يَزِمُهَا وَلَنْ يَبْلُغَهَا رِعَةُ الْجَاهِلِ يَرْضَى مَا صَنَعَ^(٨)
كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى انْبِضَّتَا فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعُ^(٩)

(١) ثَلِبٌ: خاتِرٌ، والعَوْدُ: الْمُسْنُ الْهَرِمُ مِنَ الْإِبِلِ، وَشَخْتُ: هَزِيلٌ.

(٢) السُّقَاطُ: الْعَثْرَةُ وَالزَّلَّةُ.

(٣) الْبِغْضَةُ: شِدَّةُ الْبَغْضِ.

(٤) وَدَعٌ: تَرَكَ.

(٥) النِّيرَةُ: مِنَ الْوَثْرِ، وَهُوَ الثَّأْرُ؛ وَالْوَهْيُ: الشَّقُّ فِي الشَّيْءِ.

(٦) الْإِقْعَاءُ: أَنْ يَلْصُقَ الرَّجُلُ إِلَيْتِيهِ بِالْأَرْضِ، وَيَنْصَبُ سَاقِيهِ، وَيَضَعُ يَدَيْهِ بِالْأَرْضِ. وَالصَّفَاءُ: الْحَصَاةُ، وَالْأُعِطُ: الْعَالِي وَالطَّوِيلُ، وَيُرِيدُ بِهِ هُنَا سَوْرَ قَصْرِ مَنِيْفٍ.

(٧) تُتَضَعُ: تَهْبِطُ وَتَنْخَفِضُ.

(٨) رِعَةُ الْجَاهِلِ: حَالَتُهُ.

(٩) الْأَكْمَةُ: الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى، وَقَدْ اسْتَعَارَ سُورِدُ اللَّفْظَ فَجَعَلَ الْعَمَى عَارِضاً.

إِذْ رَأَى أَنْ لَمْ يَضُرْهَا جَهْدُهُ وَرَأَى خَلْقَاءَ مَا فِيهَا طَمَعٌ^(١)
 تَغْضِبُ الْقَرْنَ إِذَا نَاطَحَهَا وَإِذَا صَابَ بِهَا الْمِرْدَى انْجَزَعُ^(٢)
 وَإِذَا مَا رَأَاهَا أَغْيَابِهِ قَلَّةُ الْعُدَّةِ قِدَمًا وَالْجَدَعُ^(٣)
 وَعَدُّوْ جَاهِدٍ نَاضِلْتُهُ فِي تَرَاحِي الدُّهْرِ عَنْكُمْ وَالْجَمْعُ
 فَتَسَاتَيْنَا بِمُرْنَاتِهِ فِي مَقَامٍ لَيْسَ يَنْفِيهِ الْوَرَعُ
 وَارْتَمَيْنَا وَالْأَعَادِي شُهُدُ بِنِبَالٍ ذَاتِ سُمْ قَدْ نَقَعُ
 بِنِبَالٍ كُلُّهَا مَذْرُوبَةٌ لَمْ يُطِقْ صَنَعَتَهَا إِلَّا صَنَعُ^(٤)
 خَرَجْتُ عَنْ بَغْضَةٍ بَيْنَةٍ فِي شَبَابِ الدُّهْرِ وَالْدُّهْرُ جَدَعُ^(٥)
 وَتَحَارَضْنَا وَقَالُوا إِنَّمَا يَنْصُرُ الْأَقْوَامُ مَنْ كَانَ ضَرَعُ^(٦)
 ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ لَا يَحْمِي اسْتَهُ طَائِرُ الْإِنْرَافِ عَنْهُ قَدْ وَقَعُ^(٧)
 سَاجِدَ الْمَنْخَرِ لَا يَرْفَعُهُ خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمَّ الْمُسْتَمَعُ
 فَرَمَيْتِي مَآرِبًا شَيْطَانُهُ حَيْثُ لَا يُعْطِي وَلَا شَيْئًا مَنَعُ
 فَرَمَيْتِي حِينَ لَا يَنْفَعُهُ مُوقِرَ الظَّهْرِ ذَلِيلَ الْمُتَضَعُ^(٨)

(١) الخلقاء: الملساء.

(٢) تغضب: تكسر والميردى: حجر يرمى به، ومنه قيل للرجل الشجاع: إنه لميردى حروب، وهم مرادي الحروب، وأنجزع: أنكسر من وسطه، تقول أنجزع الرمح: إذا انكسر نصفين.

(٣) الجدع: قلة الغذاء وسوؤه.

(٤) مذكوبة: حادة.

(٥) الجدع: الصغير السن، أو مقتبل العمر، وهو هنا استعارة للدهر.

(٦) وتحارضا: حض بعضنا بعضاً، على القتال والاشتباك، وضرع: ضعف وخضع.

(٧) استه: عجزته ومؤخرته. والإنراف: أثرف فلان: أصر على البقي.

(٨) موقر الظهر: ثقل الظهر يمشي بصعوبة، والمتضع: من اتضع، وهو نقيض

وَرَأَى مِنِّي مَقَامًا صَادِقًا ثَابِتَ الْمَوْطِنِ كَثَامَ الْوَجَعِ
وَلِسَانًا صَيْرَفِيًّا صَارِمًا كَحُسَامِ السَّيْفِ - مَا مَسَّ - قَطَعَ^(١)
وَأَتَانِي صَاحِبُ دُؤْغَيْبٍ زَفِيَانٌ عِنْدَ إِنْفَادِ الْقُرْعِ^(٢)
قَالَ لَبَيْكَ وَمَا اسْتَضَرَّخْتُهُ حَاقِرًا لِلنَّاسِ قَوَالِ الْقَذَعِ^(٣)
دُؤْغَبَابٍ زَيْدٌ أَذْيُهُ خَمِطُ الثَّيَارِ يَزِمِي بِالْقَلْعِ^(٤)
زَغْرِبِي مُسْتَعِزُّ بَحْرُهُ لَيْسَ لِلْمَاهِرِ فِيهِ مُطْلَعٌ^(٥)
هَلْ سُوَيْدٌ غَيْرُ لَيْثٍ خَادِرٍ ثُبُثْتُ أَرْضَ عَلَيْهِ فَاَنْتَجَعُ^(٦)

الارتفاع، أي دليل في جلوسه .

(١) الصَّيْرَفِيُّ المحتال المُتَقَلِّبُ في أموره المُتَصَرِّفُ في الأمور المُجَرَّبُ لها .

(٢) زفیان: سريع استعاره من «زفیان الريح» وهو شدة هبوبها، وإنفاد: من نفذ الشيء:
فني وانتهى، والقرع: جَمْعُ قُرْعَةٍ، وهي قرية الماء .

(٣) حَاقِرٌ لِلنَّاسِ: محتقراً لهم، والقذع: الكلام الفاحش السيئ .

(٤) الآذْيُ: الموج: وخمط: ملتطم، وبحر خمط الموج: ملتطمها، والقلع:
الصخور .

(٥) الزغربُ: الماء الكثير، وباء النسبة في زغربي للمبالغة، ومستعز: من العزة
والقوة، أي بحر عصي على العبور، ومُطْلَعٌ: مَخْرَجٌ .

(٦) أرضٌ ثلثة: أرض رطبة وندية .

مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ

خَيَالُ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ

كَانَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ لَصًّا فَاتِكَا، عَاشَ فِي بَدَايَةِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، وَلَمَّا وَلَّى مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ خُرَاسَانَ، لَقِيَ فِي طَرِيقِهِ ابْنَ الرَّيْبِ، فَأَقْنَعَهُ بِتَرْكِ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَالذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى خُرَاسَانَ بَعْدَ أَنْ أَغْرَاهُ بِالْمَالِ.

وَتَمَّةٌ رَوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ تُسَاقُ عَنْ طَرِيقَةِ مَوْتِهِ، إِذْ ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَنَّ حَيَّةً لَدَغَتْهُ وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى خُرَاسَانَ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِدُنُوِّ مَوْتِهِ قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، وَتَمَّةٌ مِنْ قَالَ: بَلْ أَنَّهُ قُتِلَ بِغَزْوِ سَعِيدِ نَفْسِهِ، إِذْ طُعِنَ بِرُمَحٍ وَقَالَ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ وَهُوَ يُتَارَعُ الْمَوْتُ. لَكِنَّ أَغْرَبَ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ مَا أَوْرَدَهُ الْبَغْدَادِيُّ فِي الْخِزَانَةِ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ الْجِنَّ هِيَ الَّتِي رَتْنَتْ لِمَا رَأَتْ مِنْ غُرْبَتِهِ وَوَحْدَتِهِ، وَوَضَعَتْ الْجِنَّ الصَّحِيفَةَ الَّتِي فِيهَا الْقَصِيدَةُ تَحْتَ رَأْسِهِ وَوَجَدَهَا النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ!

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لَيْسَتْ الْأُولَى فِي رِثَاءِ النَّفْسِ، إِذْ يَعُودُ مَوْضُوعُ رِثَاءِ النَّفْسِ إِلَى الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، حَيْثُ يُشِيرُ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي «الْأَوَائِلِ»، إِلَى أَنَّ الْمُمَزَّقَ الْعَبْدِيَّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَى نَفْسَهُ

فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، إِلَّا أَنَّ قَصِيدَةَ مَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ اشْتَهَرَتْ فِي هَذَا
 الْمَوْضُوعِ النَّادِرِ حَتَّى نَسَبَ صَاحِبُ الْأَغَانِي لِأَبِي عُبَيْدَةَ قَوْلَهُ إِنَّ مُجَمَّلَ
 مَا قَالَهُ ابْنُ الرَّيْبِ فِي قَصِيدَتِهِ هُوَ ثَلَاثَةُ عَشَرَ بَيْتًا لَكِنَّ إِعْجَابَ النَّاسِ بِهَا
 جَعَلَهُمْ يُضَيِّقُونَ لَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ وَوَلَدُوا لَهَا أَبْيَاتًا وَمَعَانِي حَتَّى بَلَغَتْ هَذَا
 الْحَجْمَ، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ قَصِيدَةَ ابْنِ الرَّيْبِ هَذِهِ تُعَدُّ مِنْ عُمُومِ
 الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَأُضْحَتْ «وَاحِدَةً» نَادِرَةً فِي تَارِيخِ الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ.

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنْ لَيْلَةً بِجَنْبِ الْغَضَا أَرْجِي الْقَلَاصَ التَّوَانِجِيَا
 فَلَيْتَ الْغَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرُّكْبَ عَرْضُهُ وَلَيْتَ الْغَضَا مَاشَى الرُّكَّابَ لِيَالِيَا
 وَلَيْتَ الْغَضَا يَوْمَ ارْتَحَلْنَا تَقَاصَرَتْ بِطُولِ الْغَضَا حَتَّى أَرَى مَنْ وَرَائِيَا
 لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَا لَوْ دَنَا الْغَضَا مَزَارٌ وَلَكِنَّ الْغَضَا لَيْسَ دَانِيَا
 أَلَمْ تَرْنِي بَغْتُ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَأُضْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّانَ غَارِيَا
 وَأُضْبَحْتُ فِي أَرْضِ الْأَعَادِي بَعْدَمَا أَرَانِي عَنْ أَرْضِ الْأَعَادِي نَائِيَا
 دَعَانِي الْهُوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصُحْبَتِي بِذِي الطَّبَسِينِ فَالْتَفْتُ وَرَائِيَا^(١)
 أَجَبْتُ الْهُوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ تَقَنَّفْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا
 أَقُولُ وَقَدْ حَالَتْ قُرَى الْكُرْدِ بَيْنَنَا جَزَى اللَّهُ عَمْرًا خَيْرَ مَا كَانَ جَارِيَا
 إِنْ اللَّهُ يُرْجِعْنِي مِنَ الْغَزْوِ لَا أَكُنْ وَإِنْ قُلَّ مَالِي - طَالِبًا مَا وَرَائِيَا
 تَقُولُ إِنِّي لَمَّا رَأْتُ وَشَكَ رِخْلَتِي سِفَارُكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَا لِيَا
 لَعَمْرِي لَيْتَ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا
 فَإِنْ أَنْجَ مِنْ بَابِي خُرَاسَانَ لَا أَعُدْ إِلَيْهَا وَإِنْ مَنَيْتُمُونِي الْأَمَانِيَا

(١) الطَّبَسَان: مدينتان من مدن خراسان، تقعان بين نيسابور وأصفهان، حسب معجم البلدان.

فَلِلَّهِ دَرِي يَوْمٍ أَتْرُكُ طَائِعاً
وَدَرُ الطَّبَّاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً
وَدَرُ كَبِيرِي اللَّذِينَ كِلَاهُمَا
وَدَرُ الرُّجَالِ الشَّاهِدِينَ تَفْثُكِي
وَدَرُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ يَدْعُو صَحَابِي
تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ
وَأَشَقَّرَ مَحْبُوكٍ يَجْرُ عَنَانُهُ
يُقَادُ ذَلِيلًا بَعْدَ مَا مَاتَ رَبُّهُ
وَلَكِنْ بِأَكْثَابِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ
صَرِنَتْ عَلَى أَيْدِي الرُّجَالِ بِقِفْرَةٍ
وَلَمَّا تَرَأَتْ عِنْدَ مَرَوْ مَبِيتِي
أَقُولُ لِأَصْحَابِي ازْفَعُونِي فَإِنَّهُ
فَبَا صَاحِبِي رَحْلِي ذَا الْمَوْتِ فَانْزِلَا
أَقْبِمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَغْضَ لَيْلَةٍ
وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلِّ رُوحِي فَهَيْئَا
وَحُطَّا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي
وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا
خُذَانِي فَجُرَّانِي بِثَوْبِي إِلَيْكُمَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَافًا إِذَا الْخَيْلُ أَذْبَرَتْ
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَى الْقَرْنِ فِي الْوَعْنِ

بَنِي بِأَعْلَى الرِّقْمَتَيْنِ وَمَالِيَا
يُخْبِرُنَّ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا
عَلَيَّ شَفِيقٌ نَاصِحٌ لَوْ نَهَانِيَا
بِأَمْرِي أَلَّا يُقْصِرُوا مِنْ وَثَاقِيَا
وَدَرُ لُجَاجَتِي وَدَرُ انْتِهَائِيَا
سِوَى السِّيفِ وَالرُّمَحِ الرُّدَيْنِي بَاكِيًا
إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا
يُبَاعُ بِبَخْسٍ بَعْدَ مَا كَانَ غَالِيَا
عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةُ مَا بِمَا
يُسَوُّونَ لَخْدِي حَيْثُ حُمَ قَضَائِيَا^(١)
وَحَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَقَائِيَا
يَقْرُ بَعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا
بِرَأْسِيَةِ إِنِّي مُقِيمٌ لِيَالِيَا
وَلَا تُعْجِلَانِي قَدْ تَبَيَّنَ شَأْنِيَا
لِي السُّدْرُ وَالْأَكْفَانُ عِنْدَ فَنَائِيَا
وَرَدًّا عَلَى عَيْنِي فَضْلَ رِدَائِيَا
مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرْضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا
فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
سَرِيعًا لَدَى الْهَيْجَا إِلَيَّ مَنْ دَعَانِيَا
ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا

(١) حُمَ: قضى ما هو كائن.

وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا لَدَى الرَّادِ وَالْقِرَى
فَطُورًا تَرَانِي فِي ظِلَالٍ وَنِعْمَةٍ
وَيَوْمًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ
وَقَوْمًا عَلَى بَثْرِ السِّمِينَةِ أَسْمَعَا
بِأَنَّكُمَا خَلَفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ
وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي بَعْدَمَا
وَلَنْ يَغْدَمَ الْوَالِدُونَ بَثًّا يُصْنِبُهُمْ
يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَذْفُونُونِي
غَدَاةً غَدٍ يَا لَهْفٍ نَفْسِي عَلَى غَدٍ
وَأَضْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتِ الرُّحَا
إِذَا الْحَيِّ حَلَّوْهَا جَمِينَعًا وَأَنْزَلُوا
رَعِينَ وَقَدْ كَادَ الظَّلَامُ يُجِثُّهَا
وَهَلْ أَتْرَكَ الْعَيْسَ الْعَوَالِي بِالضُّحَى
إِذَا عَصَبُ الرُّكْبَانِ بَيْنَ عُنَيْرَةٍ
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ
إِذَا مِتُّ فَاغْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَّمِي
عَلَى جَدِّ قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ
رَهِينَةً أَخْبَارٍ وَتُرْبٍ تَضْمَنْتُ

وَعَنْ شَتْمِي ابْنَ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَأَيْنَا^(١)
وَطُورًا تَرَانِي وَالْعِتَاقُ رِكَابِيَا
تُخْرِقُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
بِهَا الْغُرَّ وَالْبَيْضَ الْحِسَانَ الرَّوَانِيَا
تُهَيِّلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَافِيَا
تَقْطَعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا
وَلَنْ يَغْدَمَ الْمِيرَاثُ مِنِّي الْمَوَالِيَا
وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا
إِذَا أَذْجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا
لِغَيْرِي وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا
رَحَا الْمُثَلِّ أَوْ أَمَسْتُ بِفُلْجٍ كَمَا هِيَا
بِهَا بَقْرًا حُمُ الْعُيُونِ سَوَاجِيَا
يَسْفِنُ الْخُرَّامِي مَرَّةً وَالْأَقَاجِيَا
بِرُكْبَانِهَا تَغْلُو الْمَنَانَ الْفَيَافِيَا
وَيَوْلَانُ عَاجُوا الْمُبْقِيَاتِ التَّوَاجِيَا
كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعِيكَ بِأَكْيَا
عَلَى الرُّمُسِ أُسْقِيَتِ السَّحَابُ الْغَوَادِيَا
تُرَابًا كَسَخَقِ الْمَرْئِيَانِي هَابِيَا^(٢)
قَرَارُتُهَا مِنِّي الْعِظَامُ الْبَوَالِيَا

(١) القِرَى: الإحسان.

(٢) مرئباني: كلون الأرنب، وهابياً: من الهباء وهو: التراب الناعم.

فَبِنَا صَاحِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ
وَعَطَلْ قَلُوصِي فِي الرُّكَابِ فَإِنَّهَا
وَأَبْصَرْتُ نَارَ الْمَازِنِيَّاتِ مُوهِنًا
بِعُودِ النُّجُوجِ أَضَاءَ وَقُودَهَا
غَرِيبُ بَعِيدِ الدَّارِ نَاوٍ بِقَفْرَةٍ
نَحْمَلُ أَصْحَابِي عِشَاءَ وَغَادَرُوا
أَقْلُبَ طَرَفِي فِي الرُّفَاقِ فَلَا أَرَى
وَبِالرَّمْلِ مِثْلًا نِسْوَةً لَوْ شَهِدْتَنِي
وَمَا كَانَ هَذَا الرَّمْلُ عِنْدِي وَأَهْلِي
فَمِنْهُمْ أُمِّي وَإِنْتَنَائِي وَخَالَتِي
بَنِي مَازِنٍ وَالرَّيْبُ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا
سَتَفْلِقُ أَكْبَادًا وَتَبْكِي بَوَاكِيَا
بِعَلِيَاءِ يُثْنِي دُونَهَا الطَّرْفُ رَأِيَا
مَهًا فِي ظِلَالِ السُّدْرِ حُورًا جَوَازِيَا^(١)
يَدُ الدَّهْرِ مَعْرُوفًا بِأَنَّ لَا تَدَانِيَا
أَخَا ثِقَةٍ فِي عَرَصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا
بِهِ مِنْ عُيُونِ الْمُؤَنَسَاتِ مُرَاعِيَا
بَكِينٍ وَقَدَيْنِ الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا
ذَمِيمًا وَلَا وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا
وَبَاكِئَةً أُخْرَى تُهْبِجُ الْبَوَاكِيَا

(١) النجرج: البخور.

أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيّ

قَصِيدَةُ الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ

شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ أَمَوِيٌّ كَانَ مُوَالِيًا لِلأُمَوِيِّينَ وَلَهُ شِعْرٌ بِمَدْحِهِمْ، وَمَعَ هَذَا
كَانَتْ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ أَمِيرَةَ الْغِنَاءِ فِي مَجَالِسِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ، كَمَا انْتَحَلَ
النَّاسُ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرِهِ وَنَسَبُوهَا لِعَدَدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْعُشَاقِ كَمَجْنُونٍ لَيْلَى
وغيره.

يَقُولُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي «الْأَغَانِي»: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ غَنَّى
هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَمَامَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ مُوسَى الْهَادِي فَكَانَ يَشْقُ جُزْءًا مِنْ
رِدَائِهِ مَعَ كُلِّ مَقْطَعٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ حَتَّى مَزَّقَ رِدَاءَهُ كُلَّهُ لِشِدَّةِ الطَّرَبِ»
وَيَسْتَشْهَدُ الثَّعَالِبِيُّ بِأَبْيَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَيَقُولُ «إِنَّ النَّاسَ اتَّفَقُوا عَلَى
أَنَّهَا أَغَزَلَ شِعْرٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ» وَلَمَّا سَمِعَ أَحَدُهُمْ بَعْضَ أَبْيَاتِهَا قَالَ: هُوَ
«الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ، وَاللَّهُ مَا دُونَهُ شَيْءٌ» كَمَا وَرَدَ فِي «أَمَالِي الْقَالِي»

لِللَيْلَى بِذَاتِ الْجَيْشِ دَارَ عَرَفْتُهَا وَأُخْرَى بِذَاتِ الْبَيْنِ آيَاتُهَا سَطْرُ^(١)
كَانَهُمَا مِلَانُ لَمْ يَتَغَيَّرَا وَقَدْ مَرَّ لِلدَّارَيْنِ مِنْ عَهْدِنَا عَصْرُ

(١) ذات الجيش وذات البين: موضعان قرب يثرب «المدينة»

وَقَفْتُ بِرِسْمِهَا فَلَمَّا تَنَكَّرَا
 أَلَا إِيَّهَا الرُّكْبُ الْمُخْبُونَ هَلْ لَكُمْ
 فَقَالُوا: طَوْنُنَا ذَلِكَ لَيْلًا، وَإِنْ يَكُنْ
 خَلِيلِي هَلْ يُسْتَخِيرُ الرُّمْتُ وَالْغَضَا
 وَلَبِستُ عَشِيَّاتِ الْجَمْنِ بِرَوَاجِعِ
 وَلَا عَائِدُ ذَلِكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى
 وَفِي الدَّمْعِ إِنْ كَذَّبْتُ بِالْحُبِّ شَاهِدُ
 صَبَرْتُ فَلَمَّا غَالَ نَفْسِي وَشَفَّهَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَلِيلَيْنِ رِدَّةُ
 إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُوْا بِهِ جُنِي
 أَمَا وَالَّذِي أَبْكَنِي وَأَضْحَكَ وَالَّذِي
 لَقَدْ كُنْتُ آتِيهَا وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا
 فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً
 وَأَنْسى الَّذِي قَدْ كُنْتُ فِيهِ هَجْرْتُهَا
 وَمَا تَرَكْتُ لِي مِنْ شَلَى أَهْتَدِي بِهِ
 صَدَفْتُ - وَعَيْنِي دَمْعُهَا سَرِبَ هَمْرُ^(١)
 بِسَاكِنِ أَجْزَاعِ الْجَمِي بَعْدَنَا خُبْرُ^(٢)
 بِهِ بَغْضُ مَنْ تَهَوَّى فَمَا شَعَرَ السُّفْرُ
 وَ«طَلَحُ الْكَدَا» مِنْ بَطْنِ مَرَّانَ وَالسُّدْرُ^(٣)
 لَنَا أَبَدًا مَا أَوْزَقَ السَّلْمُ النَّضْرُ^(٤)
 تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرُ يَقَعُ وَلَكَ الشُّكْرُ
 يُبَيِّنُ مَا أَخْفَيْ كَمَا بَيَّنَّ الْبَذْرُ
 عَجَارِيْفُ نَائِي دُونَهَا غَلَبَ الصَّبْرُ^(٥)
 سِوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قَدْ مَضَى دَرَسَ الذُّكْرُ
 نَسِيتُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ
 أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ
 بَتَانًا لِأُخْرَى الدَّهْرِ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ
 فَأَبْهَتْ لَا عُرْفَ لَدَيَّ وَلَا تُكْرُ
 كَمَا قَدْ تُنْسِي لُبَّ شَارِبِهَا الْحَمْرُ
 وَلَا ضِلَعٍ إِلَّا وَفِي عَظْمِهَا كَسْرُ^(٦)

(١) صدفت: أعرضت، وأشحت بنظري.

(٢) المخبون: المسرعون، وأجزاء: جمع جزع وهو الودي.

(٣) الرمت: مرعى للإبل وهو اسم وادي، والغضا: شجر، وهو اسم لموضع يكثر فيه هذا النوع من الشجر، ومران والسدر: موضعان.

(٤) السلم: نوع من الشجر.

(٥) العجارييف: حوادث الدهر.

(٦) الشلى: الشدة والقوة.

وَقَدْ تَرَكْتَنِي أَغْبِطُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى
وَيَمْنَعُنِي مِنْ بَغْضِ انْكَارِ ظَلَمِهَا
مَخَافَةً أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ لَيْثَ بَدَا
وَأَنِّي لَا أَذْرِي إِذَا النُّفْسُ أَشْرَفَتْ
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً
وَوَجْهَ لَهُ دِيْبَاجَةٌ قُرْشِيَّةً
تَكَادُ يَدَيَّ تَنْدِي إِذَا مَا لَمَسْتُهَا
وَأَنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرَاكِ هَزَّةً
هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنَّ قَلْبِي لَوْ دَنَا
تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عُلْبَةً أَنَا
عَلَى دَائِمٍ لَا يَغْبِرُ الْفُلُكُ مَوْجَهُ
فَتَقْضِي هُمُومَ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رَقْبَةٍ
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
فَيَا حُبَّ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى
وَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ: مَا يَعْرِفُ الْهَوَى
صَدَقْتَ أَنَا الصَّبُّ الْمَصَابُ الَّذِي بِهِ
فَيَا حَبِذَا الْأَحْيَاءُ مَا دُمْتَ حَيَّةً

قَرَيْنَيْنِ مِنْهَا لَمْ يُفَرِّغْهُمَا نَفْرُ
إِذَا ظَلَمْتَ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ لِي عُذْرُ
لِي الْهَجْرُ مِنْهَا مَا عَلَى هَجْرِهَا صَبْرُ
عَلَى هَجْرِهَا مَا يَصْنَعَنَّ بِي الْهَجْرُ
لَهَا كُنْيَةٌ عَمْرٍ وَلَيْسَ لَهَا عَمْرُو!
بِهَا تُدْفَعُ الْبَلَوَى وَيُسْتَنْزَلُ الْقَطْرُ
وَيُنْبِتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ الْخَضِرُ
كَمَا انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطْرُ
مِنْ الْجَمْرِ قَبْلَ الرُّمَحِ لِاخْتَرَقَ الْجَمْرُ
عَلَى رَمَتْ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفْرُ^(١)
وَمِنْ دُونِنَا الْأَهْوَالُ وَاللَّجَجُ الْخَضِرُ^(٢)
وَيُغْرِقُ مَنْ نَخَشَى نَمِيمَتَهُ الْبَحْرُ^(٣)
فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
وَزِدْتَ عَلَى مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الْهَجْرُ
وَيَا سَلْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْحَشْرُ
وَزُرْتُكَ حَتَّى قِيلَ: لَيْسَ لَهُ صَبْرُ
تَبَارَيْحُ حُبِّ خَامَرِ الْقَلْبِ أَوْ سِحْرُ
وَيَا حَبِذَا الْأَمْوَاتِ مَا ضَمَّكَ الْقَبْرُ

(١) الرَّمَتْ: بفتح الراء خشب يُشَدُّ إِلَى بَعْضِهِ وَيَعْبُرُ بِهِ الْمَاءُ.

(٢) مَاءٌ دَائِمٌ: سَاكِنٌ وَهَادِئٌ.

(٣) مَنْ غَيْرِ رَقْبَةٍ: دُونَ مِرَاقَبَةٍ مِنْ أَحَدٍ.

العَوَامُ بْنُ عُقْبَةَ

زِيَارَةُ لَيْلَى

شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ، عَاشَ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، وَهُوَ شَاعِرٌ تَلَخَّصُهُ
عِبَارَةٌ «مُفْلِقٌ مُعْرِقٌ» فَهُوَ مُفْلِقٌ: أَي يَأْتِي بِالْعَجَبِ مِنَ الشَّعْرِ، عَلَى الرَّغْمِ
مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ فُحُولِهِ - وَهُوَ مُعْرِقٌ لِأَنَّهُ سَلِيلُ عَائِلَةٍ شِعْرِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ فَأَبَوُهُ
هُوَ عُقْبَةُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَمَى، فَأَبَوُهُ وَجَدُهُ الْأَوَّلُ وَجَدُهُ الثَّانِي
كُلُّهُمْ شُعْرَاءُ، وَإِذَا كَانَ جَدُّهُ قَدْ اشتهَرَ بِقَصِيدَتَيْنِ: «الْمُعَلَّقَةُ» لَزُهَيْرٍ
و«الْبُرْدَةُ» لِكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ جَعَلَتْ مِنَ الْعَوَامِ بْنِ عُقْبَةَ
أَحَدَ «أَصْحَابِ الْوَاحِدَةِ»

قَالَ الْخَالِدِيُّ أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ قَصِيدَةِ الْعَوَامِ هَذِهِ تَنَاحَرَ عَلَيْهِ
الشُّعْرَاءُ. وَتَوَصَّفَ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ بِكَثْرَةِ مَحَاسِنِهَا.

وُخْبِرْتُ سَوْدَاءَ «الْغَمِيمِ» مَرِيضَةً
فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرٍ إِلَيْهَا أَعُودُهَا^(١)

(١) الغميمُ: موضع بين مكة والمدينة، وهو أقرب إلى المدينة.

قَوَالُهُ مَا أَذْرِي إِذَا أَنَا جِثْتُهَا
 أَأَبْرُئُهَا مِنْ ذَاتِهَا أَمْ أَزِيدُهَا ^(١)
 أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ تَغْيِرَ بَغْدَنَا
 مَلَا حَةَ عَيْنِي أَمْ يَخِينِي وَجِيدُهَا؟
 وَمَلْ أَخْلَقْتُ أَثْوَابُهَا بَغْدَ جِدَّةِ
 الْأَحْبُودَا إِخْلَاقُهَا وَجَدِيدُهَا ^(٢)
 وَلَمْ يَبْقَ يَا سَوْدَاءُ شَيْءٌ أَحْبُهُ
 وَإِنْ بَقِيَْتَ أَغْلَامُ أَرْضٍ وَبِيدُهَا ^(٣)
 خَلِيلِي قَوْمًا بِالْعَمَامَةِ وَاعْصِبَا
 عَلَيَّ كَبِيدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَمِيدُهَا
 وَلَمْ يَلْبَثِ الْوَأَشُونَ أَنْ يَضْدَعُوا الْعَصَا
 إِذَا لَمْ يَكُنْ صُلْبًا عَلَى الْبَرْزِ عُوْدُهَا
 لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ يُوقِدَ النَّوَى
 عَلَيَّ كَبِيدِي نَارًا بَطِينًا خُمُودُهَا
 وَلَوْ تَرَكْتُ نَارَ الْهَوَى لَتَضَرَّعْتُ
 وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا
 وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي
 إِذَا قَدُمْتُ آيَاتُهَا وَعُهُودُهَا

(١) أبرئها: أشفئها

(٢) خلقت: قدمت وأصبحت بالية.

(٣) الأغلام: الجبال.

فَقَدْ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا
عِهَادَ الْهَوَىٰ تُؤَلِّي بِشَوْقٍ يَزِيدُهَا
فَسُودَ نَوَاصِيهَا وَخُمَرَ أَكْفُهَا
وَصَفَرَ تَرَاقِيهَا وَبَيْضَ خُدُودِهَا^(١)
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِثْتُ لَيْلَى أَرْوَرُهَا
أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا
إِذَا مَا قَضَتْ أَخْدُوثةً لَوْ تُعِيدُهَا^(٢)
مُخَضَّرَةُ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودُهَا
بِأَخْسَنِ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
يُمْنِيْنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا
رَفِيفَ الْخُرَامَى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(٣)
خَلِيلِي إِنِّي الْيَوْمَ شَاكٍ إِلَيْكُمْ
وَهَلْ تَنْفَعُ الشُّكُوى إِلَيَّ مَنْ يَزِيدُهَا
حَزَازَاتٍ شَوْقٍ فِي الْفُؤَادِ وَعَبْرَةٍ
أَظْلُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ أَذُودُهَا^(٤)

(١) النواصي: جَمْعُ نَاصِيَةٍ: وهي قُصَاصُ الشعر على جبهة الرأس أو «الغرة» والتراقي جَمْعُ تَرْقُوة: وهي عظم وصل بين ثَغْرَةِ النحر والكتف من الجانبين.

(٢) امرأة خفرة: حية وخجولة.

(٣) الْخُرَامَى: عُشْبَةٌ طويلة السَّاق، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الرائحة، لها نَوْرٌ كَثُورٌ الْبَنَفَسَج.

(٤) الحزازت: أوجاع في القلب من الشوق.

وَتَخْتِ مَجَالِ الدَّمْعِ حَرُ بَلَابِلٍ
مِنَ الشُّوقِ لَا يُدْعَى لِخَطْبٍ وَلَيْدُهَا^(١)
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةَ مَا يَسُرُّنِي
بِهَا حُمِرُ أَعْيَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا
إِذَا جِئْتُهَا وَسَطَ النِّسَاءِ مَنَحْنُهَا
صُدُودًا كَأَنَّ النَّفْسَ لَيْسَ تُرِيدُهَا
وَلِي نَظْرَةَ بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْجَوَى
كَنَظْرَةِ تَكَلَّى قَدْ أَصِيبَ وَحِيدُهَا
رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ وَجْهِهَا
فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أَسْتَرْزِدُهَا
وَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي مَعْلُوقٌ
بِعُودِ ثَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَا^(٢)

(١) البلابلُ: من البلبلةُ: وهي وسواسُ الهمومِ في الصدرِ.

(٢) الثمامُ: نبات ضعيف، وتأود انثنى، قال ابن قتيبة وكذلك عبد القهار البغدادي: «هذا إفراط في وصف النحول».

أَبُو النَّشَّاشِ اللَّصُّ

خَرِيطَةُ الصُّغْلُوكِ

شَاعِرٌ صُغْلُوكٌ، لِصٌّ مَجْهُولُ الاسْمِ، كَانَ يَقَطَعُ طُرُقَ الْقَوَافِلِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ أَيَّامَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الْأُمَوِيِّ، وَكَانَ مَسْجُونًا فَهَرَبَ مِنَ السُّجْنِ، فَمَرَّ بِغُرَابٍ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْتِفِ رِيشُهُ وَيَنْعَبُ، فَجَزَعَ مِنْ ذَلِكَ. ثُمَّ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِأَحَدِ الْأَحْيَاءِ فَخَاطَبَ أَهْلَهُ بِقَوْلِهِ: رَجُلٌ كَانَ فِي بَلَاءٍ وَشَرٍّ وَحَسْبٍ وَضِيقٍ فَتَجَا مِنْ ذَلِكَ؟ ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا وَنَظَرَ عَنْ يَسَارِهِ فَرَأَى غُرَابًا عَلَى شَجَرَةٍ يَنْتِفِ رِيشُهُ وَيَنْعَبُ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُ رِجَالِ الْحَيِّ: إِنْ صَدَقْتَ الطَّيْرُ يُعَادُ إِلَى حَبْسِهِ وَقَيْدِهِ، وَيَطُولُ ذَلِكَ بِهِ، وَيُقْتَلُ وَيُصَلَّبُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو النَّشَّاشِ: بِفَيْكِ الْحَجَرُ. وَأَنْشَدَ قَصِيدَتَهُ.

وَقَدْ أَنْشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ: «وَلَا كَسَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهُ». قَالَ: لِصٌّ وَرَبُّ الْكُعْبَةِ، وَأَمَرَ بِطَلْبِهِ، وَلَئِنَّهُ مَجْهُولُ الاسْمِ وَالْمَكَانِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، لَكِنَّ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَى كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ.

وَسَائِلَةُ أَيْنَ الرَّحِيلُ وَسَائِلُ
وَمَنْ يَسْأَلُ الصُّغْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ

مَذَاهِبُهُ أَنَّ الْفِجَاجَ عَرِيضَةٌ
 إِذَا ضُنُّ عَنْهُ بِالنُّوَالِ أَقَارِبُهُ
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرُخْ سَوَامًا وَلَمْ يُرِخْ
 سَوَامًا وَلَمْ يَبْسُطْ لَهُ الْوَجْهَ صَاحِبُهُ
 فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ
 فَقَبِيرًا وَمِنْ مَوْلَى تَدِبُ عَقَارِبُهُ
 وَذَاوِيَّةٌ بِهِمَاءٌ يُخْشَى بِهَا الرَّدَى
 سَرَتْ بِأَبِي التُّشَنَّاشِ فِيهَا رَكَائِبُهُ^(١)
 لِيُذِرَكَ ثَارًا أَوْ لِيُذِرَكَ مَغْنَمًا
 جَزِيلًا وَهَذَا الدُّهْرُ جَمُّ عَجَائِبِهِ
 وَدَغَ عَنْكَ مَوْلَى السُّوءِ وَالدُّهْرُ إِنَّهُ
 سَتَكُفِيكَ أَيْامُهُ وَتَجَارِبُهُ
 وَتَلَقَى عَدُوًّا مِنْ سِوَاكَ تَرُدُّهُ
 إِلَيْكَ فَتَلْقَاهُ وَقَدْ لَانَ جَانِبُهُ
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ الْفُتَى
 وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهُ
 فَعِشْ مُغْلِرًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا فَلِإِنِّي
 أَرَى الْمَوْتَ لَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ هَارِبُهُ

(١) الداوية: الأرض الواسعة البعيدة، والبهماء: مفازة لا ماء فيها ولا يُسمع فيها صوت ولا يُهتدى لطريقها.

عَلَىٰ أَيْ شَيْءٍ يَضُمُّ الْأَمْرُ قَدْ تَرَى
بِمَعْنَيْكَ أَنْ لَا بُدَّ أُنْكَ رَاكِبُهُ
وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ نَّاجِياً مِنْ مَنِئِيَةٍ
لَكَانَ أَثِيرُ يَوْمَ جَاءَتْ كَتَائِبُهُ

تَوْبَةُ بِنِ الْحَمِيرِ

نَارُ لَيْلَى

تُلْخِصُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ قِصَّةَ الْحُبِّ الشَّاعِرِيَّةِ بَيْنَ شَاعِرٍ وَشَاعِرَةٍ عَرَبِيَّيْنِ مِنَ الْقُرْنِ الْأَوَّلِ الْهَجْرِيِّ: تَوْبَةُ بِنِ الْحَمِيرِ وَلَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ، فِي وَاحِدَةٍ مِنْ قَصَصِ الْحُبِّ الْمَشْهُورَةِ فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ. قِصَّةٌ انْتَهَتْ نِهَآيَةً مَآسَوِيَّةً بِزَوَاجِ لَيْلَى مِنْ غَيْرِهِ، وَمَقْتَلِ تَوْبَةَ، وَظَلَّتْ لَيْلَى تَرْثِيهِ بِأَجْمَلِ الْمَرَاثِي، وَكَانَ الْخُلَفَاءُ وَالْوِلَاةُ يَطْلُبُونَ مِنْهَا أَنْ تُشَدِّهُمْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ حِينَمَا يُرِيدُونَ مِنْهَا قِرَاءَةَ شَيْءٍ مِنْ شِعْرِ تَوْبَةَ بَعْدَ مَقْتَلِهِ. حَتَّى اخْتَلَطَتْ آيَاتٌ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِبَعْضِ شِعْرِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ نَفْسِهَا.

وَيَزُونِي صَاحِبُ الْأَغَانِي هَذِهِ الْقِصَّةَ الْمُثِيرَةَ عَنْ مَصِيرِ لَيْلَى مِنْ بَعْدِهِ إِذْ يَقُولُ: إِنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ مَرَّتْ يَوْمًا بِقَبْرِ تَوْبَةَ وَمَعَهَا زَوْجُهَا وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ.

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَسْلَمَ عَلَى تَوْبَةَ، وَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ حَوَّلَتْ رَجْهَهَا إِلَى الْقَوْمِ وَقَالَتْ: مَا عَرَفْتُ لَهُ كِذْبَةً قَطُّ قَبْلَ هَذَا. قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَتْ: أَلَيْسَ الْقَائِلُ:

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي تُرْبَةً وَصَفَائِحَ

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ
فَمَا بَالُهُ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيَّ كَمَا قَالَ! وَكَانَتْ إِلَيَّ جَانِبِ الْقَبْرِ بَوْمَةٌ كَامِنَةٌ،
فَلَمَّا رَأَتْ الْهُودَجَ وَاضْطِرَابَهُ فَرَعَتْ وَطَارَتْ فِي وَجْهِ الْجَمَلِ، فَتَفَرَّ فَرَمَى
بِلَيْلَى عَلَى رَأْسِهَا، فَمَاتَتْ مِنْ وَقْتِهَا، وَدُفِنَتْ إِلَى جَنْبِهِ.

نَأْتُكَ بِلَيْلَى دَارَهَا لَا تَزُورُهَا وَشَطَطُ نَوَاهَا وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا
وَحَفَّتْ نَوَاهَا مِنْ جَنُوبِ حُنَيْرَةٍ كَمَا خَفَّ مِنْ نَيْلِ الْمَرَامِيِّ جَفِيرُهَا
وَقَالَ رِجَالُ: لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا
أَلَيْسَ يَضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تُكْثِرَ الْبُكَاءُ وَيُمْنَعُ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا
أَرَى الْيَوْمَ يَأْتِي دُونَ لَيْلَى كَأَنَّمَا أَتَى دُونَ لَيْلَى حَبَّةٌ وَشُهُورُهَا
لِكُلِّ لِقَاءٍ نَلْتَقِيهِ بِشَاشَةٍ وَإِنْ كَانَ حَوْلًا كُلُّ يَوْمٍ أَزُورُهَا
خَلِيلِي رُوحًا رَأْسِدَيْنِ فَقَدْ أَتَتْ ضَرِيَّةٌ مِنْ دُونَ الْحَبِيبِ فَنِيرُهَا^(١)
خَلِيلِي مَا مِنْ سَاعَةٍ تَقِفَانِهَا مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا مِثْلُ أُخْرَى نَسِيرُهَا
وَقَدْ تَذَهَبُ الْحَاجَاتُ يَطْلُبُهَا الْفَتَى شِعَاعًا وَتَخْشَى النَّفْسُ مَا لَا يَضِيرُهَا^(٢)
وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَعْتُ فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا الْغَدَاةَ سُفُورُهَا^(٣)

(١) ضرية: بئر وهي أيضاً أرض ذات نبات كثير، وفنيرها: النير جبل قريب من ضرية.

(٢) شِعَاعاً: متفرقات.

(٣) يشير صاحب الأغاني إلى توبة بن الحمير كان إذا أتى ليلى الأخيلية خرجت إليه في برقع، فلما شعر أمره شكوه إلى السلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم، فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه، فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد، وأنها أسفرت لذلك تحلده، فركضت فرسه فنجى، وذلك قوله: وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَعْتُ. البيت.

خَلِيلِي قَدْ عَمَّ الْأَمْسَى وَتَقَاسَمْتُ فُنُونُ الْبَلَى عُشَاقَ لَيْلَى وَدُورُهَا
وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا صُدُودَ رَأَيْتُهُ وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا^(١)
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى فِي ذُرَى مُتَمَنِّعٍ بِنَجْرَانَ لَأَلْتَقَتْ عَلَيَّ قُصُورُهَا
يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى الْعَيْسَ تَغْتَلِبِي بِنَا نَحْوَ لَيْلَى وَهِيَ تَجْرِي ضُفُورُهَا^(٢)
وَمَا لِحِقَّتْ حَتَّى تَقْلُقَ غُرُضُهَا وَسَامِعَ مِنْ بَغْدِ الْمَرَّاحِ عَسِيرُهَا^(٣)
وَأَشْرِفُ بِالْأَرْضِ الْجَفَاعَ لَعَلَّنِي أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بَصِيرُهَا^(٤)
فَنَادَيْتُ: لَيْلَى وَالْحُمُولُ كَأَنَّهَا مَوَاقِيرُ نَخْلٍ زَعَزَعَتْهَا دُبُورُهَا^(٥)
فَقَالَتْ أَرَى أَنْ لَا تُفِيدَكَ صُحْبَتِي لِهَيْبَةِ أَغْدَاءٍ تَلْظِي صُدُورُهَا
فَمَدَّتْ لِي الْأَسْبَابَ حَتَّى بَلَغْتُهَا بِرَفْقِي وَقَدْ كَادَ الزَّيْفَانِي يَصُورُهَا^(٦)
فَلَمَّا دَخَلْتُ الْخَدَرَ أَطْتُ نُسُوعَهُ وَأَطْرَافُ عَيْنَانِ شَدِيدِ أُسُورُهَا^(٧)
فَأَرَحْتُ لِنَضَّاحِ الْقَفَا ذِي مِنْصَةِ وَذِي سِيرَةٍ قَدْ كَانَ قَدَمًا يَسِيرُهَا^(٨)

(١) البسور: العبوس.

(٢) ضفورها: اتساعها.

(٣) الغرض: الرِّحال.

(٤) أرض يفاع: أرض مرتفعة.

(٥) المواقير: أحمال النخيل من الرطب، والدبور: ريح تهب بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتي على الزروع، والعرب تكره الدبور، وفي الحديث أن الرسول قال: «نصرت بالصبا، وأهلكك عاد بالدبور».

(٦) يصور: يميل.

(٧) أطت: من الأطيط: وهو صوت الرِّحْلِ من شدة الأثقال، والنُّسُوع: حبال يربط بها الرِّحْل، والمعنى أن الرِّحْل مَالَ وأصدرت حباله أضواءاً لَمَّا دخل الخدر على حبيته.

(٨) النضخ: الرش، أو ترقُّق جلد البعير، وهو أقلُّ من النضج، وقيل إن النضخ ما كان دون قصد، والنضج بقصد.

وَأِنِّي لَيْشْفِيَنِي مِنَ الشُّوقِ أَنْ أَرَى عَلَى الشَّرَفِ الثَّانِي الْمَخُوفِ أَزُورُهَا
وَأَنْ أَتْرَكَ الْعَنْسَ الْحَسِيرَ بِأَرْضِهَا يَطِيفُ بِهَا عُقْبَانُهَا وَتُسَوِّرُهَا^(١)
إِلَّا إِنْ لَيْلَى قَدْ أَجَدُ بُكُورُهَا وَزُمْتُ غَدَاةُ السَّبْتِ لِلْبَيْنِ عِيرُهَا
فَمَا أَمْ سَوْدَاءِ الْمَحَاجِرِ مُطْفِلُ بِأَحْسَنِ مِنْهَا مُفْلَتَيْنِ تُدِيرُهَا
أَرْتَنَا حِيَاضَ الْمَوْتِ لَيْلَى وَرَأَقْنَا عِيُونُ نَفَيَاتِ الْحَوَاشِي تُدِيرُهَا
أَلَا يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَتَوَلَّاهَا لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا
تُجِيرُ وَإِنْ شَطَطَ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتُنْعِمُ يَوْمًا أَوْ يُفَادَى أَسِيرُهَا
وَقَالَتْ أَرَأَاكَ الْيَوْمَ أَسْوَدَ شَاحِبًا وَأَيُّ بَيَاضِ الْوَجْهِ حَرَّتْ حُرُورُهَا
وَإِنْ كَانَ يَوْمٌ ذُو سَمُومٍ أَسِيرُهُ وَتَقْصُرُ مِنْ دُونِ السَّمُومِ سُتُورُهَا
وَعَيْرِنِي إِنْ كُنْتَ لَمَّا تَغْيِرِي هَوَاجِرُ تَكْتَبِينَهَا وَأَسِيرُهَا^(٢)
حَمَامَةً بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ إِلَّا انْعَمِي سَقَاكَ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا
أَبِينِي لَنَا لَا زَالَ رِيْشُكَ نَاعِمًا وَلَا زَلَّتْ فِي خَضِرَاءِ غَضٍ نَضِيرُهَا
فَإِنْ سَجَعْتَ هَاجَتْ لِعَيْنَيْكَ عَبْرَةٌ وَإِنْ زَفَرْتَ هَاجَ الْهَوَى قَرَّ قَرِيرُهَا
وَقَدْ زَعَمْتَ لَيْلَى بَأَنِّي فَأَجِرُ لِنَفْسِي ثِقَاها أَوْ عَلَيَّهَا فُجُورُهَا
فَقُلْ لِعَقِيلٍ مَا حَدِيثُ عِصَابَةٍ تَكْنُفُهَا الْأَعْدَاءُ أَتَى تَضِيرُهَا
فَالَا تَنَاهَوْا تَرْكُوبَ الْخَيْلِ بَيْنَنَا وَرَكُضَ بَرَجَلٍ أَوْ جَنَاحٍ يُطِيرُهَا
لَعَلَّكَ يَا تَيْسًا نَرَا فِي مَرِيرَةٍ مُعَاقِبُ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا
عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ زَوْجُهَا يَرَى لِي ذَنْبًا غَيْرَ أَنِّي أَزُورُهَا^(٣)

(١) العنسُ: الناقة الصلبة، والحسير: المكشوفة بلا رحل.

(٢) تكتبيها: تنحاشينها بالتستر عنها بالظل.

(٣) البُذْنُ: النوق السمينات، وعليّ دماء البُذْنِ: قسم معروف لدى العرب.

وَلِإِنِّي إِذَا مَا رُزْتُهَا قُلْتُ يَا اسْلَمْنِي فَهَلْ كَانَ فِي قَوْلِي «اسْلَمْنِي» مَا يَضْمُرُهَا؟
 مِنَ النَّاعِبَاتِ الْمَشْيِ نَعْبًا كَأَنَّمَا يُنَاطُ بِخَلِّعٍ مِنْ أَوَالِ جَرِيرِهَا^(١)
 مِنَ الْعَرَكَانِيَّاتِ حُرْفٌ كَأَنَّهَا مَرِيرَةٌ لِيَفِ شُدُّ شُرَارِ مَرِيرِهَا^(٢)
 قَطَعْتُ بِهَا أَجَوَازَ كُلِّ تَنُوفَةٍ مَخُوفٍ رَدَّاهَا حِينَ يُسْتَنُّ مُورُهَا^(٣)
 تَرَى ضَعْفَاءَ الْقَوْمِ فِيهَا كَأَنَّهُمْ دَعَامِيصُ مَاءٍ نَشَّ عَنْهَا عَدِيرُهَا^(٤)
 وَقَسُورَةَ اللَّيْلِ الَّذِي بَيْنَ نَضْفِهِ وَبَيْنَ الْعِشَاءِ قَدْ رِيبَ مِنْهَا أُسِيرُهَا^(٥)
 أَبَتْ كَثْرَةَ الْأَعْدَاءِ أَنْ يَتَجَنَّبُوا كِلَابِي حَتَّى يُسْتَنَارَ عَقُورُهَا^(٦)
 وَمَا يُشْتَكَى جَهْلِي وَلَكِنْ غَرَّتْنِي تَرَاهَا بِأَعْدَائِي بِطِيئًا طُرُورُهَا^(٧)
 أَمْخَتَرِمَنِي رَبِّبَ الْمَثُونِ وَلَمْ أَزُرْ عَذَارَايَ مِنْ هَمْدَانَ بِيضًا نُحُورُهَا^(٨)
 يَنْوُنُ بِأَعْجَازٍ ثِقَالٍ وَأَسْوِقُ خِدَالٍ وَأَقْدَامٍ لَطَافٍ خُصُورُهَا^(٩)

(١) أوال: جزيرة بالبحرين مشهورة بالنخيل، وصنع الحبال القوية، والجريز: الحبل المفتول الذي يستخدم زماماً.

(٢) الناعبات: سريعات العدو، والعركانيات: العاليات السنام الصعبات والحرف: الهزيلات، ومريرة الليف: ذات الحبل الطويل المفتول.

(٣) التنوفة الأرض البعيدة، والمور: الغبار مع شدة الريح.

(٤) الدعاميص: حشرات تكثر في المياه الراكدة حين تسح الغدران.

(٥) قسورة الليل: المعنى هنا شدته.

(٦) كلب عقور: مفترس يهاجم الناس.

(٧) غرتني، حدثني، وطرورها: اكتمال هيبتها.

(٨) تخرمه، توغده.

(٩) أسوق خدال: سيقان مستديرة.

الصِّمَّةُ الْقُشَيْرِي

وَدَاعُ نَجْدٍ

يَرَى كَثِيرٌ مِنَ الثَّقَادِ الْعَرَبِ الْقُدَامَى أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَفْضَلُ مَا قِيلَ فِي
الْغَزَلِ، سِوَاءٍ فِي الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ أَوِ الْإِسْلَامِيِّ، وَبِرَغْمِ أَنَّ لِلصِّمَّةِ
الْقُشَيْرِيَّ قَصَائِدَ أُخْرَى قَلِيلَةً إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ طَعَتْ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنْ
قَصَائِدِ هَذَا الْعَاشِقِ الْبَدَوِيِّ الَّذِي قَادَهُ الْحُبُّ إِلَى الْمَنَفَى «فَقَدْ وَلِدَ وَنَشَأَ
فِي نَجْدٍ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ وَمَاتَ غَرِيبًا فِي طَبْرِسْتَانَ» لِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ
مِنْ صُورٍ مُوَلَّدَةٍ وَتَغْيِيرَاتٍ حَارَّةٍ فِي تَجَرِبَةِ رُوحِيَّةٍ أَخَاذَةٍ تُلَخِّصُ حِكَايَةَ
هَذَا الْعَاشِقِ الْبَدَوِيِّ الْمَنَفَى.

خَلِيلِي هُوجَا مِنْكُمْ الْيَوْمَ أَوْ دَعَا نَحْبِي رُسُومًا بِالْقُبَيْبَةِ بَلَقَعَا
أَرَيْتَ بِهَا الْأَرْوَاحَ حَتَّى تَنْسُفَتْ مَعَارِفُهَا إِلَّا الصَّفِينَحَ الْمَوْضِعَا^(١)
وَفِيهِ ثَلَاثٌ فِي الدُّيَارِ كَأَنَّهَا ثَلَاثُ حَمَامَاتٍ تَقَابِلُنَّ وَقَعَا
أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ بِالرُّقَاشِينَ أَحْصَفَتْ عَلَيْهَا رِيَاخُ الصَّيْفِ بُدْءًا وَرُجْعًا

(١) أريت: لازمه وأولعت به.

بَكَتْ عَيْنُكَ الْيُسْرَى فَلَمَّا رَجَرَتْهَا
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْعَامِرِيَّةِ قَبْلَهَا
تُرِينَاكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُقْلَةً شَادِنِ
وَمَا أُمُّ أَخَوَى الْجُدَّتَيْنِ خِلَالَهَا
غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْغُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا
بِأَخْسَنِ مِنْ أُمِّ الْمُحَيَّا فُجَاءَةً
وَلَمَّا تَنَاهَبْنَا سِقَاطَ حَدِيثِهَا
فَرَشْتُ بِقَوْلٍ كَأَدِّ يَشْفَى مِنَ الْجَوَى
كَمَا رَشَفَ الصَّادِي وَقَائِعَ مُزْنَةٍ
شَكُوتُ إِلَيْهَا مَا أَلَقِي مِنَ الْهَوَى
فَمَا كَلَّمْتَنِي غَيْرَ رَجْعٍ وَإِنَّمَا
كَأَنَّكَ بِذَعٍّ لَمْ تَرَ الْبَيْنَ قَبْلَهَا
فَلَيْتَ جَمَالَ الْحَيِّ يَوْمَ تَرَحَّلُوا
فَيُضْبِحُنْ لَا يُخْسِنُ مَشِيئاً بِرَأَيْبِ
أَتَجَزَعُ وَالْحَيَّانَ لَمْ يَتَفَرَّقَا
فَرُخْتُ وَلَوْ أَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ مِنَ الْجَوَى
عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجِلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا
وَلَا بَعْدَهَا يَوْمَ إِرْتَحَلْنَا مُودَعَا
وَجِيدَ غَزَالٍ فِي الْقَلَائِدِ أَتْلَعَا^(١)
أَرَاكَ مِنَ الْأَعْرَافِ أَجْنَى وَأَيْتَعَا^(٢)
رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ إِسْتَوَى وَتَرَعَا^(٣)
إِذَا جِيدُهَا مِنْ كِفَّةِ السُّرَى أَطْلَعَا
غَشَّاشاً وَلَآنَ الطَّرْفُ مِنْهَا فَأُطْمَعَا^(٤)
تَلُمُ بِهِ أَكْبَادَنَا أَنْ تَصْدَعَا
رَشَاشٍ تَوْلَى صَوْبُهَا جِينِ أَقْلَعَا
وَحَشِيَّةَ شَغَبِ الْحَيِّ أَنْ يَتَوَزَّعَا
تَرَفَّرَتِ الْعَيْنَانِ مِنْهَا لِتَذْمَعَا
وَلَمْ تَكُ بِالْآلَافِ قَبْلُ مُفْجَعَا
بِذِي سَلَمٍ أَمَسَتْ مَرَّاجِنَفَ ظَلَعَا
وَلَا السَّيْرُ فِي نَجْدٍ وَإِنْ كَانَ مَهْيَعَا^(٥)
فَكَيْفَ إِذَا دَاعَى التَّفَرُّقُ أَسْمَعَا؟
رَذِي قِطَارٍ حَرْنٌ شَوْقاً وَرَجَعَا^(٦)

(١) الأتلعُ: العنق الطويل.

(٢) أخوى الجدتين: سمرة الشفة، والأراك: شجرٌ يُستعملُ عودُه للسَّواك،

والأعراف: نوع من النخل.

(٣) تنغضُ: تحركُ بارتجاج.

(٤) غشاشاً: على عجل.

(٥) المهيعُ: الطريق الواسع.

(٦) الرذِي: الجمل الهزيل الذي لا يقوى على السير، والقطار: قطيع الإبل.

أَلَا يَا غُرَابِي بَيْتِيهَا لَا تَرْفَعَا
حَنَنْتُ إِلَيَّ رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ
فَمَا حَسَنَ أَنْ تَأْتِي الْأَمْرَ طَائِعًا
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ وَذَاعَ مُفَارِقِي
تَحْمِلَ أَهْلِي مِنْ قَيْنِينَ وَغَادَرُوا
أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذِينَ تَوَاصَيَا
فَأَنِّي وَجَدْتُ اللَّوْمَ لَا يَذْهَبُ الْهَوَى
قِفَا إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظَرَةٍ
لِمُفْتَصِّبٍ قَدْ عَزَّهَ الْقَوْمُ أَمْرَهُ
نَهِيحُ لَهُ الْأَخْزَانُ وَالذُّكْرُ كُلُّمَا
قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْجَمَى
بِنَفْسِي بَلَّكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْجِمَى ثُمَّ أَنْشَيْتَنِي
فَلَبِسْتُ عَشِيَّاتِ الْجِمَى بِرَوَاجِعِ
مَعِي كُلُّ فِرْقَةٍ عَصَى عَادِلَاتِهِ
إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرَّدَائِنِ أَسْرَعَتْ
وَيَسِرُّ بَدَتْ لِي فِيهِ بَيْضُ نَوَاهِدُ
مَشِينِ أَطْرَادِ السَّبِيلِ هَوْنًا كَأَنَّمَا
فَقُلْتُ: سَقَى اللَّهُ الْجِمَى دِيمَ الْحَيَا
وَطَيْرًا جَمِيعًا بِالْهَوَى وَقَعَا مَعَا
مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا وَشَغْبَا كَمَا مَعَا
وَتَجَزَّعَ إِنْ دَاعَى الصُّبَابَةَ أَسْمَعَا
وَلَمْ تَرَ شَغْبِي صَاحِبِينَ تَقْطَعَا
بِهِ أَهْلَ لَيْلَى حِينَ جِنْدَ وَأَمْرَعَا
بِلَوْمِي إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأَضْرَعَا
وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْيَأْسَ أَجْدَى وَأَنْفَعَا
مُصْعَدَةً شَتَّى بِهَا الْقَوْمُ أَوْ مَعَا
يُسِرُّ حَيَاءَ عِبْرَةٍ أَنْ تَطْلُعَا
تَرْتَمِ أَوْ أَوْفَى مِنَ الْأَرْضِ مَبِغَعَا^(١)
وَقُلْ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
وَمَا أَحْسَنَ الْمُضْطَافَ وَالْمُتَرَبِّعَا
عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا
عَلَيْكَ وَلَكِنْ خُلْ عَيْنِيكَ تَذَمَّعَا
بِوَضِلِ الْقَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعَرَّعَا^(٢)
إِلَيْهِ الْعُيُونُ النَّاطِرَاتُ التَّطْلُعَا
إِذَا سُمْتُهِنَّ الْوَضِلَ أَمْسِينَ قُطَّعَا
تَرَاهُنَّ بِالْأَقْدَامِ إِذْ مَسَنَّ ظُلُّعَا
فَقُلْنَ: سَقَاكَ اللَّهُ بِالسُّمِّ مُنْقَعَا

(١) المبغع: ما ارتفع من الأرض وأشرف على ما حوله.

(٢) الغرقد: شجرٌ كان يكثرُ في مقابر البقيع.

وَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّلَامُ فَلَا أَرَى
فَقُلْنَا: أَرَأَاكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا
وَلَمَّا رَأَيْتَ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي
فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الْهَوَى
فَرُدُّوا هُبُوبَ الرِّيحِ أَوْ غَيِّرُوا الْجَوَى
أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتُنِي
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ
فَمَا وَجَدَ عَلَوِيَّ الْهَوَى حَرًّا وَاجْتَوَى
تَشْوَقٌ لَمَّا عَضَّهُ الْقَيْدُ وَاجْتَوَى
وَرَأَى بِعَيْنَيْهِ جِبَالًا مُنِيفَةً
إِذَا رَأَى مِنْهَا مَطْلِعًا رَدَّ شَاوَهُ
بِأَكْبَرَ مَنْ وَجَدَ بَرِيًّا وَجَدْتُهُ
وَلَا بَكْرَةً بِكُرَّرَ رَأَتْ مِنْ حَوَارِهَا
إِذَا رَجَعْتُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ حَنَّةً
لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْنَعَ النَّفْسُ بَعْدَهُ
وَأَعْدُلُ فِيهِ النَّفْسُ إِذْ حِيلَ دُونَهُ

لِنَفْسِي مِنْ دُونِ الْحِمَى الْيَوْمَ مَفْتَعًا
بَنَانُكَ مِنْ يُنَنِّي ذِرَاعِيكَ أَفْطَعًا
وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَخِينُ نُزْعًا
وَجِغْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعًا^(١)
يَقِينًا وَنَزَوِي بِالشَّرَابِ فَنَثَقَعًا
إِذَا حَلَّ الْوَادُ الْحَشَا فَنَمْنَعًا
كَذَكْرِيكَ مَا كَفَفْتُ لِلْعَيْنِ أَذْمَعًا
يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ تَصَدَّعًا
بِوَادِي الشَّرَى وَالْغُورِ مَاءً وَمَزْتَعًا
مَرَاتِعُهُ مِنْ بَيْنِ قُفٍّ وَأَجْرَعًا^(٢)
وَمَا لَا يَرَى فِيهِ أَخُو الْقَيْدِ مَطْمَعًا
أَمِينُ الْقَوَى عَضُّ الْيَدَيْنِ فَأَوْجَعًا
عَدَاةٌ دَعَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَسْمَعًا
مَجْرَأَ حَدِيثًا مُسْتَبِينًا وَمَضْرَعًا^(٣)
لِلذِّكْرِ حَدِيثُ أَبْكَّتِ الْبُزْلَ أَجْمَعًا^(٤)
بِشْيءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُقْنَعًا
وَتَأْبَى إِلَيْهِ النَّفْسُ إِلَّا تَطْلَعًا

(١) اللَّيْثُ وَالْأَخْدَعُ: من عُروِقِ العنق، وقد أوجعاه لكثرة التلَفُت.

(٢) الْقَفُّ: الأرضُ المرتفعة، والأَجْرَعُ: الكُثْبُ.

(٣) الْحَوَارُ: ابْنُ الناقة، وَالْمَجْرُ: حَمْلُ الناقة الهزيلة.

(٤) الْبُزْلُ: الإبل المستة.

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا هِيَ رَاحَةٌ
وَلَا مَرْحَبٌ بِالرَّبْعِ لَسْتُمْ حُلُولُهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ شَمْلِي وَشَمْلُكُمْ مَعَا
وَلَوْ كَانَ مُخْضَلَّ الْجَوَانِبِ مُمْرِعَا
فَمَاءٌ بِلَا مَرْعَى وَمَرْعَى بِغَيْرِ مَا
وَحَيْثُ أَرَى مَاءً وَمَرْعَى فَمَسْبَعَا
لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَيْتُ مُنَادِي فِرَاقِنَا
بِتَشْتِيَتِنَا فِي كُلِّ وَادٍ فَأَسْمَعَا
كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلنُّوَى وَكَأَنَّمَا
حَرَامٌ عَلَى الْإِيَّامِ أَنْ نَتَجَمَّعَا

سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ السَّعْدِي

تَلَوْنَ بِي زَمَانِي

شَاعِرُ أَسْلَامِيٍّ مَعْمُورٌ مِمَّنْ هَرَبُوا مِنْ بَطْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ
وَقَسَوْتِهِ، لَهُ شِعْرٌ قَلِيلٌ، وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِمَّا أَوْرَدَهُ الْأَضْمَعِيُّ فِي
مُخْتَارَاتِهِ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ. وَلَا يُعْرَفُ
لِشَاعِرِهَا سِوَى بَضْعَةِ آيَاتٍ أُخْرَى، بَيْنَهَا أَرْبَعَةُ آيَاتٍ قَالَهَا سَوَّارُ بْنُ
الْمُضَرَّبِ، عِنْدَ فِرَارِهِ مِنَ الْحَجَّاجِ.

أَلَمْ تَرْنِي وَإِنْ أَنْبَأْتُ أَنِّي طَوْنْتُ الْكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الْغَوَانِي
أَحِبُّ عُمَانَ مِنْ حُبِّي سُلَيْمَى وَمَا طَبِئِي بِحُبِّ قُرَى عُمَانَ
عَلَاقَةٌ عَاشِقِي وَهَوَى مُتَاحَا فَمَا أَنَا وَالْهَوَى مُتَذَانِيَانِ
تَذَكَّرْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ سُلَيْمَى وَلَكِنَّ الْمَرَارَ بِهَا نَائِي
فَلَا أَنْسَى لِيَالِي بِالْكَلَنْدَى فَنِينَ وَكُلُّ هَذَا الْعَيْشِ قَانٍ^(١)
وَيَوْمًا بِالْمَجَازَةِ يَوْمَ صِدْقِي وَيَوْمًا بَيْنَ ضَنْكَ وَصَوْمَحَانَ^(٢)

(١) الْكَلَنْدَى : الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ مِنْ غَيْرِ حَصَى .

(٢) الْمَجَازَةُ وَضَنْكَ وَصَوْمَحَانَ : أَمَاكِنُ فِي الْجَزِيرَةِ .

أَلَا يَا سَلَمَ سَيِّدَةَ الْفَوَائِيهِ أَمَّا يُفْدَى بِأَرْضِكَ تِلْكَ حَانَ
وَمَا عَانِيكَ يَا إِثْنَةَ آلِ قَيْسٍ بِمَفْحُوشٍ عَلَيْهِ وَلَا مُهَانَ
أَمِنْ أَهْلِ الثَّقَا طَرَقَتْ سُلَيْمَى طَرِيدًا بَيْنَ شُنْظَبٍ وَالثَّمَانِ^(١)
سَرَى مِنْ لَيْلِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَذَلَّى النُّجْمُ كَالْأَدَمِ الْهَجَانِ
رَمَى بَلَدًا بِهِ بَلَدًا فَأُضْحَى بِظَمَائِ الرُّبْحِ خَاشِعَةِ الْقِنَانِ
تَمُوتُ بَنَاتُ نَيْسَبِهَا وَيَغْبَى عَلَى رُكْبَانِهَا شَرَكُ الْمِثَانِ^(٢)
يَطْوِي عِنْدَ رُكْبَةٍ أَرْحَبِي بَعِيدَ الْعَجَبِ مِنْ طَرَفِ الْجِرَانِ^(٣)
مَطِيَّةٌ خَائِفٌ وَرَجِيحٌ حَاجٍ شُمُوزُ الذَّيْلِ مُنْطَلِقِ اللَّبَانِ^(٤)
فَذِيْفٌ نَنَائِفٌ غُبِرٌ وَحَاجٍ تَقَحَّمُ خَائِفًا قَحَمَ الْجَبَانِ^(٥)
كَأَنَّ يَدَيْهِ حِينَ يُقَالُ سِيرُوا عَلَى مَثَنِ الثَّنُوفَةِ غَضَبَتَانِ
يَقْبِسَانِ الْفَلَاةَ كَمَا تَغَالَى خَلْبَعًا غَايَةً يَتَبَادَرَانِ
كَأَنَّهُمَا إِذَا حُكَّ الْمَطَايَا يَذَا بِسَرِ الْمُتَاحَةِ مُسْتَعَانِ
سُبُوتَا الرُّجْعِ مَائِرَتَا الْأَعَالِي إِذَا كَلَّ الْمَطِي سَفِيهَتَانِ^(٦)
وَهَادِ شَمَشِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ نَوَالٍ مَا يُرَى فِيهَا تَوَانِ

(١) شُنْظَبٍ وَالثَّمَانِ: أماكن أخرى في الجزيرة.

(٢) النَيْسَبُ: الطريق المستقيم الواضح، وقبل هو طريق النمل، يغبى: يخفى،
وَالْمِثَانُ: الأرض الغليظة الصلبة.

(٣) الجِرَانِ: نَخْرُ البعير.

(٤) شُمُوزُ الذَّيْلِ: رافعة ذيلها.

(٥) التَّنَائِفُ: الأراضي الواسعة البعيدة.

(٦) السُّبُوتُ: نوع من سير الإبل، ومائرة: تحمل المييزة أي الطعام وسائر حاجات
الطريق.

أَعَاذَلْتَنِي فِي سَلَمَى دَعَانِي فَلَانِي لَا أَطَاوُعُ مَنْ نَهَانِي
وَلَوْ أَنِّي أَطِيعُكُمْ بِسَلَمَى لَكُنْتُ كَبَغْضِ مَنْ لَا تُرْشِدَانِ
دَعَانِي مِنْ أَذَاتِكُمْ وَلَكِنْ بِذِكْرِ الْمَذْحِجَةِ عَلَّانِي
فَلِنْ هَوَايَ مَا عَلِمْتُ سَلِيمَى يَمَانٍ إِنْ مَنَزَلَهَا يَمَانِ
تَكِلُ الرِّيحُ دُونَ بِلَادِ سَلَمَى وَسِرَاتُ الْمُتَوَقِّعِ الْهَجَانِ
بِكُلِّ تَنُوقَةٍ لِلرِّيحِ فِيهَا خَفِيفٌ لَا يَرُوعُ الثَّرْبُ وَإِنْ
إِذَا مَا الْمُسْتَفَاتُ عَلَوْنَ مِنْهَا رِقَاقًا أَوْ سَمَاوَةً صَخَصَحَانِ^(١)
يَخِذْنَ كَأَنَّهُنَّ بِكُلِّ خَزَقٍ وَإِغْسَاءَ الظَّلَامِ عَلَى رَهَانِ^(٢)
وَلِنْ غَوْرُنَ هَاجِرَةً بِفَيْفٍ كَأَنَّ سَرَابَهَا قَطَعَ الدُّخَانِ^(٣)
وَضَعْنَ بِهِ أَجِنَّةَ مُجْهِضَاتٍ وَضَعْنَ لِثَالِثٍ عَلَقًا وَثَانِ
وَلَيْلٍ فِيهِ تَحْسَبُ كُلُّ نَجْمٍ بَدَا لَكَ مِنْ خَصَاصَةِ طَيْلَسَانِ
نَعَشْتُ بِهِ أَرْمَةً طَاوِيَاتٍ نَوَاجٍ لَا تَبِينُ عَلَى إِكْتِنَانِ
تُشِيرُ عَوَازِبَ الْكُذْرِيِّ وَهَنًا كَأَنَّ فِرَاقَهَا قَمَرُ الْأَقَانِي
بَطَّانُ خُدُودِهِ مُتَشَمِّمَاتٍ عَلَى سُمْرٍ تَفْضُ حَصَى الْمِثَانِ
سَرِينَ جَمِيعَهُ حَتَّى تَوَلَّى كَمَا إِنْكَبَّ الْمُعْبِدُ لِلْجِرَانِ^(٤)
وَشَقَّ الصُّبْحُ أُخْرَى اللَّيْلِ شَقًّا جِمَاحٌ أَغْرَ مُنْقَطِعَ الْعِثَانِ
وَمَا سَلَمَى بِسَيِّئَةِ الْمُحْيَا وَلَا عَسْرَاءَ عَاسِيَةِ الْبَنَانِ^(٥)

(١) الْمُتَقَدَّمَاتُ فِي السَّيْرِ، وَسَمَاوَةٌ: مَاءٌ فِي الْبَادِيَةِ.

(٢) أَغْسَى اللَّيْلُ: أَظْلَمَ.

(٣) الْفَيْفُ: مَفْرَدٌ جَمْعُهُ الْفَيَافِي، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمَسْتَوِيَةُ الْوَاسِعَةُ.

(٤) الْجِرَانُ: مَقْدَمَةُ عُنُقِ الْبَعِيرِ، فَإِذَا بَرَكَ الْبَعِيرُ، قِيلَ أَلْقَى جِرَانَهُ بِالْأَرْضِ.

(٥) يَدٌ عَاسِيَةٌ: غَلِيظَةٌ خَشَنَةٌ.

أَلَا قَدْ هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا بُكَاءَ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
تَنَادَى الطَّائِرَانِ بِصُرْمٍ سَلَمَى عَلَى غُضْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ
فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَاقَتْ سُلَيْمَى وَبِالْغَرْبِ إِغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِ
وَلَوْ سَأَلْتُ سِرَّاءَ الْحَيِّ عَنِّي عَلَى أَنِّي تَلَوْنِ بَيْنَ زَمَانِي
لَخَبَّرَهَا دَوُوْا أَحْسَابِ قَوْمِي وَأَعْدَائِي فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي
بِدَفْعِ الدَّمِّ عَن حَسْبِي بِمَالِي وَزَيْنَاتِ أَشْوَسَ تَيْجَانِ^(١)
وَأَنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ إِذَا لَمْ أَجِنِ كُنْتُ مَجْنَّ جَانِ

(١) الزينونات: من الزين: وهو الدَّفْعُ، والتَّيْجَان: العريض المقدام.

صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ

الْقَصِيدَةُ الزَّيْنَبِيَّةُ

تُنَسَّبُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لَكُنَّهَا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ تُنَسَّبُ لِصَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ بِالِاسْمِ نَفْسِهِ : «الْقَصِيدَةُ الزَّيْنَبِيَّةُ» كَمَا فِي مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ لِیَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ وَأَثْبَتَهَا الْيُوسُفِيُّ فِي «الْمُحَاضَرَاتِ فِي الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ» كَامِلَةً ، كَمَا أوردَهَا الْأَتْلِيدِيُّ وَنَسَبَهَا لِصَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ الَّذِي قُتِلَ لِتُهِمَةِ الزُّنْدَقَةِ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْمَهْدِيِّ ، الْقَصِيدَةُ بَيَانٌ فِي الْحِكْمَةِ ، وَخُلَاصَةٌ لِتَجْرِبَةٍ شُعُورِيَّةٍ / ذَهْنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ .

صَرَمْتَ حَبَالَكَ بَعْدَ وَضَلِكِ زَنْبٍ
وَالدَّهْرُ فِيهِ تَغْيِيرٌ وَتَقْلُبُ
نَشَرْتَ ذَوَائِبَهَا الَّتِي تَزْهَوِي بِهَا
سُودًا وَرَأْسُكَ كَالثَّغَامَةِ أَشْيَبُ^(١)
وَاسْتَنْفَرْتَ لَمَّا رَأَيْتَكَ وَطَالَمَا
كَأَنْتَ تَجِيءُ إِلَيَّ لِقَاكَ وَتَرْغَبُ

(١) الثغامة: شجرة بيضاء الزهر والثمر ومن المجاز: أغمم رأس الرجل إذا ابيض.

وَكَذَٰكَ وَضَلُ الْغَانِيَاتِ فِإِنَّهُ
أَلْ بِبَلَقَةٍ وَيَزُقْ خَلْبٌ^(١)
فَدَعِ الصُّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ
وَأَزْهَدَ فَعُمُرُكَ مِرًّا مِنْهُ الْأَطْيَبُ
ذَهَبَ الشُّبَابُ فَمَالَهُ مِنْ عَوْدَةٍ
وَأَنَّى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ
دَخَ عَنْكَ مَا قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ الصُّبَا
وَأَذْكُرْ دُنُوبَكَ وَإِكْهَآ يَا مُذْنِبُ
وَأَذْكُرْ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ فَإِنَّهُ
لَا بُدَّ يُخْصِي مَا جَنَيْتُ وَيُكْثِبُ
لَمْ يُنْسِهِ الْمَلَكُانِ حِينَ نَسِبْتُهُ
بَلْ أَثْبَنَاهُ وَأَنْتَ لَاهِ تَلْعَبُ
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعةٌ أَوْدَعْتِهَا
سَتَرْدَهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلِّبُ
وَعُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا
دَارُ حَقِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
وَاللَّيْلُ فَاغْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا
أَنْفَاسُنَا فِيهَا تَعْدُ وَتُحْسَبُ
وَجَمِيعُ مَا خَلَفْتَهُ وَجَمَعْتَهُ
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ

(١) البلقع: الأرض الخالية، والآل: السراب.

تَبَا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا
وَمُشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرُبُ
فَاسْمَعْ هُدَيْتَ نَصِيحَةَ أَوْلَاكُهَا
بِرُّ نَصُوحٍ لِلْإِيمَانِ مُجَرَّبُ
صَحِبَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ مُسْتَنْبِصِرُ
وَرَأَى الْأُمُورَ بِمَا تَوُوبُ وَتَغْفِبُ
لَا تَأْمِنِ الدَّهْرَ الْخَوُوزَ فَإِنَّهُ
مَا زَالَ قُدَمَاءَ لِلرِّجَالِ يُودَّبُ
وَعَوَاقِبُ الْإِيمَانِ فِي غَضَاتِهَا
مَضَضٌ يُدَلُّ لَهُ الْأَعْرُ الْأَنْجَبُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّمْنُهَا تَفُزُ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَهْيَبُ
وَإِعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنْلُ مِنْهُ الرِّضَا
إِنَّ الْمُطِيعَ لَهُ لَدَيْهِ مُقَرَّبُ
وَاقْنَعْ فَنِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةٌ
وَالْيَأْسُ مِمَّا فَاتَ فَهُوَ الْمَطْلَبُ
فَإِذَا طَمَعْتَ كُسِبَتْ ثُوبَ مَذَلَّةٍ
فَلَقَدْ كُسِبَ ثُوبَ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ
وَتَوَقَّ مِنْ غَدْرِ النِّسَاءِ خِيَانَةً
فَجَمِيعُهُنَّ مَكَايِدُ لَكَ تَنْصَبُ
لَا تَأْمِنِ الْأُنثَى حَيَاتِكَ إِنَّهَا
كَالْأَفْعُوانِ يُرَاعَ مِنْهُ الْأَنْبَبُ

لَأُثَامِنِ الْأَثْنَى زَمَانِكَ كُلَّهُ
بُيُوتاً وَلَوْ حَلَفْتُ يَمِيناً تُكْذِبُ
تُغَرِّبِي بِلَيْلِينَ خَدِيدِيهَا وَكَلَامِيهَا
وَإِذَا سَطَطْتُ فَهِيَ الصَّقِيلُ الْأَشْطَبُ
وَإِذَا عَدُوُّكَ بِالنُّجْبَةِ وَلَتَكُنْ
مِنْهُ زَمَانُكَ خَائِفاً تَتَرَقَّبُ
وَإِخْذَرُهُ إِنْ لَأَقْبَيْتُهُ مُتَبَسِّمًا
فَاللَّيْتُ يَبْدُو نَابُهُ إِذَا يَغْضَبُ
إِنْ الْعَدُوُّ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
فَالْحَقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغَيَّبُ
وَإِذَا الصُّدَيْقُ لَقِيَتْهُ مُتَمَلِّقًا
فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ
لَا خَيْرَ فِي وَدَائِرِي مُتَمَلِّقٍ
خُلُوِ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
يَلْقَاكَ بِخَلْفٍ إِنَّهُ بِكَ وَائِقُ
وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرَبُ
يَغْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةٌ
وَيَرُوعُ مِنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثَّغْلَبُ
وَصِلِ الْبِرَامَ وَإِنْ رَمَوْكَ بِجَفْوَةٍ
فَالصَّفْحُ عَنْهُمْ بِالتَّجَاوُزِ أَضَوْبُ
وَاخْتَرْ قَرِينَكَ «وَأَضْطَفِيهِ» تَفَاخُرًا
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ

إِنَّ الْفَنِيِّ مِنَ الرُّجَالِ مُكْرَمٌ
 وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْهَبُ
 وَيَبْشُرُ بِالتَّرْجِيْبِ عِنْدَ قُدُومِهِ
 وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيَقْرَبُ
 وَالْفَقْرُ شَيْنٌ لِلرُّجَالِ فَإِنَّهُ
 حَقًّا يَهُونُ بِهِ الشَّرِيفُ الْأَنْسَبُ
 وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ
 بِتَذَلُّلٍ وَاسْمَحْ لَهُمْ إِنْ أَذْنَبُوا
 وَدَعْ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
 إِنْ الْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَضْحَبُ
 وَزَيْنَ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ
 نَرْنَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
 وَاخْفِظْ لِسَانَكَ وَاخْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ
 فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيُغْطَبُ
 وَالسُّرُّ فَاكْتِمَهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ
 إِنْ الرُّجَاةُ كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ
 وَكَذَلِكَ سِرُّ الْمَرْءِ إِنْ لَمْ يَطْوِهِ
 نَشَرَتْهُ أَلْسِنَةُ تَزِيدُ وَتَكْذِبُ
 لَا تَحْرِصَنَّ عَلَى الْحِرْصِ لَيْسَ بِزَائِدٍ
 فِي الرُّزْقِ بَلْ يَشْقَى الْحَرِيصُ وَيَتَعَبُ
 وَيَظَلُّ مَلْهُوفًا يَرُومُ تَحِيْلًا
 وَالرُّزْقُ لَيْسَ بِحِيلَةٍ يُسْتَجْلَبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ بِأَيْدِي رِزْقِهِ
رَغَدًا وَيُخْرِمُ كَيْسٌ وَيُخَيِّبُ
وَارِعَ الْأَمَانَةِ وَالْخِيَانَةَ فَاجْتَنِبْ
وَاعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطْبُ لَكَ مَكْسَبُ
وَإِذَا أَصَابَكَ نَكْبَةٌ فَاضْبِرْ لَهَا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبُ
وَإِذَا رُمِيتَ مِنَ الزَّمَانِ بِرِيْبَةٍ
أَوْ نَالَكَ الْأَمْرُ الْأَشَقُّ الْأَضْعَبُ
فَاضْرَعْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
كُنْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْأَنَامِ بِمَغْرَلٍ
إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَرَى لَا يُضَحَّبُ
وَإِذَا مَصَّاحِبَةُ اللَّيْمِ فَإِنَّهُ
يُعْذِبُنِي كَمَا يُعْذِبُ الصَّحِيحَ الْأَجْرَبُ
وَإِذَا مَنِ الْمَظْلُومُ سَهْمًا صَائِبًا
وَاعْلَمْ بِأَنْ دُعَاءَهُ لَا يُخَجَّبُ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عِزًّا بِبَلَدَةٍ
وَحَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
فَارْحَلْ، فَارْضُ اللَّهُ وَأَسْعَ الْفَضَا
طُولًا وَعَرْضًا، شَرْقُهَا وَالْمَغْرِبُ
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي
فَالْتَضَعْ أَعْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوْهَبُ

الأخيمر السعدي

القصيدة الوحشية

شاعِرٌ لَصٌّ عَاشَ بَيْنَ الْعَهْدَيْنِ الْأُمَوِيِّ وَالْعَبَّاسِيِّ، كَانَ يَقْرَأُ شِعْرَهُ
لِلوُحُوشِ وَالرِّيحِ وَالصَّخَرَاءِ الْبَعِيدَةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَصِلْنَا مِنْ أَشْعَارِهِ إِلَّا
بَعْضُ الْأَبْيَاتِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الْمَعْبُورَةُ عَنْ عُرْزَةِ الْبَشَرِ وَأَلْفَةِ الْوُحُوشِ،
وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَحْشِيَّةً فِي بَيْتِهَا، فَإِنَّهَا أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ أَلْفَةً فِي
لُغَتِهَا وَمَعَانِيهَا. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «الشُّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ»: «كَانَ الْأَخِيمَرُ
لِصًّا كَثِيرَ الْجَنَائِيَّاتِ، فَخَلَعَهُ قَوْمُهُ، وَخَافَ السُّلْطَانُ، فَخَرَجَ فِي الْفَلَوَاتِ
وَفَقَارِ الْأَرْضِ. . . قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ جِزْتُ نَخْلَ وَبَار^(١)، أَوْ قَدْ قَرَّبْتُ
مِنْهَا، وَذَلِكَ لِأَنِّي كُنْتُ أَرَى النَّوَى فِي رَجِيعِ الطَّبَاءِ^(٢)، وَصِرْتُ إِلَى
مَوَاضِعَ لَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَيْهَا قَطُّ قَبْلِي. وَكُنْتُ أَغْشَى الطَّبَاءَ وَغَيْرَهَا مِنْ

(١) أَرْضُ وَبَار: أَرْضُ سَكَنَهَا قَوْمُ عَادٍ، تَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ هَلَكَ قَوْمُ عَادَ سَكَنَهَا
الْجِنُّ.

(٢) النَّوَى: نَوَاةُ التَّمَرِ، وَالرَّجِيعُ: مَا تَخَلَّفَهُ الطَّبَاءُ مِنْ فَضَلَاتٍ، يَرِيدُ أَنْ مَرَاعِيَ الطَّبَاءِ
كَانَتْ فِي تِلْكَ الْأَشْجَارِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِي فَضَلَاتِ الطَّبَاءِ نَوَى مِنْ تَمَرِ أَشْجَارِ تِلْكَ
النَّخِيلِ: «نَخِيلِ وَبَار»

بَهَائِمِ الْوَحْشِ فَلَا تَنْفِرُ مِنِّي، لَأَنَّهُا لَمْ تَرَ غَيْرِي قَطُّ وَكُنْتُ أَخْذُ مِنْهَا
لِطَعَامِي مَا شِئْتُ، إِلَّا التَّعَامَ، فَإِنِّي لَمْ أَرَهُ قَطُّ إِلَّا شَارِدًا فَرِعَاً.

عَوَى الذُّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذُّئْبِ إِذْ عَوَى
وَصَوْتُ إِنْسَانٍ فَكَذْتُ أَطِيرُ
يَرَى اللَّهُ إِنِّي لِلْأَنْبِيسِ لَكَارِهِ
وَتُبْغِضُهُمْ لِي مُقْلَةٌ وَضَمِيرُ
فَلَيْلٍ إِنْ وَارَانِي اللَّيْلُ حُكْمُهُ
وَالشَّمْسُ إِنْ غَابَتْ عَلَيَّ تُدَوِّرُ
وَإِنِّي لَأَسْتَجِيبُ مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى
أَجْرُ حَبْلٍ لَيْسَ فِيهِ بِعَمِيرُ
وَأَنْ أَسْأَلَ الْوَعْدَ اللَّئِيمَ بِعَمِيرِهِ
وَيَفِرُّ رُبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرُ
لَعْنُ طَالٍ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ لَرُبَّمَا
أَتَى لِي لَيْلٌ بِالشَّامِ قَصِيرُ
مَعِي فِتْنَةٌ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَتَهُمْ
عَلَى الرَّحْلِ فَوْقَ النَّاعِجَاتِ بُدُورُ
أَيَّا نَخْلَاتِ الْكَرْمِ لَا زَالَ رَأَيْحًا
عَلَيْكُمْ مِنْهُلُ الْعَمَامِ مَطِيرُ
سُقَيْتُنْ مَا دَامَتْ بِكَرْمَانِ نَخْلَةٌ
عَوَامِرَ تَجْرِي بَيْنَكُمْ بُحُورُ
سُقَيْتُنْ مَا دَامَتْ بِنَجْدٍ وَشَيْجَةٍ
وَلَا زَالَ يَسْعَى بَيْنَكُمْ غَدِيرُ

أَلَا حَبْدًا الْمَاءَ الَّذِي قَابَلَ الْجَمَى
 وَمُرْتَبِعَ مَنْ أَهْلِنَا وَمَصِيرُ
 وَأَيَّامُنَا بِالْمَالِ كَيْفَةً إِنِّي
 لَهُنَّ عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ذِكُورُ
 وَيَا نَخْلَاتِ الْكَرْخِ لَا زَالَ مَا طُرُ
 عَلَيْكُنَّ مُسْتَنُّ الرِّيحِ ذُرُورُ
 وَمَا زَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى رَأَيْتُنِي
 بِدَوْرَقٍ مُلْقَى بَيْنَهُنَّ أَدُورُ
 نَذَكُرْنِي أَظْلَالُكُنَّ إِذَا دَجَّتْ
 عَلَيَّ ظِلَالُ الدَّوْمِ وَهِيَ هَجِيرُ
 وَقَدْ كُنْتُ رَمْلِيًّا فَأَضْبَحْتُ ثَاوِيًّا
 بِدَوْرَقٍ مُلْقَى بَيْنَهُنَّ أَدُورُ
 وَقَدْ كُنْتُ ذَا قُرْبٍ فَأَضْبَحْتُ نَازِحًا
 بِكَرْمَانَ مُلْقَى بَيْنَهُنَّ أَدُورُ
 وَنُبِئْتُ أَنَّ الْحَيَّ سَفَدًا تَخَاذَلُوا
 حَمَاهُمْ وَهُمْ لَوْ يَغْصِبُونَ كَثِيرُ
 أَطَاعُوا لِفَيْثِيَّانِ الصَّبَاحِ لِنَأْمَهُمْ
 فَذُوقُوا هَوَانَ الْحَرْبِ حَيْثُ تَدُورُ
 خَلَا الْجَوْفُ مِنْ قُتَالِ سَفَدٍ فَمَا بِهَا
 لِمُسْتَصْرِخٍ يَدْعُو الثُّبُورَ نَصِيرُ
 نَظَرْتُ بِقَضَرِ الْأَبْرَشِيَّةِ نَظْرَةً
 وَطَرَفِي وَرَاءَ النَّاطِرِينَ بِصِيرُ

فَرَدُّ عَلَيَّ الْعَيْنِ أَنْ أَنْظُرَ الْقُرَى
 قُرَى الْجَوْفِ نَحْلُ مُغْرِضٍ وَبُحُورُ
 وَتَبْهَاءُ يَزُورُ الْقَطَا عَنْ فَلَايَها
 إِذَا عَسَبَلْتُ فَوْقَ الْمِثَانِ حُرُورُ
 كَفَى حَزْناً أَنْ الْجِمَارَ بَنَ بِحَدَلِ
 عَلَيَّ بِأَكْنَافِ السُّتَارِ أَمِيرُ
 وَأَنْ إِسْنَ مُوسَى بَائِعِ الْبَقْلِ بِالنُّوَى
 لَهُ بَيْنَ بَابِ وَالسِّتَارِ خَطِيرُ
 وَلِإِنِّي أَرَى وَجْهَ الْبُقَاةِ مُقَانِلًا
 أَذِيرَةَ يَسْدِي أَمَرْنَا وَيُنِيرُ
 هَنِيئًا لِمَحْفُوظٍ عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا
 وَلَإِنِّي لَرَّا زِمْنًا مَغْنَمٌ وَسُرُورُ
 أَنْاعِيمُ يَخُونُهُنَّ بِالْجَرَعِ الْغَضَا
 جَعَابِيْبُ فِيهَا رِثَّةٌ وَدُّنُورُ^(١)

(١) الْأَنْعَامُ: جَمْعُ الْجَمْعِ لِلْأَنْعَامِ وَهِيَ الْإِبِلُ، وَجَعَابِيْبُ: جَمْعُ جَعْبُوبٍ وَهُوَ الدَّمِيمُ
 الْفَقِيرُ، وَقِيلَ هُوَ الدَّنِيءُ مِنَ الرِّجَالِ.

الْفَارَعَةُ الْخَارِجِيَّةُ

بُكَائِيَّةٌ عَلَى الْخَابُورِ

لَا يَكَادُ يَخْلُو كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الْحِمَاسَاتِ أَوْ سَائِرِ الْمُخْتَارَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ أَوْ كُتُبِ الْبَلَاغَةِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْفَرِيدَةِ أَوْ بَعْضِ أُبَيَّاتِهَا، وَلَعَلَّهَا أَجْمَلُ مَرْثِيَةٍ قَالَتْهَا امْرَأَةٌ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، تُضَاهِي بِهَا مَرَاثِي الْخُنَسَاءِ لِأَخِيهَا صَخْرٍ.

قَالَتْهَا الْفَارَعَةُ الْخَارِجِيَّةُ، وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ اسْمُهَا: لَيْلَى الشَّيْبَانِيَّةُ، فِي أَخِيهَا الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفِ الشَّارِيِّ قَائِدِ الْخَوَارِجِ الشُّرَاةِ فِي عَهْدِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، الَّذِي قَتَلَهُ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ عَلَى أَطْرَافِ الْمَوْصِلِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا قَرَابَةٌ، تَقُولُ كُتُبُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ سَارَتْ بَيْنَ الرُّكْبَانِ، وَلِذَلِكَ أَثْبَتَهَا ابْنُ خَلِّكَانَ كَامِلَةً فِي وَفَيَاتِهِ، لَمَّا تَمَتَّعَ بِهِ مِنْ غَرَابَةِ وَحُسْنِ، مِنْ شَاعِرَةٍ أَجَادَتْ «وَهْيَ قَلَمًا تَجُودُ»

بِتَلِّ نُبَاتَيْنِ رَسَمُ قَبْرِ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ^(١)

(١) تَلِّ نُبَاتَى: تَلُّ فِي نَوَاحِي الْمَوْصِلِ وَقِيلَ فِي نَصِييْنِ.

نَضْمُنْ جُوداً حَائِمْبِياً وَنَائِلاً وَسُورَةً مِقْدَامَ وَرَأْيِ حَصِيفِ
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجُنَّ كَيْفَ أَضْمَرْتَ فَتَى كَانَ لِلْمَرْزُوفِ غَيْرِ عَيْوَفِ ^(١)
فَبِإِلَّا تُجِبْنِي دِمْنَةً هِيَ دُونُهُ فَقَدْ طَالَ تَسْلِيمِي وَطَالَ وَقُوفِي
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَضَعِيفاً تَضْمَنْتُ إِذَا عَظُمَ الْمَرْزِيُّ وَلَا إِبْنَ ضَعِيفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ
فَتَى لَا يَلُومُ السَّيْفَ حِينَ يَهْرُهُ عَلَى مَا اخْتَلَى مِنْ مِغْصَمٍ وَصَلِيفِ ^(٢)
فَتَى لَا يُحِبُّ الرِّادَ إِلَّا مِنَ الثَّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَّا وَسُيُوفِ
وَلَا الْخَيْلَ إِلَّا كُلَّ جَزْدَاءَ شَطْبَةٍ وَكُلَّ حِصَانٍ بِالْيَدَيْنِ غُرُوفِ ^(٣)
وَلَا الذُّخْرَ إِلَّا كُلَّ جَزْدَاءَ صَلْدَمٍ معاودةً لِلْكَرْبَيْنِ صُفُوفِ ^(٤)
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ هُنَاكَ وَلَمْ تَقُمْ مَقَاماً عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفِ
وَلَمْ تَسْتَلِمْ يَوْمَما لِرَدِّ كَرْنِهِةٍ مِنَ السَّرْدِ فِي خَضْرَاءِ ذَاتِ رَفِيفِ
وَلَمْ تَسْعَ يَوْمَ الْحَرْبِ، وَالْحَرْبُ لَاقِحٌ وَسُمِرَ الْقَنَا بِنُكْرَئِهَا بِأَثُوفِ ^(٥)
وَمَا زَالَ حَتَّى أَزْهَقَ الْمَوْتُ نَفْسَهُ شَجاً لِعَدُوٍّ أَوْ لَجاً لِضَعِيفِ
فَبِإِنْ بَكَ أَرْدَاهُ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ فَيَا رَبَّ خَيْلٍ قَضَّهَا وَصُفُوفِ
فَبِأَ شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ
حَلِيفِ النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَا يَرْضَى النَّدَى بِحَلِيفِ

(١) الجنا: التراب المتجمع مشكلاً هيئة القبر.

(٢) الصليف: جانب العنق.

(٣) الأجرْدُ من الخيول: الذي لا شعر على جسده، وفرس شطبة: طويلة حسنة.

(٤) الصلْدَمُ: الجواد القوي الشديد الحافر.

(٥) النكرُ الغرز واللسع.

فَقَدْنَاكَ فُقْدَانُ الرَّبِيعِ وَلَيْتَنَّا
أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلْجَمَامِ وَلِلْبَلَى
أَلَا يَا لَقَوْمِي لِلتَّوَاتِبِ وَالرَّدَى
وَلِلْبَذْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى
وَلِلْبَيْتِ فَوْقَ النَّعْشِ إِذْ يَحْمِلُونَهُ
بَكَتْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ يَوْمَ وَقَاتِهِ
يَقْلُنْ وَقَدْ أَبْرَزَنْ بَعْدَكَ لِلْوَرَى
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ مِصَاعًا وَلَمْ تَقُمْ
وَلَمْ تَشْتَمِلْ يَوْمَ الْوَعَى بِكَتِيبَةٍ
دِلَاصٍ تَرَى فِيهَا كُدُوحًا مِنَ الْقَنَّا
وَطَعْنَةً خَلَسَ قَدْ طُعِنْتَ مُرْشَةً
وَمَائِدَةً مَحْمُودَةً قَدْ عَلَوَتْهَا

قَدِينَاكَ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوُفِ
وَلِلْأَرْضِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِرْجُوفِ
وَدَهْرٍ مُلِحٍ بِالْكَرَامِ عَفِيفِ
وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفِ
إِلَى حُفْرَةِ مَلْحُودَةٍ وَسُقُوفِ
وَأَبْرَزَ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ نَصِيفِ
مَعَاقِدَ حُلِيٍّ مِنْ بَرَى وَشَنُوفِ^(١)
مَقَامًا عَنِ الْأَعْدَاءِ غَيْرِ خَفِيفِ^(٢)
وَلَمْ تَبْدُ فِي خَضِرَاءِ ذَاتِ رَفِيفِ
وَمِنْ ذَلِكَ يَغْجَمْنَهَا بِحُرُوفِ^(٣)
عَلَى يَزْنِي كَالشُّهَابِ رَعُوفِ^(٤)
بِأَوْصَالِ بَخْتِي أَحَدًا عَنِيفِ^(٥)

(١) البري: قرط في الأنف والشنوف: القرط في الإذن.

(٢) المصاع: المبارزة بالسيوف.

(٣) الدلاص: الدرع الملساء اللينة، والكدوح: الخدوش، والذلق: السيوف، دلالة على حدتها.

(٤) طعنة خلّس: طعنة مختاللة وحذرة، وطعنة مرشّة: لها رشاش من الدّم.

(٥) البختي: نوع من الإبل الخراسانية، والأحد: السريع.

ابن أبي السُّعَلَات

القَصِيدَةُ الْمَنَسِيَّةُ

هَذِهِ شَهَادَةُ شِعْرِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ لِشَاعِرٍ كُوفِيٍّ، عَنْ عَضْرِ قَالَ الْمُؤَرِّخُونَ إِنَّهُ زَاهِرٌ. لَكِنَّ ابْنَ أَبِي السُّعَلَاتِ يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ آخَرَ لِذَلِكَ الْعَضْرِ حَيْثُ يَفْضَحُ الْفَسَادَ الْإِدَارِيَّ فِي الْكُوفَةِ خِلَالَ فِتْرَةِ الْمَأْمُونِ، وَاسْتِبْدَادِ الْإِفْطَاحِ وَالْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ وَأَصْحَابِ الْخَرَاجِ، فِي لَفْتَةٍ نَادِرَةٍ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ خِلَالَ ذَلِكَ الْعَضْرِ.

هُوَ شَاعِرٌ مَعْمُورٌ حَقًّا، لَمْ تُؤرِّخْ لَهُ الْمَصَادِرُ، وَلَوْلَا مَا أَرَّخَهُ هُوَ عَنْ عَضْرِهِ لَمَا عَرَفْنَا إِلَى أَيِّ عَضْرِ يَنْتَمِي، فَقَدْ أَغْفَلَتْهُ جَمِيعُ الْمَصَادِرِ الْأَدَبِيَّةِ تَقْرِيْبًا، وَلَمْ يَذْكُرْهُ إِلَّا طَبَقُورٌ فِي الْمَنْثُورِ وَالْمَنْظُومِ: ضَمَّنَ الْقَصَائِدِ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي لَا مِثْلَ لَهَا^(١) وَيَبْدُو أَنَّهُ الْمَصْدَرُ الْوَحِيدُ عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي لَا مِثْلَ لَهَا حَقًّا خَاصَّةً فِي مَوْضُوعِهَا، وَجُرْأَتِهَا.

(١) «المنثور والمنظوم» - القصائد المفردات التي لا مثل لها تأليف أبي الفضل طيفور،

تحقيق محسن غياض وعنه نقل إبراهيم النجار في الجزء الرابع من كتابه: «شعراء

عباسيون منسيون»

فَصِيدَةُ مَنْسِيَّةٍ نَادِرَةٌ تُعْبَرُ عَنْ غُرْبَةِ مُرَكَّبَةٍ: غُرْبَةِ الرُّوحِ وَانْحِسَارِ
التَّوَاضُّعِ، وَغُرْبَةِ لُغَوِيَّةٍ ثَقَايِيَّةٍ عَمِيقَةٍ.

أَلَمْ تَرَ أَنِّي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ
لَهُنَّ صُرُوفٌ بِالْفَتَى تَنْصَرِفُ
تَبَدَّلْتُ بِالْمِضَرِ السَّوَادَ فَلَمْ يَكُنْ
بِهِ بَدَلًا أَغْتَاضُ عَنْهُ وَأُخْلَفُ
يُرَاطِنُنِي أَنْبَاطُهُ مِنْ كَلَامِهَا
بِمَا لَيْسَ مِنْهُ مَا أَبِينُ وَأَعْرِفُ
وَلَا يَغْرِفُونَ الْقَوْلَ مِنِّي كَأَنِّي
أُحَاوِلُ أَغْيَارَ السُّيُوفِ وَتَكْرِفُ^(١)
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى امْرَأَةً نَاكَ أُمُّهُ
سَيَزْعُمُ جَهْلًا أَنَّ ذَلِكَ أَشْرَفُ
وَمُغْتَصِمٌ لَمْ يَغْرِفِ اللَّهَ قَلْبُهُ
وَيُظْهِرُ قَوْمٌ أَنَّهُ مُتَحَنِّفُ
تَعَرَّوْا مِنَ الْأَخْلَاقِ إِلَّا سَعَايَةَ
فَكُلُّهُمْ فِيهَا يَخْبُ وَيُوجِفُ^(٢)
وَأَصْدَقُهُمْ فِي الْقَوْلِ مَنْ هُوَ كَاذِبُ
وَأَوْفَاهُمْ بِالْوَعْدِ مَنْ هُوَ مُخْلِفُ

(١) أعيارُ السيوف: أي السيوف التي تكون بها نتوءات من وسطها، وتكرف: تشم ولا تستطيب فتبتعد.

(٢) السَّعَايَةُ: أن يسعى أحدهم للإيقاع بصاحبه، لدى أولي الأمر، وهي الوشاية لدى السلطة.

فَلَا قَدَسَ اللَّهُ الزَّمَانَ مَحَلُّهُ
وَلَا زَالَ عَنْهُ نَافِعُ الْغَيْثِ يُضَرَفُ
بِلَادٍ يُضَرُّ الْحُرُّ فِيهَا بِنَفْسِهِ
وَيُعْتَبُ فِيهَا الْمُسْلِمُ الْمُتَعَفِّفُ
فَمِنْهَا الثَّجَائِمُ الثَّجَانُ خَوْ بِلْدَةٍ
تُكْرَمُ فِيهَا مَا أَتَيْتَ وَتُنْحَفُ
بِهَا مِنْ مَوَالِيكَ الْأَقَارِبِ عُصْبَةٌ
تُحَدِّبُهَا قُرْبَى عَلَيْنِكَ وَتَغْطِفُ
إِذَا سَامَكَ الْمَرْءُ الْعَزِيزُ ظِلَامَةً
أَبَتْ ذَلِكَ أَسْيَافٌ وَسُمْرٌ تَثَقَّفُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا لَنَا مِنْ ظِلَامَةٍ
وَفِي اللَّهِ لِلْمَظْلُومِ كَافٍ وَمُنْصِفٌ
تَحْيِفُنَا الْعُمَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَلَا يُسْتَطَاعُ الْعَامِلُ الْمُتَحْيِفُ^(١)
بِكُوفَتِنَا وَإِلَى عَلَى صَلَوَاتِنَا
ظُلُومٌ غَشُومٌ ظَاهِرُ الْفِسْقِ مُشْرِفٌ
وَقَاضٍ ضَعِيفُ الْحِلْمِ وَالْعَقْلِ جَاهِلٌ
يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَيَجْنَفُ^(٢)

(١) تَحْيِفُنَا: أحاطوا بنا من كل جانب، والعامل: الوالي، والمتحيف من الحيف: الجور والظلم.

(٢) الْجَنْفُ، الْمَيْلُ وَالْجَوْرُ وَالْعُدُولُ، ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةِ ١٨٢: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُؤْمِرٍ جَنَفًا﴾.

يُغَيِّرُ عَلَى أَمْوَالِنَا وَضِيَاعِنَا
فَيُسْعِدُهُ الْقَاضِي عَلَيْهَا وَيَكْنُفُ^(١)
فَإِنْ لَقَفَ الْوَالِي عَلَيْنَا شُهُودَهُ
زَكَا عِنْدَ قَاضِينَا الشَّهِيدُ الْمَلْفُفُ^(٢)
وَحَجَّتُنَا لَا تُقْبَلُ الدُّهْرَ عِنْدَهُ
وَشَاهِدُنَا عَنْ عَمْدٍ عَيْنٍ مُوقِفُ
فَرَزْنَا إِلَى الْقَاضِي مَخَافَةً غَيْرِهِ
فَكَانَ مِنَ الْقَاضِي النَّبِيِّ هِيَ أَخَوْفُ
وَأَضْحَى عَلَيْنَا عَامِلَانِ بِبَابِلِ
أَخُوذَنْبٍ لَا خَيْرَ فِيهِ وَأَقْلَفُ
فَمَا فِيهِمْ إِلَّا مُوَارِ خَزَائِنَهُ
هِيَ السُّوْأَةُ السُّوَاءُ إِنْ لَمْ يُكْشَفُوا^(٣)
يَسِيرَانِ فِيْنَا سِيرَةً مَا أَتَى بِهَا
رَسُولٌ وَلَا وَخِيٍّ مِنَ اللَّهِ يُغْفَرُ
وَلَمْ يَكُ فِي عَهْدِ الْأَمِيرِ إِلَيْهِمَا
أَمِيرُكَ أَتَقَى لِلَّهِ وَأَنْصَفُ

(١) يَكْنُفُهُ، يَرْعَاهُ.

(٢) لَقَفَ: لَفَقَ وَزَوَّرَ: وَالْمَلْفُفُ: الْمُزَوَّرُ، وَهِيَ مَجَازٌ مِنَ الرَّجُلِ الْمَلْفُفِ: أَيِ الْمَتَدَثَّرِ.

(٣) الْخَزَائِنُ: مِنَ الْخِزْيِ، وَهِيَ اسْتِجَاءُ الْإِنْسَانِ مِنْ شَيْءٍ أَوْ فِعْلٌ قَبِيحٌ أَتَاهُ، وَقَدْ تَصَرَّفْنَا بِقَافِيَةِ الْبَيْتِ، لِأَنَّهَا وَرَدَتْ «لَمْ يَكْشَفُ» بِالضَّمِّ، لَدَى كُلِّ مَنْ طَيَّفُورٍ وَالنَّجَارِ، وَلَيْسَ بِوَاوِ الْجَمَاعَةِ، وَهَذَا خَطَأٌ، كَمَا أَنَّ الْمَعْنَى لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا إِذَا أَخَذْنَا بِهَذَا التَّعْدِيلِ الْمَذْكُورِ.

وَلَا امْتِلَا فِينَا سَوَىٰ «بُخْتَنْصُرٍ»
فَإِنَّهُمَا مِنْهُ لِأَعْتَى وَأَعْسَفُ^(١)
فَظَاظَةً هَذَا نَشْتَكِيهَا وَعُتْفُهُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ هَذَا أَقْظُ وَأَعْنَفُ
أَتَعْجَبُ مِنْ عَمْرٍو لَأَنَّ كَانَ وَالْيَا
وَذَلِكَ مِنْ إِبْنِ النَّبِيْطَةِ أَطْرَفُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا ارْتَدَى لُؤْمٌ أَضْلِيهِ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بِهِ مُتَلَحَّفُ^(٢)
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ رَسَالَةً
كَأَخْسَنِ مَا يُبْنِي الْكَلَامُ وَيُرْصَفُ
بِأَن قَدْ أَتَى الْعِلْجَانَ مَا لَوْ عَلِمْتَهُ
لَنُكِّلَ بِالْعِلْجَيْنِ عِنْدَكَ مَوْقِفُ^(٣)
لَقَدْ أَلَزَمَا أَهْلَ الضُّبَاعِ مَوْزُونَ
تُحْبِطُ بِغِلَاتِ الضُّبَاعِ وَتُجْخِفُ
نَوَاصِبُ سُوءِ أَلْفِ السُّوءِ بَيْنَهَا
كَمَا ضَمَّ بِالشَّعْبِ الْإِنَاءُ الْمُؤَلَّفُ^(٤)

(١) بختنصر: هو نبوخذنصر الثاني أو بختنصر الكلداني أشهر ملوك بابل، اجتاحت منطقة بلاد الشام، ودمر أورشليم «القدس» وسبوا عشرات الآلاف من سكان منطقة بلاد الشام إلى بابل، ووضعه الشاعر هنا رمزاً للطغيان والعسف.

(٢) في الأصل: وردت «متلحف» ولعلّه خطأ في التصحيف، والأصح: متلحف، وما يؤيد هذا التخريج، كلمة «ارتدى» في صدر البيت.

(٣) العليج: الرجل الغليظ الشديد. وقيل: هو الكافر من العجم.

(٤) الشعب: من الأضداد وتعني التقسيم والجمع، وهي هنا بالمعنى الثاني: الجمع.

إِذَا نَزَلَا فِي قَرْيَةٍ غَابَ سَفَدُهَا
 وَيَوْمُهُمَا بِأَيْدِي الْكَوَكِبِ أَكْسَفُ
 وَدَبَابَةٍ لَا أَحْسَنَ اللَّهُ حِفْظَهَا
 تَظَلُّ عَلَى غَلَاتِنَا تَتَطَوَّفُ
 إِذَا مَا اسْتَنَارَتْ دِرْهَمًا مِنْ مَكَانِهِ
 تَضْمَنَهُ سَيْرٌ عَلَى الْعَصْدِ أَجَوَفُ^(١)
 وَمُسْتَخْلِفٍ قَدْ عَاشَ مِنْ قَبْلِ حَقِّهِ
 يُدَانُ عَلَى أَمْوَالِنَا وَيُسَلَفُ
 إِذَا حَاوَلَ الْأَرْزَاقَ مِنْهَا رَأَيْتُهُ
 يُضْرَبُ أَبْشَارَ الْعُلُوجِ وَيَكْشِفُ^(٢)
 وَيُغْضِبُ عَمْدًا نَفْسَهُ كَيْ نَخَافَهُ
 فَتَحْنُ حَوَالِيَهُ نُفْدِي وَنُلْطِفُ
 وَلَنْ يَنْفَعَ الْإِلْطَافُ إِلَّا بِصُرَّةٍ
 تُدَافِعُ عَنَّا بَغْضَ مَا نَتَخَلَّفُ
 فَأَرْزَاقُ عَمَّالِ الرِّسَاتِيْقِ سُئِنُ
 عَلَيْنَا شُهُورَ الْحَوْلِ مَا نَتَخَوَّفُ^(٣)
 فَإِنْ نَزَلُوا يَوْمًا بِنَا فَجِدَاؤُنَا
 تُعَاجِلُ ذُبْحًا وَالدَّجَاجُ الْمُعْلَفُ

(١) السَّيْرُ: قطعةٌ من الجِلْدِ تستعملُ قِيدًا وَوِثَاقًا.

(٢) أَبْشَارٌ: جَمْعُ بَشْرَةٍ، بِمَعْنَى: يَضْرَبُ وَجُوهَهُمْ.

(٣) الرِّسَاتِيْقُ: النَّوَاحِي وَالْأَرْيَافُ عِنْدَ أَطْرَافِ الْمَدَنِ.

وَيَخْرُجُ مِنَّا «الْأَشْتِيَامُونَ» سُخْرَةً
وَيَعْرِفُ ظُلْمًا دِرْهَمِيهِ الْمُحَلْفُ^(١)
وَلِلْحَازِرِ الْخِرَاصِ فِي الْحَزْرِ عِفَّةٌ
فَلَا تَهْنُ لِلْحَزَارِ مَا يَتَعَفَّفُ^(٢)
وَفِي فَتْحِ أَبْوَابِ الْبَيَادِرِ مُثَلَّةٌ
يُكَلِّفُهَا وَالظُّلْمُ مِمَّا يُكَلِّفُ^(٣)
وَمَا فَارَقْتَنَا فِي الدِّيَاسِ عِصَابَةٌ
تَلُجُ عَلَيْنَا بِالْعَذَابِ وَتَغْنُفُ^(٤)

(١) الاشتيامون: الملاحون، وهي مفرد «اشتيام» وهو رئيس الركاب على السفينة كما جاء في لسان العرب، ويبدو أن اللفظة أعجمية مولدة وقد وردت في شعر البحري على هذا النحو:

إِذَا زَجَرَ السُّوَيْيَ نَوَقَ عِلَاجِهِ رَأَيْتُ خَطِيْبًا فِي ذَوَابَةِ مَنَبَرٍ
يَغْضُوسُ ذُوْنَ الْإِشْتِيَامِ حَبِوْنَهُمْ وَنَوَقَ السُّمَاطِ لِلْعَظِيمِ الْمُؤْمِرِ
إِذَا عَصَفَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ إِعْتَلَى لَهَا جَنَاحَا عُقَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهْجِرِ

(٢) الحازر الخراص: الذي يخمن ما على النخل من رطب وتمر، والخراص أيضاً: الكذاب.

(٣) المثلة: العقوبة والتكيل، ومثلت به أمثل، ومنه قوله تعالى في سورة الرعد آية ٦: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِلَاحِظٍ قَاتِلٍ﴾ وَالْحَسَنَةُ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْكَلْبَةُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ لِّنَّاسٍ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وقرأ: «المثلاث» بضم الميم و«المثلاث» بتسكين القاء.

(٤) الدياس: فرز حبوب القمح والشعير عن السنابل المتكسرة من الدياس «الدؤس» بالقدمين أو بواسطة الثيران، لبيعها في السوق أو للاذخار في موسم حصاد الحبوب بأنواعها، ويسبق الدياس، الصرام: وهو قطع سنابل القمح وجمعها، وبعد ذلك يبدأ «الدياس».

وَلَمَّا أَنَّى الْغُلَاتِ قَالَتْ قُلُوبُنَا
كُلُّوْمْ مِنَ الْغُلَاتِ مَا تَتَهَرَّفُ^(١)
وَقَدْ قَسَمُوا بِالثَّرَهَاتِ طَعَامَنَا
وَكَيْلُهُمْ فِي الْقَلْبِ سَرْدٌ مُطْفَفُ^(٢)
وَعَادُوا عَلَيْنَا آخِذِينَ نَقَائِصًا
فَيَا مَنْ رَأَى كَرَمَاتِنَا كَيْفَ تُنْسَفُ
وَقَدْ أَخَذَ الْكَيْالَ أَضْعَافَ أَجْرِهِ
سِوَى بَهْمَةٍ كَانَتْ عَلَى الْأَرْضِ تَضَعُفُ^(٣)
فَلَمْ يَبْقَ لِلْحَرَاثِ إِلَّا خُثَالَةٌ
يَظُلُّ لَدَيْهَا قَائِمًا يَنْتَلِهَفُ
وَمُسْتَخْرَجٍ يُغْطَى مِنَ الْكَيْلِ شَرْطُهُ
وَلَا فَإِنَّ الصُّكَّ فِي الْوَجْهِ يُقْذَفُ
وَلِلْجَهْبَذِ الصَّرَافِ لِأَلْفِ خَمْسَةٍ
وَسَبْعُونَ مِئًا وَافِيَاتٌ وَنَيْفُ^(٤)
وَكُتَابٍ سُوءٍ إِنْ سَأَلْتَ حِسَابَهُمْ
وَلَمْ تُرِهِمْ أَوْسَاحَ نَفْدِكَ سَوُّوْا

(١) الغلات: جمع غلة، وهو الدُّخْل من كِراءِ دارٍ وأجرِ غلامٍ وفائدة أرض، وما تتهرف: لا تذهب بسرعة.

(٢) تُطْفِفُ: نَقُصُ يَخُونُ به صاحبه في كَيْلٍ أو وَزْنٍ، ومنه قوله تعالى في سورة المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿١﴾.

(٣) البهمة: أولاد الغنم، يستوي فيها المذكر والمؤنث.

(٤) الْجَهْبَذُ: بكسر الجيم، مُعْرَبٌ، هو متقدُّ الدِّراهم العارف بها.

وَوَالِي فُتُوحٍ يَجْتَنِبُنَا ضَرَائِبًا
يُؤْتِبُ فِي إِطَائِهَا وَيُعْنِفُ^(١)
إِذَا نَحْنُ أَذِينَا إِلَيْهِ ضَرِيبَةً
يَعُودُ لِأُخْرَى يَفْتَضِيهَا فَيُلْجِفُ
فَمَا نَحْنُ لِإِسْرِ الْفَتْحِ إِلَّا حُمُولَةٌ
نَحْمِلُ أَغْيَاءَ الصَّغَارِ وَتَوَكَّفُ^(٢)
وَوَالِي حَوَالِي يَجْتَنِبُنِي صَدَقَاتِنَا
لَدَيْهِ مِنَ النُّكْرَاءِ مَا لَيْسَ يُغْرِفُ
يُصَدِّقُ أَهْلَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ سُنَّةً
يُخَالِفُهُ فِيهَا رَسُولٌ وَمُضَحَفُ
وَيُلْزِمُ مَنْ لَمْ يَكْفُرِ اللَّهَ جَزِيَّةً
وَذَلِكَ ظُلْمٌ ظَاهِرٌ مُتَّكَشِفُ
وَلَا عُذْرَ إِلَّا مِنْ أُمُورٍ مَعُودَةٍ
عَلَى الْخُضْمِ فِي أَحْكَامِهِ يَتَعَجَّرُ
تَرَاهُ عَلَى دُكَّانِهِ مُتَّقَلِّبًا
يُرَاصِدُ مَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ وَيَغْرِفُ
بَطِينٌ إِذَا كَانَ التَّشَاخُنُ بَيْنَنَا
وَفِي سِلْمِنَا طَاوِي الْخَوَاصِرِ أَهْيَفُ

(١) يُعْنَفُ: من التعنيف وهو اللوم والتوبيخ والتفريع.

(٢) الحمولة: التي تطبق حمل الأثقال، وهي هنا تخص الجماعة التي تحمل الديات عن أبنائها، وتوكف: تأثم.

يُصِيبُ وَمَا يُدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى
 كَمَا تَخِيطُ الْعَشَوَاءُ وَاللَّيْلُ مُسْدِفٌ^(١)
 إِذَا نَشَرَ الْأَغْلَامَ وَارْتَجَّ ظِلُّهُ
 وَظَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ الْعَرِيضَةُ تَرْجُفُ
 فَقَدْ شَقِيَتْ رُكْبَانُ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
 وَصَبَّ عَلَيْهِنَ الْجُرَافُ الْمُجَرَّفُ^(٢)
 فَمَا سَلَّمَ اللَّهُ أَمْرَهُ أَنْزَلُوا بِهِ
 وَلَا حَسْبُهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا ثُمَّ يَغْلِفُوا
 وَلَكِنْ لَهُمْ فِي عَرَصَةِ الدَّارِ جَوْلَةٌ
 يُثْقَلُ مِنْهَا خُرْجُهُ الْمُتَخَفُّفُ^(٣)
 وَلَمْ يَبْقَ فِي الطُّسُوجِ بَعْدَ فَرَاغِهِ
 مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا يَابِسٌ مُتَكَفِّفٌ^(٤)
 يُنَادِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِسْتِعَاثَةً
 مِنَ الظُّلَمِ وَالْعُدْوَانِ وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ
 فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ نَأَى
 فَبِالْقُرْبِ مِمَّا مَنْ يَحُوطُ وَيَكْنُفُ

(١) مُسْدِفٌ: مظلم.

(٢) الجُرَافُ المجرف: السَّيلُ الجارف، بما يجرفه من الأرض من طين وحجارة وسواهما.

(٣) عَرَصَةُ الدَّارِ: باحتها.

(٤) الطُّسُوجُ: معربة وهي الناحية الواقعة على تخوم المدينة وجمعها: طساسيج.

خَلِيفَتُهُ «إِسْحَاقُ» نَفْسِي فِدَاؤُهُ
هُوَ الْمُشْتَكَى مِنْ بَعْدُ وَالْمُتَنَصِّفُ
تَذَارُكَ هَذَاكَ اللَّهُ مِنْأَبَقِيَّةُ
تَكَادُ مِنَ الضَّرَاءِ وَالْجَهْدِ تُثَلَّفُ
وَلَا تُفْلِتُنْ عُمَالَنَا مِنْ عُقُوبَةِ
وَإِغْرَامِهِمْ مَا أَغْرَمُوا وَتَصَرَّفُوا
فَقَدْ حَكَمَ الرَّحْمَنُ فِي نُظْرَائِهِمْ
وَبَيَّنَّهُ آيِ الْكِتَابِ الْمُصَرَّفُ
بِأَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُضْلَبُوا أَوْ يُقَطَّعُوا
خِلَافًا وَيُنْفَوْا فِي الْبِلَادِ لِيَعْرِفُوا
وَذَلِكَ خِزْيٍ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا
عَذَابٌ عَظِيمٌ دَائِمٌ لَا يُخَفَّفُ

شاعر مجهول

يَتِيْمَةُ التَّوْحِيْدِي

هَذِهِ قَصِيْدَةٌ يَبْدُو أَنَّهَا تَعُوْدُ لِأَحَدِ ظُرَفَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَاسِيِّ، لَمْ يَزَوْهَا أَحَدٌ
مَا عَدَا أَبَا حَيَّانَ التَّوْحِيْدِي، فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ «الْبَصَائِرِ وَالذَّخَائِرِ»
فَقَدْ نَقَلَ فِي تَقْدِيْمِهِ لِلْقَصِيْدَةِ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَدَّلِ قَوْلَهُ: «هَذِهِ
الْقَصِيْدَةُ مِمَّا ظَلِمَ صَاحِبُهَا وَأُخْمِلَ ذِكْرُهُ، وَصَيَّرَهَا شَاذَةً لَا يُعْرَفُ قَائِلُهَا،
وَلَوْلَا كَرَاهَتِي ظُلْمَ الْأَدَبِ لَادَّعَيْتُهَا» وَابْنُ الْمُعَدَّلِ هَذَا، شَاعِرٌ بَصْرِيٌّ
وَكَانَ أَحَدَ أَكْثَرِ شُعْرَاءِ التَّهْتِكِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ، وَيَبْدُو أَنَّ مِنْ
أَسْبَابِ إِغْفَالِهَا، إِنَّ الْمُتَعَزِّلَ بِهِ وَاحِدٌ مِنْ «عِلْيَةِ الْقَوْمِ» وَمَا يُلْفِتُ النَّظَرَ،
فِي قَصِيْدَةِ شَاعِرِنَا الْمَجْهُولِ، أَنَّهُ يَقْلُبُ نَمْطِيَّةَ الْأَسْتِهْلَالِ فِي الشُّعْرِ
الْعَرَبِيِّ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، إِذْ يَخْتِمُ قَصِيْدَتَهُ بِبَيْتَيْنِ، أَوَّلُهُمَا مُصَرَّعٌ، يَذْكُرُ
فِيهِمَا الدِّيَارَ، وَيَقِفُ عَلَى الْمَنَازِلِ وَالْأَجَبَّةِ!

وَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ وَالصَّبَا وَطَرًا وَلَا عِبْتُ الْغَزَالَ الْأَكْحَلَا
وَمَجَبَحْتُ فِي فِيهِ الْعُقَارَ وَمَجَّهْ فِي فِي ثُمَّ غَمَزْتُهُ فَتَدَلَّلَا^(١)

(١) مَجَّ: يقصد نقل الشراب من قم لقم، والعقار: الخمر، سميت بذلك لأنها عاقرت =

وَأَتَيْتُ أُخْرَى فَأَتَيْتُنِي مُتَمَایِلًا فَلَمَّسْتُ خَدًّا وَازْتَشَفْتُ مُقْبِلًا
وَأَبَاحَنِي مِنْ رِيْقِهِ بِلِسَانِهِ عَذْبًا يُرَاحَ لَهُ الْفُؤَادُ مُعَسَّلًا
وَلَوَيْتُ مِغْصَمَهُ فَصَدُّ بِوَجْهِهِ خَجَلًا وَمَالَ وَسَاءَ بِي أَنْ يَخْجَلَا
كَمْطُوقَيْنِ تَدَانِيَا فَتَقَابِلَا حَتَّى إِذَا خَافَا الْأَنِيسَ تَزَيَّلَا^(١)
فَعَقَفْتُ عَنْهُ وَقَدْ قَدَرْتُ وَلَمْ أَزَلْ آتِي الْأَعْفَ مِنَ الْأُمُورِ الْأَجْمَلَا
وَلَقَدْ أَرْوَحُ إِلَى السُّدَامَى لَاحِقًا لِلْأَرْضِ هُدَابِ الْإِزَارِ مُمَرَّجَلَا^(٢)
وَلَقَدْ أَنَاذَرْتُهَا عَلَى عِلَاقِهَا مُتَرَاحِيًا سَبَطَ الْبَنَانِ مُرْقَلَا^(٣)
مُسْتَهْلِكًا لِلْمَالِ فِي لَذَاتِهِ يَمْضِي لِلذَّاتِ وَيَغْصِي الْعَدَلَا
وَإِذَا لَحَاهُ الْعَادِلُونَ وَأَكْثَرُوا وَلَّى وَقَالَ رُؤُوسُكُمْ وَالْجَنْدَلَا^(٤)
عَاطِيئُهُ مِمَّا تَعْتَقُ بِابِلْ صَهْبَاءَ أَرْخَتْ عَظْمَهُ وَالْمَفْصَلَا
جَزِيَالَةً تَحْدِي الْلِسَانَ كَأَنَّمَا ذَرَّتْ مَرَارَتُهَا عَلَيْهَا الْفُلْفَلَا^(٥)
طَبِخَتْ بِنَارِ الشُّغْرِ بَيْنَ وَمَسْهَا بَرْدُ الشَّمَالِ فَبَاخَ مِنْهَا مَا عَلَا^(٦)
وَمَضَتْ لَهَا حُجُجٌ فَمَدَّتْ دُونَهَا سِثْرًا بَنَتْهُ الْعَنْكَبُوتُ مُهْلَهَلَا
حَتَّى إِذَا فُضَّتْ تَضَوُّعُ رِيْحِهَا وَكَأَنَّ تَفَاحًا بِهَا وَسَفَرَجَلَا
وَكَأَنَّ نَكْهَتَهَا إِذَا هِيَ صُفِّقَتْ مِنْكَ يَخَالِطُ عَنَبَرًا وَقُرْنُفَلَا^(٧)

= الْعَقْلُ، أَوْ عَاقَرَتِ الدَّنُّ، أَيْ لَازَمَتْهُ.

(١) تَزَايَلَا: تَفَرَّقَا.

(٢) الْهَدَابُ: الْمَسْتَرَسِلُ مِنَ الثِّيَابِ، وَالْمَرَجَلُ، ثَوْبٌ مُطَوَّرٌ.

(٣) فَلَانُ سَبَطَ الْبَنَانِ: كَرِيْمُ الْيَدِ جَوَادٌ، وَالْمُرْقَلُ: الطَّوِيلُ.

(٤) الْجَنْدَلُ: الصَّخْرَةُ.

(٥) الْجَزِيَالَةُ: الْخَمْرَةُ الصَّرْفُ، وَتَحْدِي تَلْسَعُ.

(٦) الشَّعْرِيَانِ: كَوَكْبَانِ كَانَ الْعَرَبُ يَعْدَانِ ظَهْرَهُمَا بَدَايَةَ لِلانْقِلَابِ الصَّيْفِيِّ.

(٧) صَفِّقَتْ: سَكَبَتْ مِنَ الدَّنِّ إِلَى الْكَاسِ.

طَابَتْ وَأَذَمَّتْهَا فَأَرَحْتُ طَرْفَهُ فَيُخَالُ أَحْوَلَ وَهُوَ لَيْسَ بِأَحْوَلَ
وَأَقُولُ: هَا خُذْهَا إِلَيْكَ وَعَاطِنِي فَيَقُولُ: هَاتِ وَكَأَنَّ قَبْلُ يَقُولُ: لَا
مَا زِلْتُ أَعْدِلُ بِالرُّجَاجَةِ مَبْلَهُ حَتَّى تَقُومَ مَبْلَهُ فَتَعْدِلَا
وَإِذَا الرُّجَاجَةُ عَقَدَتْ مِنْ صَغْبِهِ نَاولَتْهُ أُخْرَى بِهَا فَتَحَلَّلَا
دَاوَيْتُهُ مِنْهَا بِهَا فَشَفَيْتُهُ وَشَحَذْتُ مِنْهُ بِالْأَخِيرِ الْأَوَّلَا
وَجَرَتْ مَجَارِيهَا الشُّمُولُ فَسَهَلْتُ مِنْ طَبْعِهِ مَا خِفْتُ أَنْ لَا يَسْهَلَا
فَكَأَنَّهُ وَالتَّاجُ نَوْقُ جَبِينِهِ قَمَرُ تَرَاءَتِهِ الْعُيُونُ مُكَلَّلَا
وَلَقَدْ شَرِبْتُ بِكَأْسِهَا وَبِطَاسِهَا وَعَدَلْتُ بِالْقَافُوزَتَيْنِ الْقُنُقُلَا^(١)
وَشَفَيْتُ مِنْهَا وَاشْتَفَيْتُ وَلَمْ أَدْغِ فِي لَذَّةٍ لِي بَعْدَهَا مُتَعَلَّلَا
يَا صَاحِبِي قِفَا نُحْيِي الْمَنْزِلَا وَتَلَبُّثَا لِي سَاعَةً لَا تَعْجَلَا
إِنِّي تُذَكِّرُنِي الْمَنَازِلَ أَهْلَهَا فَيَشُوقُنِي إِلَّا أَعُوجَ فَأَسْأَلَا

(١) القافوزتان: مثني القافوزة: وهي الطاسة التي تشرب بها الخمرة، فارسية معربة،
والقنقل: دُنُّ الخمر الكبير، وفي المعاجم: هو مكيال ضخمة أكبر من الصاع، يسع
أكثر من ثلاثين مثلاً «حوالي الثلاثين كيلو غراماً»

مَاني المَوْسوس

يَتِيمَةٌ مَجْنُونِ الدَّيْرِ

شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَ«المَوْسوس» لَقَبٌ حَمَلَهُ أَكْثَرُ مِنْ شَاعِرٍ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَلْطِ وَالْوَسَوسِ الَّتِي تَغْتَرِي الشَّخْصَ. يَقُولُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي طَبَقَاتِهِ عَنِ الْمَوْسوسِينَ: «هَكَذَا هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ خُولِطُوا بَعْدَ قَوْلِهِمُ الشُّعْرَ، يَوْجَدُ فِي كَلَامِهِمْ تَفَاوُتٌ كَثِيرٌ شَدِيدٌ، فَإِذَا جَاءُوا إِلَى الشُّعْرِ مَرُّوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَرَسَمِهِمِ الْمَغْهُودِ قَبْلَ أَنْ يُوسُوسُوا»

وَعَنْ شَاعِرٍ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، يَنْقُلُ عَنْ أَبِي شَجَرَةَ قَوْلَهُ: «كَانَ مَاني الْمَجْنُونُ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ»

قَدِمَ مَاني إِلَى بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ، وَاسْتَقَرَّ فِيهَا حَتَّى وَفَاتِهِ، لَمْ يَكُتُبْ مِنَ الشُّعْرِ إِلَّا الْغَزَلَ، أَغْلَبَهُ نَتْفٌ وَمَقْطُوعَاتٌ لَا تَصِلُ إِلَى تَحْوِمِ الْقَصِيدَةِ.

وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي اشْتَهَرَتْ عِنْدَ الْقُرُونِ، بَقِيَتْ أَجْزَاءٌ مِنْهَا ضَائِعَةً وَمُوزَعَةً فِي مُتُونِ الْمَصَادِرِ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي يَتِمُّ فِيهَا تَحْقِيقُهَا مِنْ تِلْكَ الْمَصَادِرِ وَنَشْرُهَا بِهَذَا الْحَجْمِ، فَقَدْ وَرَدَتْ فِي دِيْوَانِهِ

الَّذِي حَقَّقَهُ عَادِلُ الْعَامِلِ (وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ - دِمَشْقُ ١٩٨٨) بِسِتَّةِ آيَاتٍ فَقَطَ .
كَمَا لَمْ يُورِدْ إِبْرَاهِيمُ النَّجَّارُ فِي كِتَابِهِ «شُعَرَاءُ عَبَّاسِيُونَ مَنْسِيُونَ» آيَةَ آيَاتٍ
مِنْهَا فِي بَحْثِهِ عَنْ شِعْرِ «مَانِي» لَكِنَّهُ نَسَبَ بَعْضًا مِنْ آيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ،
فِي قِسْمٍ تَالٍ ، إِلَى مَجْهُولٍ ..

صَاحَ الْغُرَابُ بِوَشِكِ الْبَيْنِ فَارْتَحَلُوا
وَقَرَّبُوا الْعَيْسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمَلُوا
وَعَادَرُوا الْقَلْبَ مَا تَهْدَأُ لَوَاعِجُهُ
كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَمِلٌ
وَفِي الْجَوَانِحِ نَارُ الْحُبِّ تَقْدِفُهَا
أَيْدِي النَّوَى بِرِنَادِ الشُّوقِ إِذْ رَحَلُوا
لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْسَهُمْ
وَرَحَّلُوهَا وَسَارَتْ بِالدُّجَى الْإِبِلُ
وَقَلَّبَتْ مِنْ خِلَالِ السَّجَفِ نَاطِرَهَا^(١)
تَرْتُو إِلَيَّ وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِنْهُمْ مِلٌ
وَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عَفْدَهَا عَنْهُمْ
نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يَا جَمَلُ^(٢)

(١) السَّجَفُ : السَّتْرُ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى هَوْدَجِ النِّسَاءِ فِي الظَّنِّ .

(٢) عَنَمٌ : الْعَنَمُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لَا بَيْنَ مَنْظُورٍ : شَجَرٌ لَيِّنُ الْأَغْصَانِ لَطِيفُهَا يُشَبَّهُ بِهِ الْبَنَانُ
كَأَنَّهُ بَنَانُ الْعَدَارَى ، وَاحِدَتُهَا عَنَمَةٌ ، وَهُوَ مِمَّا يُسْتَاكُ بِهِ ، وَقِيلَ : هُوَ ضَرْبٌ مِنَ
الشَّجَرِ لَهُ نَوْرٌ أَحْمَرُ تَشَبَّهُ بِهِ الْأَصَابِعُ الْمَخْضُوبَةُ .

وَيَلِي مَنِ الْبَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِي وَبِهِمْ
يَا نَارِحَ الدَّارِ حَلَّ الْبَيْنِ وَأَزْتَحَلُّوا
يَا حَادِي الْعَيْسِ عَرُجْ كَيْ أَوْدَعَهُمْ
يَا حَادِي الْعَيْسِ فِي تَرْحَالِكَ الْأَجَلُ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ
يَا لَيْتَ شِعْرِي لَطُولِ الْبُعْدِ مَا فَعَلُّوا؟

* * *

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ رَحَلُوا
وَرَاهِبُ الدَّيْرِ بِالتَّاقُوسِ مُشْتَغِلُ
شَبَكْتُ عَشْرِي عَلَى رَأْسِي وَقُلْتُ لَهُ:
يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ هَلْ مَرَّتْ بِكَ الْإِبِلُ؟
فَحَنُّ لِي وَبَكِّي، وَرَقُّ لِي وَرَثِي
وَقَالَ لِي: يَا فَتَى ضَاقَتْ بِكَ الْحِيلُ
إِنَّ الْخِيَامَ النِّجَى قَدْ جِثَّتْ تَطْلِبُهُمْ
بِالْأَمْسِ كَانُوا هُنَا وَالْآنَ قَدْ رَحَلُوا
سَفِيًّا وَرَغِيًّا وَإِيمَانًا وَمَغْفِرَةً
لِلْبَاكِيَاتِ عَلَيْنَا حِينَ نَزَجَلُ
يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا تَبْكِي عَلَى أَحَدٍ
أَنْحَنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا أَمْ الْإِبِلُ؟

خالد بن صفوان القنّاص

قصيدة العَرُوس

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الَّتِي لَا يُعْرَفُ لِصَاحِبِهَا سِوَاهَا، حَقَّقَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ
الْمِمْنِيُّ الرَّاجِزُوتِيُّ فِي كِتَابِهِ «الطَّرَائِفُ الْأَدَبِيَّةُ - طَبْعَةُ لَجْنَةِ التَّأْلِيفِ
وَالْتَرْجَمَةِ وَالنَّشْرِ - الْقَاهِرَةُ ١٩٣٧» وَشَاعِرُهَا كَمَا يَقُولُ عَنْهُ (نَكْرَةً) لَمْ
يَتَوَصَّلْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِرُغْمِ أَنَّهُ يُرَجَّحُ كَوْنُهُ مِنْ عَوَامِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ
الْأَوَّلِ، لَكِنَّ قَصِيدَتَهُ اشْتَهَرَتْ بَيْنَ الْعَرَبِ بِاسْمِ «الْعَرُوسِ» وَأُورِدَ ابْنُ
الْمُعْتَزِّ فِي طَبَقَاتِهِ مَقَاطِعَ مِنْهَا بِوَضْفِهَا «سَائِرَةً بَيْنَ النَّاسِ» وَنَقَلَ عَنْ
مِرْدَاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَوْلَهُ: أَنَّ مَنْ رَوَاهَا ثُمَّ لَمْ يَقُلِ الشُّعْرُ فَلَا تَرْجُ خَيْرَهُ.
وَأَضَافَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: وَأَنَا أَقُولُ أَيْضًا: إِنَّ مَنْ رَوَى هَذِهِ ثُمَّ لَمْ يَقُلِ الشُّعْرُ
فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ.

عُوجًا عَلَى طَلَلٍ بِالْقُفْصِ خُلَانِي أَقْوَى فَقُطَّائِهِ أَرَأَلَ هَيْقَانَ^(١)
كَالدِّبْلِيَّاتِ أَوْ إِجْلٍ قَرَاهِبَةٍ مِنْ بَيْنِ أَخْمَرَ يَزْعَاهَا وَثِيرَانِ^(٢)

(١) الْقُفْصُ: موضع، والآرال: ابن النعمان والهيقان: النعمان.

(٢) الدبلييات: بقر الوحش، والإجل: القطيع، والقراهبة: جَمْعُ قَرَهَب، وهو الثور=

وَعَبِثَتْ آيَةُ رِيحِ شَامِيَةٍ وَوَبِلَ مُثْعَنَجِرٍ بِالسَّيْلِ مِرْنَانٍ^(١)
أَجَشُّ مُغْلَنْطِقٍ مُغْدُودِقٍ غَدِقٍ مُهْرُورِقٍ وَدِقٍ مُسْحَنْفَرٍ دَانٍ^(٢)
أَضْحَى خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهُ شَحَطُوا نَوَاهِمُ حَيْثُ أُمُوا أَرْضَ نَجْرَانٍ
أَرْضًا نَاتٍ وَنَائِيٍّ لِلْحَيِّ قَاطِنُهَا إِذْ حَلَّ أَرْضًا بِهَا أَبْنَاءُ دُبْيَانٍ
بَا صَاحِبِيَّيِ الْمَأْسَاةِ وَقَفَا فِي دَارِ أُخْتِ بَنِي ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانٍ
وَمَا وَقُوفُ إِمْرِي هَاجَتْ صَبَابَتُهُ سَفَعُ الْمَلَاظِمِ مِنْ تَلْوِيحِ نِيرَانٍ^(٣)
وَمُفْرَدٌ تَرَكْتُ أَيْدِي الْإِمَاءِ بِهِ غَدَائِرَ الشُّغْرِ شُغْنًا غَيْرَ إِذْهَانٍ^(٤)
عَلَيْهِ مِثْلُ وَشَاحِ الْخُودِ قَدْ نَحَلَا مِنْ طُولِ عَهْدِهِمْ بِالْحَيِّ رِبْقَانٍ^(٥)
فَالدَّارُ مُوحِشَةٌ مَا إِنْ بَعَرَصَتْهَا إِلَّا النَّعَامُ وَإِلَّا بُفَعُ غِرْبَانٍ
يَخْجُلُنَ فِي عَطَنِ قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ قَبْلَ الْحُلُولِ بِهِ لِلْعَيْنِ مَلَانٍ^(٦)
كَأَنَّمَا هِيَ رَأْيِي الْعَيْنِ عَنْ قُذْفِ أَصَاغِرٍ مِنْ بَنِي نُوبٍ وَحُبْشَانٍ
دَارَ لِبْجَارِيَةِ حَوْرَاءَ لَاهِيَةِ كَالشَّمْسِ ضَاحِيَةٍ فِي حُسْنِ جِنَانٍ^(٧)

= الْمُسْنُ الضَّخْمُ.

(١) المثنعجر: شديد الهطول، والمرنان: صوت الرعد والسحاب.

(٢) مغلنطق ومغلندق ومغدودق: الممتلئ، والكثير، والمختنق بالماء، وهو يريد به وصف السحاب، والزجل: صوت المطر، والمهرورق: المصبوب، والودق: المطر القريب من الأرض، والمسحنفر: الشديد.

(٣) سفع: سود، والملاطم: الخدود.

(٤) المفرد: الودد، حيث ظل وحيداً تعلّق عليه الأوشحة والأرسان والقلائد.

(٥) الربقان: القلائد، يقول أن الودد قد هزل مما عليه من الأرسان والقلائد.

(٦) العطن: المكان الذي تنوخ فيه الإبل للسقي ليلاً أما المكان الآخر، فيسمى المراح والمأوى.

(٧) ضاحية: كاشفة، والجنان: جمع جن.

بِالْوَصْلِ رَاضِيَةً عَهْدِي مُوَاتِنَةً
 هَزْكَوْلَةً بَهْرٍ تَخْتَالُ فِي طُرَرٍ
 عَلَتْ مَالِيَهَا مِنْهَا عَوَالِيهَا
 كَخَلَاءٍ فِي دَعَجٍ عَيْنَاءٍ فِي بَرْجٍ
 شَنْبَاءٍ فِي بَهَجٍ لَمِيَاءٍ فِي فَلَجٍ
 عَيْنِدَاءٍ فِي رَيْلٍ لَفَاءٍ فِي رَتَلٍ
 لَعَسَاءٍ فِي خَصَرٍ قَنَوَاءٍ فِي صَغَرٍ
 جَيْنِدَاءٍ فِي حَوَرٍ وَسَنَى عَلَى خَفَرٍ
 فِي جَيْنِدَاهَا سُمَطٌ مِنْ تَخْتِهَا قُمَطٌ
 غِلْمَانُهَا سُخْطٌ كَأَنَّهُمْ شُرْطٌ
 عُلِقَتْهَا حَجَجَا مُزَوَّرَةٌ غَنْجَا
 تُلْهِي مُسَامِرَهَا تُذَكِّي مَجَامِرَهَا
 تَكْسُو مَجَاسِدَهَا مِنْهَا قَلَائِدَهَا
 عَنِّي مُحَامِيَةً تَجْفُو وَتَنْسَانِي
 تَشْفِيكَ مِنْ أَشْرٍ غَرَاءٍ مِفْتَانٍ^(١)
 تَأْوِي عَلَالِيهَا فِي سَثْرِ أَكْنَانٍ^(٢)
 تَجْلَاءُ فِي رَجَجٍ تَسْلُو وَتَقْلَانِي^(٣)
 خَدَلَاءُ فِي بَلَجٍ أَذْنُو وَتَنْتَانِي^(٤)
 هَيْفَاءُ فِي ثِقَلٍ فِي النَّوْمِ تَغْشَانِي
 كَالرُّنَمِ فِي بَقَرٍ مِنْ وَخْشٍ عَذْنَانٍ^(٥)
 شَمَاءُ فِي بَهْرٍ مِنْ خَيْرِ نِسْوَانٍ
 مِنْ فَوْقِهَا قُرْطُ أَغْلَاءٍ شِنْفَانٍ
 أَتَجَالُهُمْ لَقُطٌ مِنْ نَسْلِ شَيْطَانٍ
 بِالْهَجْرِ فَهِيَ شَجَا لِي بَيْنَ أَقْرَانِي
 تَغْدُو عَدَائِرَهَا بِالْمِسْكِ وَالْبَانِ
 تُغْبِي عَتَائِدَهَا مَغْشُوقٌ أَذْهَانٍ^(٦)

(١) امرأة هزكولة: عظيمة الوركين كبيرة العجز، والبهر: المضببة، والطرر: حاشية الثوب والأشر: تحدّد ورقة في أطراف الأستان.

(٢) المالكي: ثياب النوم. والعلالي: غرف النوم، والأكنان: الحُجُبُ والأستار.

(٣) الدعج: شدة سواد المقلة، والبرج: شدة بياض العين، والزجاج: الحواجب الدقيقة المنحوتة.

(٤) الشنباء: جميلة الأسنان: والبهج: الحسن والبهاء، واللمى: سواد يميل إلى الحمرة في لون الشفاه، والفلاج: مفرق بين الأسنان، والخدلاء: طويلة الساقين والساعدين.

(٥) لعساء: سمرة الشفة، وقنواء: جلدة في قصبة الأنف.

(٦) المجاسد: الثياب المصبوغة بالزعفران، والعتائد: جُمُعُ عتيده وهي آنية العطر.

صَفَرُ نَرَابِئِهَا رُجُ حَوَاجِبُهَا سُودُ ذَوَائِبِهَا كَالْحَالِكِ الْقَانِي
بَيْضُ مَحَاجِرِهَا قَعْمُ نَوَاسِرِهَا يَشْفَى مَبَاشِرُهَا مِنْهَا بِعَضِيَّانٍ^(١)
زَهْرَاءُ خَرَصِبَةٍ رُودٍ مُبْطِنَةٍ لِلْعَيْنِ مُعْجِبَةٌ تَنْفِي لِأَخْرَازِنِي^(٢)
خُودٍ مُهْدَبَةٍ فِي الْخِذْرِ، مُخْصِبَةٍ عَنِّي مُحْجِبَةٍ عَمْدًا لِخِذْلَانِ
رَاحَتٍ مُبْتَلَةٍ عَيْطَاءُ عَيْطَلَةٍ كَالرَّيْمِ هَيْكَلَةٍ فِي زَهْرِ كَثَّانٍ^(٣)
لِلرُّودِ مَازِجَةٌ لِلْخِذْرِ وَالْجَةِ لَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ تَهْفُو بِبُهْتَانِ
وَفَتْبَةٍ نُجْبٍ مِنْ مَعْشَرِ غُلْبٍ فِي مُنْتَهَى نَسَبٍ تَنْمِي لَغَسَّانِ
أَكَابِرِ رُجَحٍ أَخَابِرِ سُمُحٍ أَكَارِمِ نُجَحٍ مِنْ نَسْلِ قَخْطَانِ
رَاحُوا عَلَى عَجَلٍ فِي مَوَكِبٍ حَفِلٍ فِي غَيْرِ مَا عِلَلٍ فِي خَيْرِ إِيَّانِ
فِي مَهْمِهِ قَصَدُوا حَتَّى إِذَا وَرَدُوا وَالنَّاسُ قَدْ هَجَدُوا وَاللَّيْلُ لَوْنَانِ^(٤)
فَمَرَّاهُ يَفْقُ فِي لَوْنِهِ بَلَقُ قَدْ حَفَّهَ عَسَقُ فِي غَيْرِ تَبْيَانِ^(٥)
أَضْحُوا وَقَدْ قَطَعُوا بِنْدًا لَهَا لَمَعُ فِيهَا الطَّلَا رُتَعُ أَطْلَاءِ ظِلْمَانِ^(٦)
خَلُّوا بِلَدِي طَرَبٍ يَسْمُو إِلَيَّ حَسَبٍ فِي بَادِيهِ أَشِبُ أَخْتِ لِإِخْوَانِ
فِي قَصْرِهَا غُرْفٌ مِنْ تَحْتِهَا سُقْفٌ مِنْ فَوْقِهَا شُرْفٌ زِينَتْ بِإِيْوَانِ
قَدْ حَفَّهَ كُتُبٌ مِنْ حَوْلِهِ قُضُبٌ مَكْنُونَةٌ شَطْبٌ حَفَّتْ بِبُسْتَانِ^(٧)

(١) النعم: الممتلئ لحماً، والنواشر: الكتفان.

(٢) الخرصة: الناعمة، والرود: الشابة.

(٣) العيطاء: الطويلة العنق، والهيكل: الضخمة.

(٤) المهمة: الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.

(٥) اليفق: شدة البياض، والبلق: اختلاط البياض بالسواد.

(٦) اللمع: الشراب، والطلا: صغار الشياه.

(٧) الشطب: سعف النخل.

خِلَالَهُ نَهْرٌ وَبَيْنَهُ شَجَرٌ يَزِينُهُ لَمَرٌ مِنْ زَهْرٍ قِنْوَانٍ^(١)
 أَغْصَانُهَا نُضِرُ أَوْرَاقُهَا خُضِرُ أَنهَارُهَا غُرُرٌ مِنْ ضَرْبِ شَفَانٍ
 زَهْرٌ مَنَابِتُهَا دَامَتْ غَضَارُتُهَا بُحٌ فَوَاحِشُهَا مِنْ طُولِ تَرْزَانٍ
 صَرَّتْ جَنَادِبُهَا عَاشَتْ عَنَاظُهَا تَغْوِي لِعَالِبِهَا مِنْ حَوْلِ عِينِدَانٍ^(٢)
 تَلْهُو بِدُرَاجِهَا عَنْ صَوْتِ صَنَاجِهَا أَوْ طَيْبٍ بَهْرَاجِهَا أَوْ نَوْحِ وَرْشَانٍ
 أَوْ صَوْتِ قَمَرِيَّةٍ تَدْعُو بِصُفْرِيَّةٍ تَبْكِي لِكُدْرِيَّةٍ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ^(٣)
 مَكَاوِهَا غَرِدَ فِي رَوْضَةٍ فَرِدَ مِنْ طَيْبِهَا صَرِدَ حِلَاءُ طَوْقَانٍ^(٤)
 عُصْفُورُهَا طَرَبَ فِي لَوْنِهِ خَطَبَ فِي صَوْتِهِ صَحَبَ يَبْكِي لَصُرْدَانٍ^(٥)
 أَوْ بَاشِقُ كَلْبٍ لِلطَّيْرِ مُنْتَهَبَ قَدْ عَاقَهُ تَعَبٌ مِنْ جَمْعِ غِرْبَانٍ
 تُفَاحُهَا هَدِلَ أَتْرُجُهَا خَضِلَ عُنُقُودُهَا زَجَلُ حُفَّتِ بَرْمَانٍ^(٦)
 بَيْضَاءُ فِي حُمْرَةٍ حَمْرَاءُ فِي صُفْرَةٍ صَفْرَاءُ فِي خُضْرَةٍ مِنْ بَيْنِ أَلْوَانٍ
 جَاءُوا عَلَى مَهَلٍ مِنْ غَيْرِ مَا عِلَلٍ يَمْشُونَ فِي حَلَلٍ مِنْ وَشْيِ صَنْعَانٍ
 شَمٌ مَرَاغِفُهُمْ جُمٌ مَلَاخِفُهُمْ قَامَتْ وَصَائِفُهُمْ أَمْثَالُ غِلْمَانٍ
 دُرْمٌ مَرَاغِفُهَا بَفَعٌ مَنَاطِقُهَا قُرَّ قَرَاطِقُهَا زِينَتْ بَيْتِجَانٍ^(٧)

(١) القنوان: عذوق النخلة.

(٢) العناظُ: الجراد.

(٣) الكدرية: القطة.

(٤) المَكَا: طائرٌ لَهُ صُفِيرٌ يُشَبِّهُ التَّرْنِيمَ، وَالصُّرْدُ: طَائِرٌ يُشَبِّهُ الْهُدْهَدَ.

(٥) الخطبُ: البياض الذي فيه حمرة، والصُّرْدَانُ: جَمْعُ صُرْدٍ وَهُوَ الطَّائِرُ كَمَا تَقَدَّمَ
 شرحه.

(٦) الأترجُ: فاكهة من الحمضيات.

(٧) الدُّرْمُ: المكسوة باللحم، والقراطقُ: الثيابُ أو القمصان.

بَسْمَعَيْنِ فِي لَطْفِ بَزْعَدَنْ مِنْ هُفِّ كَالرَّاحِ فِي صُحْفِ أَشْبَاهِ غِزْلَانِ^(١)
صَهْبَاءَ صَافِيَةٍ صَفْرَاءَ فَاقِعَةٍ لِلْمَرْءِ رَافِعَةٍ مِنْ عَضْرِ دِهْقَانِ
تُشْفِي بِشَرَبَتِهَا مِنْ طِيبِ فَرْحَتِهَا تَحْكِي بِتَكْهَتِهَا تُفَاحَ لُبْنَانِ
وَالْمِسْكَ إِنْ مَرَجَتْ وَالسُّكَّ إِنْ قُتِقَتْ وَالْوَيْلَ إِنْ بُرِلَتْ صِرْفًا لِرَشْقَانِ^(٢)
فِي الدُّنْ قَدْ عَقَّتْ حَوْلَيْنِ فَاْمَتْنَعَتْ تَحْكِي إِذَا صُفِقَتْ إِكْلِيلَ مَرْجَانِ
تَجُولُ فِي طَوْقِهَا كَالدَّرِّ مِنْ قَوْقِهَا تَكْفِيكَ مِنْ ذَوْقِهَا مِنْ غَيْرِ إِذْمَانِ
يَعْمَلْنَ مُعْمَلَةَ زَهْرًا مُقَدَّمَةً صَفْرًا مُقَوِّمَةً مِنْ تَبْرِ عِقْيَانِ^(٣)
كَأَنَّهَا بُقِعَ مِنْ أَطْيَرٍ، وَقُعْ لَاحَتْ لَهَا سَفْعُ أَضْعَتْ بِآذَانِ
فِي رِيَشِهَا طَرَقَ أَلْوَانُهَا زُرْقُ أَذْنَابُهَا بُلُقُ مِنْ طَبْرِ جُلْجَانِ
حُمْرُ قَوَائِمِهَا صَفَرُ خَرَاطِمِهَا بَيَضُ خَلَاقِمِهَا رِنَعَتْ بِنِيرَانِ
أَقَعَتْ عَلَى فَرْقِي فِي صَخْصَحِ أُنُقِ يَنْظُرْنَ فِي حَدَقِي مِنْ خَوْفِ عِقْبَانِ^(٤)
وَعِنْدَهُمْ قَيْنَةٌ فِي شَذْوِهَا عُتَّةٌ لَيْسَتْ بِهَا ضِنَّةٌ مِنْ قَزَعِ حَتَّانِ^(٥)
تَفْجُ رَوَادِفُهَا عَذْبُ مَرَاشِفِهَا دُكُنُ مَطَارِفِهَا مِنْ خَزْنِ نَجْرَانِ^(٦)
يُلْهِنُكَ مَطَرُهَا يُسْلِيكَ مَضْرِبُهَا يُنْسِيكَ مَلْعَبُهَا أَقْوَالَ فِتْيَانِ

(١) الصُحْفُ: الكؤوس.

(٢) السُّكُّ: نوع من أنواع الطيب.

(٣) مُقَدَّمَةٌ: الأباريق حين يوضع على أفواهها الحرير ليصفو ما فيها.

(٤) أَقَعَتْ: جَلَسَتْ عَلَى أَطْرَافِهَا، وَالْفَرْقُ: الخوف، وَالصَّخْصَحُ: المستوي من الأرض، وَالْأُنُقُ: الحسن، يَصِفُ الطَّيْرَ بِأَنَّهُا تَنْظُرُ إِلَى الْعِقْبَانِ فَتَقْعِي وَتَسْتَرُ خَوْفًا مِنْهَا.

(٥) الضُّنَّةُ: البخل، وَالْعُتَّةُ: التَّرْخِيمُ فِي الصَّوْتِ، وَالْحَتَّانُ: العودُ الشَّجَرِي فِي عِزْفِهِ.

(٦) النَجْعُ: الممثلةات.

نَحْكِي بِتَهْجَاسِهَا تَقْطِيعُ أَنْفَاسِهَا بَاتَتْ عَلَى رَأْسِهَا إِخْلِيلُ مُرْجَانٍ
فِي صَوْتِهَا صَلَقَ فِي عَوْدِهَا نَزَقَ أَوْتَارُهَا نُطَقَ تَلْفِظُهُ كَفَانٍ^(١)
حَتَّى إِذَا ثَمِلُوا مِنْ طَوْلِ مَا نَهَلُوا قَالُوا وَمَا عَقَلُوا تِمْنَالٍ وَسَنَانٍ
قَتَلْنِي وَمَا قَتَلُوا جَهْلَنِي وَمَا جَهَلُوا سَكَرَنِي وَمَا انْتَقَلُوا مِنْ حُكْمِ لُقْمَانٍ
مَاتُوا وَمَا قُبِرُوا عَاشُوا وَمَا نُشِرُوا قَامُوا وَمَا حُسِرُوا مِنْ تَحْتِ رِنَحَانٍ
دَارَتْ قَوَاقِرُهُمْ لَأَنْتَ مَغَامِرُهُمْ طَابَتْ غَرَائِرُهُمْ مِنْ خَيْرِ أَخْدَانٍ^(٢)
حَثَّتْ مَزَامِيرُهُمْ طَابَتْ مَسَامِيرُهُمْ عَالَتْ عَنَاصِرُهُمْ مِنْ قَضَرِ غُمْدَانٍ
قَالُوا لَدَنِي طَرَبٌ بِالْقَوْلِ لَا كَذِبٍ الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا كُلُّ أَرْمَانٍ

(١) الصلَقُ: شدة الصوت .

(٢) القَوَاقِرُ: الكؤوس، والمغامز: العيوب، والطبائع الغليظة .

مُذْرِكُ الشُّبَّانِي

الْمُزْدَوِجَةُ فِي الْعِشْقِ الْمِثْلِيِّ

شَاعِرٌ مِنْ أَعْرَابِ بَادِيَةِ الْبُصْرَةِ، دَخَلَ بَغْدَادَ صَغِيرًا وَنَشَأَ فِيهَا، وَكَانَ لَهُ مَجْلِسٌ فِي بَغْدَادَ، يَحْضُرُهُ الْفَتَيَةُ فَقَطْ، فَإِنْ رَأَى مُذْرِكُ شَيْحًا أَوْ رَجُلًا بِلُحْيَةٍ، طَرَدَهُ مِنَ الْمَجْلِسِ بِلَبَاقَةٍ، وَكَانَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ دَيْرٌ مَسِيحِيٌّ، يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ، فَعَشِقَ غُلَامًا اسْمُهُ عَمْرُو بْنُ يُوحَنَّا وَاسْتَدْرَجَهُ لِحُضُورِ مَجْلِسِهِ، وَكَتَبَ لَهُ فِي يَوْمِ رِسَالَةٍ، عَلِمَ بِهَا مَنْ كَانُوا يَحْضُرُونَ الْمَجْلِسَ فَاسْتَحْيَا عَمْرُو وَانْقَطَعَ عَنِ الْحَلَقَةِ وَعَادَ إِلَى الدَّيْرِ، أَمَّا مُذْرِكُ فَكَانَ يَلْزِمُ الدَّيْرَ لِيَحْظَنَ بِرُؤْيَةِ عَمْرُو، وَزَادَ بِهِ الْوَسْوَاسُ حَتَّى اخْتَلَطَ عَقْلُهُ وَلَزِمَ الْفِرَاشَ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ، وَلَمَّا زَارَهُ عَمْرُو بِالْحَاحِ مِنْ أَصْدِقَاءِ مُذْرِكِ، أَمْسَكَ بِيَدِهِ، فَشَهَقَ مُذْرِكُ شَهَقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ مَاتَ، كَمَا جَاءَ فِي «مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ لِیَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ» وَ«تَزِينِ الْأَسْوَاقِ فِي أَخْبَارِ الْعُشَّاقِ لِلْأَنْطَاكِيِّ» وَ«مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ لِلْسَّرَاجِ».

قَصِيدَةُ تُقَدِّمُ لَنَا صُورَةَ مُحِبٍّ لَاهُوتِيٍّ حَيْثُ يَظْهَرُ أَنْهُ تِلْكَ الثَّقَافَةُ فِي قَصِيدَتِهِ الْفَرِيدَةِ الْعَجِيبَةِ هَذِهِ. وَعِشْقِي مِثْلِي يَصِلُ إِلَى حَدِّ التَّصَوُّفِ، وَهُوَ

هَذَا عَلَى غَيْرِ مَا عَهْدْنَاهُ، عَنْ التَّغْزِيلِ بِالْمُذَكَّرِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، مِنْ تَهْتِكِ
مَوْصُوفٍ.

وَقَدْ ظَنَّ الْبَعْضُ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِصَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ الَّذِي خَمَسَهَا فِي
الْقَرْنِ الثَّامِنِ أَيْ بَعْدَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ قُرُونٍ مِنْ كِتَابَتِهَا.

بِزْنَ عَاشِقٍ نَاءٍ هَوَاهُ دَانٍ نَاطِقٍ دَمَعٍ صَامِتِ اللِّسَانِ
مُوثِقِ قَلْبٍ مُطْلَقِ الْجِثْمَانِ مُعَذِّبِ بِالصَّدِّ وَالْهَجْرَانِ
بِزْنَ غَيْرِ ذَنْبٍ كَسَبَتْ يَدَاهُ غَيْرَ هَوَى نَمَتْ بِهِ عَيْنَاهُ
شَوْقاً إِلَى رُؤْيَا مَنْ أَشْقَاهُ كَأَنَّمَا عَافَاهُ مَنْ أَضْنَاهُ
بِأَوْنَحِهِ مِنْ عَاشِقٍ مَا يَلْقَى مِنْ أَدْمَعٍ مُنْهَلَةٍ مَا تَرَقَّى
نَاطِقَةٍ وَمَا أَحَارَتْ نُطْقًا تُخْبِرُ عَنْ حُبِّ لَهْ إِسْتَرْقَا
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ طَرْفٍ يَبْكِي بِأَدْمَعٍ مِثْلِ نِظَامِ السُّلُوكِ
نُطْفِئِهِ نِيرَانُ الْهَوَى وَتَذْكِي كَأَنَّمَا قَطَرَ السَّمَاءُ تَخْكِي
إِلَى غَزَالٍ مِنْ بَنِي النَّصَارَى عِذَاؤُ خَدْيِهِ سَبَى الْعَذَارَى
وَعَادَرَ الْأُسْدَ بِهِ حَيَارَى فِي رِبْقَةِ الْحُبِّ لَهُ أَسَارَى
رَنَمٌ بِدَارِ الرُّومِ رَامَ قَتْلِي بِمُقْلَةٍ كَخَلَاءٍ، لَا عَنْ كُحْلٍ^(١)
وَطَرَّةٌ بِهَا اسْتَطَارَ عَقْلِي وَحُسْنُ وَجْهِهِ وَقَبِيحُ فِعْلِي
رَنَمٌ بِهِ أَيْ هَزَبَرٍ لَمْ يُصَدِّ يَقْتُلُ بِاللَّحْظِ وَلَا يَخْشَى الْقَوْدَ^(٢)

(١) الرَّمَمُ: الظبية البيضاء الصافية البياض.

(٢) الهزير: الأسد، والقود: القصاص.

مَنْ يَقُولُ: هَا قَالَتِ الْأَلْحَاطُ قَدْ... كَأَنَّهُ نَاسُوتُهُ حِينَ اتَّحَدَ
مَا أَبْصَرَ النَّاسُ جَمِيعاً بِذَرَأٍ وَلَا رَأَوْا شَيْئاً وَغَضَباً نَضْراً
أَحْسَنَ مِنْ «عَمْرٍو» قَدِيتُ عَمراً ظَنَنْتُ بِعَيْنَيْهِ سَقَانِي الْخَمراً
هَذَا أَنَا ذَا بِقَدِّهِ مَقْدُودٌ وَالْدَّمْعُ فِي خَدِّي لَهُ أَخْذُودُ
مَا ضَرَّ مَنْ فَقَدِي بِهِ مَوْجُودٌ لَوْلَمْ يُقْبَحْ فِعْلُهُ الصُّدُودُ
إِنْ كَانَ دِينِي عِنْدَهُ الْإِسْلَامُ فَقَدْ سَعَتْ فِي نَقْضِهِ الْأَثَامُ
وَاخْتَلَّتِ الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ وَجَازَ فِي الدِّينِ لَهُ الْحَرَامُ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ صَليباً أَكُونُ مِنْهُ أَبَداً قَرِيباً
أَبْصِرُ حُسْناً وَأَشْمُ طِيباً لَا وَاشِياً أَخْشَى وَلَا رَقِيباً
بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ قُرْبَاناً أَلْتَمُ مِنْهُ الشُّفْرَ وَالْبَنَانَا
أَوْ جَائِلِيقاً كُنْتُ أَوْ مَطْرَاناً كَيْمَا يَرَى الطَّاعَةَ لِي إِيمَاناً^(١)
بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ «لِعَمْرٍو» مُضْخِفاً يَفْرَأُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ آخِرفاً
أَوْ قَلْماً يَكْتُبُ بِي مَا أَلْفَا مِنْ أَدَبٍ مُسْتَحْسَنٍ قَدْ صُنِّفَا
بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ «لِعَمْرٍو» عَوْدَةً أَوْ حُلَّةً يَلْبَسُهَا مَقْدُودَةً^(٢)
أَوْ بُرْكَهَ بِاسْمِهِ مَاخُودَةً أَوْ بَيْعَةً فِي دَارِهِ مَنِبُودَةً
بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ زُنَّاراً يُدِيرُنِي فِي الْخَضِرِ كَيْفَ دَارَا

(١) الجائليق: لفظ يوناني معناه «العمومي» ويقصد به الرئيس الديني الأعلى عند

الكلدان النساطرة في أيام الملوك الساسانيين ويقابله حالياً «البطريارك»

(٢) العودّة: التيممة، ومقلوذة: مُزينة بالريش.

حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ طَوَى النَّهَارَ صِرْتُ لَهُ حَبْنَةً إِذَا رَأَى
 قَدْ، وَالَّذِي يُبْقِيهِ لِي، أَفْنَانِي وَإِنْتَرُ عَقْلِي وَالضُّنَى كَسَانِي
 ظَنِّي عَلَى الْبَعَادِ وَالْتِدَانِي حَلَّ مَحَلِّ الرُّوحِ مِنْ جِثْمَانِي
 وَكَبِدِي مِنْ خَدِّهِ الْمُضْرَجِ وَكَبِدِي مِنْ ثَغْرِهِ الْمُفْلَجِ^(١)
 لَا شَيْءَ مِثْلَ الطَّرَفِ مِنْهُ الْأَذْعَجِ أَذْهَبُ لِلنُّسْكِ وَلِلتَّحْرِجِ^(٢)
 إِلَيْكَ أَشْكُو يَا غَزَالَ الْإِنْسِ مَا بِي مِنَ الْوَحْشَةِ بَعْدَ الْأَنْسِ
 يَا مَنْ هِلَالِي وَجْهَهُ وَشَمْسِي لَا تُقْتَلُ النَّفْسُ بِغَيْرِ نَفْسِ
 جَذَلِي كَمَا جَذَتْ بِحُسْنِ الْوُدِّ وَارَعَ كَمَا أَرَعَى قَدِيمَ الْعَهْدِ
 وَاضْدُدْ كَصَدِّي عَنْ طَوِيلِ الصَّدِّ فَلَيْسَ وَجَدَ بِكَ مِثْلَ وَجْدِي
 هَا أَنَا فِي بَحْرِ الْهَوَى غَرِيقُ سَكْرَانُ مِنْ حُبِّكَ لَا أَفِيقُ
 مُحْتَرِقُ مَا مَسَّنِي حَرِيقُ يَزْنِي لِي الْعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ
 فَلَيْتَ شِعْرِي فَبِكَ هَلْ تَزْنِي لِي مِنْ سَقَمِ بِي وَضُنَى طَوِيلِ؟
 أَمْ هَلْ إِلَى وَضْلِكَ مِنْ سَبِيلِ لِعَاشِقِ ذِي جَسَدٍ نَجِيلِ؟
 فِي كُلِّ عِضْوٍ مِنْهُ سَقَمٌ وَالْمِ وَمُقْلَةٌ تَبْكِي بِدَمْعٍ وَبِدَمِ
 شَوْقاً إِلَى بَذْرِ وَشَمْسٍ وَصَنْمِ مِنْهُ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى إِذَا ظَلَمَ!
 أَقُولُ إِذْ قَامَ بِقَلْبِي وَقَعْدُ يَا «عَمْرُو» يَا عَامِرَ قَلْبِي بِالْكَمْدِ
 أَقْسِمُ بِاللَّهِ يَمِينُ الْمُجْتَهِدِ إِنَّ أَمْرًا أَسْعَدْتَهُ لَقَدْ سَعِدَ

(١) مفلج الأسنان: منفرج الأسنان، في أسنانه فرق.

(٢) التحرج: شدة الورع.

يَا «عَمْرُو» نَاشِدْتُكَ بِالْمَسِيحِ أَلَا اسْتَمَعْتَ الْقَوْلَ مِنْ قَصِيحِ
يُخْبِرُ عَنْ قَلْبٍ لَهُ جَرِيحِ بَاحٍ بِمَا يَلْقَى مِنَ التَّبَرِيحِ
يَا «عَمْرُو» بِالْحَقِّ مِنَ اللاهُوتِ وَالرُّوحِ رُوحِ الْقُدُسِ وَالتَّاسُوتِ
ذَٰلِكَ الَّذِي فِي مَهْدِهِ الْمَنُحُوتِ عَوْضَ بِالنُّطْقِ مِنَ السُّكُوتِ
بِحَقِّ نَاسُوتٍ بِبَطْنِ مَرْيَمَ حَلَّ مَحَلَّ الرُّبُوعِ مِنْهَا فِي الْقَمِ
ثُمَّ اسْتَحَالَ فِي قُنُومِ الْأَقْدَمِ فَكَلَّمَ النَّاسَ وَلَمَّا يُفْطَمُ^(١)
بِحَقِّ مَنْ بَعْدَ النَّمَاتِ قُمْصَا ثَوْبًا عَلَى مِقْدَارِهِ مَا قُمْصَا
وَكَانَ لِلَّهِ تَقِيًّا مُخْلِصَا يَشْفِي وَيُبْرِئُ أَكْمَهَا وَأَبْرَصَا^(٢)
بِحَقِّ مُجِيبِ صُورَةِ الطُّيُورِ وَيَاغِثُ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ
وَمَنْ إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْأُمُورِ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبُحُورِ
بِحَقِّ مَا فِي شَايِخِ الصُّوَامِعِ مِنْ سَاجِدٍ لِرَبِّهِ وَرَاكِعِ
يَبْكِي إِذَا مَا نَامَ كُلُّ هَاجِعِ خَوْفًا إِلَى اللَّهِ بِدَمْعِ هَامِعِ
بِحَقِّ قَوْمٍ خَلَقُوا الرُّؤُوسَا وَعَالَجُوا طَوْلَ الْحَيَاةِ بُوسَا
وَقَرَعُوا فِي الْبَيْعَةِ النَّاقُوسَا مُشْمَعِلِينَ يَعْبُدُونَ عِيسَى^(٣)

(١) الأَقْنُومُ: الأصل والجوهر والشخص، والأَقَانِيمُ الثلاثة عند المسيحيين: هي الأب والإبن والروح القدس، وعند الاسكندرانيين هي النفس الكلية والعقل والواحد (جميل صليبا - المعجم الفلسفي)، وفي «كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي»: الأَقَانِيمُ عند النصارى ثلاث صفات من صفات الله وهي: العلم والوجود والحياة، وعبروا عن الوجود بالأب وعن الحياة بالروح القدس وعن العلم بالكلمة، وقالوا أقنوم الكلمة اتحدت بعيسى عليه السلام».

(٢) الْأَكْمَه: الشخص الذي يولد أعمى.

(٣) مُشْمَعِلِينَ: يرتلون صلواتهم.

بِحَقِّ «مَارْت» مَرْيَمَ وَبُولُسَ بِحَقِّ شَمْعُونِ الصِّفَا وَبَطْرُسَ^(١)
 بِحَقِّ «دَانِيئِلَ» بِحَقِّ يُونُسَ بِحَقِّ «حَزَقِيئِلَ» وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ
 وَنَيْنَوَى إِذْ قَامَ يَدْعُو رَبَّهُ مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ سُوءٍ قَلْبَهُ
 وَمُسْتَقْبِلًا فَأَقَالَ ذَنْبَهُ وَنَالَ مِنْ أَبِيهِ مَا أَحَبَّهُ
 بِحَقِّ مَا فِي قُلَّةِ الْمَيْرُونِ مِنْ نَافِعِ الْأَدْوَاءِ لِلْمَجْثُونِ^(٢)
 بِحَقِّ مَا يُؤَثَّرُ عَنْ «شَمْعُونِ» مِنْ بَرَكَاتِ الْخُوصِ وَالزَّيْتُونِ
 بِحَقِّ أَغْيَادِ الصَّلِيبِ الزُّهْرِ وَعَيْنِدِ «شَمْعُونِ» وَعَيْنِدِ الْفِطْرِ
 وَبِالشَّعَائِنِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ وَعَيْنِدِ «مَرْمَارِي» الرَّفِيعِ الذِّكْرِ
 وَعَيْنِدِ «أَشْعَبَا» وَبِالْهَبَاكِيلِ وَ«الدُّخَنِ» اللَّاحِظِي بِكَفِّ الْحَامِلِ^(٣)
 يُشْفَى بِهَا مِنْ خَبَلٍ كُلِّ خَابِلٍ وَمِنْ دَخِيلِ السُّقْمِ فِي الْمَفَاصِلِ
 بِحَقِّ سَبْعِينَ مِنَ الْعِبَادِ قَامُوا بِيَدَيْنِ اللَّهِ فِي الْبِلَادِ
 وَأَرْشَدُوا النَّاسَ إِلَى الرَّشَادِ حَتَّى إِهْتَدَى مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِادِ
 بِحَقِّ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ مِنَ الْأُمَمِ سَارُوا إِلَى الْأَقْطَارِ يَتَلَوْنَ الْحِكْمَ
 حَتَّى إِذَا صُبِغَ الدُّجَى جُلَى الظُّلَمِ صَارُوا إِلَى اللَّهِ وَقَارُوا بِالنُّعْمِ

(١) مارت مريم: السيدة مريم باللغة السريانية.

(٢) المَيْرُون: كلمة يونانية تعني «الزيت أو العطر». وفي الكهنوتية المسيحية، هو زيت ممزوج بمواد عطرية شتى، يندرج في طقوس المعمودية ويعد من أسرار الكنيسة السبعة، حيث يتم به «سر الثبوت» والقللة هنا، كناية عن قلة «الميرون» في الطقس، حيث بالكاد تمسح به القدم بعد التعميد مباشرة.

(٣) الدخن: دقيق الذرة البيضاء.

بِحَقِّ مَا فِي مُحْكَمِ الْإِنْجِيلِ مِنْ مُحْكَمِ التَّخْرِيمِ وَالتَّخْلِيلِ
وَحَبْرِ ذِي نَبْلِ جَلِيلِ
بِحَقِّ «مُرْقَسِ» الشُّفِينِ النَّاصِحِ
بِحَقِّ يُوْحَنَّا الْحَلِيمِ الرَّاجِحِ
بِحَقِّ مَفْمُودِيَّةِ الْأَرْوَاحِ
وَمَنْ بِهِ مِنْ لَابِسِ الْأَمْسَاحِ
بِحَقِّ تَفْرِيبِكَ فِي الْأَحَادِ
وَطُولِ تَبْيِضِكَ لِلْأَكْبَادِ
بِحَقِّ مَا قُدُسَ «شُعْبَا» فِيهِ
بِحَقِّ «نَسْطُورِ» وَمَا يَزُونِهِ
شَبَّانِ كَانَا مِنْ شَيْوُخِ الْعِلْمِ
لَمْ يَنْطَقَا قَطُّ بِغَيْرِ فَهْمِ
بِحَزْمَةِ الْأَسْقُفِ وَالْمَظَرَانِ
وَالْقَسِّ وَالشَّمَّاسِ وَالذُّبُرَانِي
بِحُرْمَةِ الْمَخْبُوسِ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ
وَبِالْكَنِيسَاتِ الْقَدِيمَاتِ الْأُولِ
وَبِالْجَائِلِيْنَ الْعَالَمِ الرَّبَّانِي
وَالْبَطْرِكَ الْأَكْبَرِ وَالرُّهْبَانِ
وَبِالْمَرْتَضَى بِمَا فَعَلَ
وَبِالسَّلِيمِ الْمُرْتَضَى بِمَا فَعَلَ

(١) الصحاح: البداء، وقيل هي الأرض التي لا ماء فيها أو شجر.

(٢) الأمساح: صيغةُ جَمْعٍ من «مُسوح» وهي العباءات، ويريد بها هنا لباس الكهنوت المسيحي في المذبح.

(٣) التقريب: نوعٌ من السَّير، يقارب السرعة، والفرصاد: التوت الأحمر.

بِحُرْمَةِ الْأَسْقُوفِيَا وَالْبَيْرِمِ وَمَا حَوَى مَغْفَرُ رَأْسِ مَرْيَمِ
بِحُرْمَةِ الصُّومِ الْكَبِيرِ الْأَعْظَمِ وَحَقُّ كُلِّ بَرَكَةٍ وَمَحْرَمِ
بِحَقِّ يَوْمِ الذَّبْحِ فِي الْإِسْرَاقِ وَلَيْلَةِ الْمِيلَادِ وَالسُّلَاقِ^(١)
وَالْمَذْهَبِ الْمَذْهَبِ لِلنَّقَاقِ وَالْفِضْحِ بِأَمْهَذَبِ الْأَخْلَاقِ
بِكُلِّ قُدَّاسٍ عَلَى قُدَّاسٍ قُدَّسَهُ الْقَسُّ مَعَ الشُّمَّاسِ
وَقَرُّبُوا يَوْمَ الْخَمِينِ النَّاسِي وَقَدُّمُوا الْكَاسَ لِكُلِّ حَاسِ
أَلَا رَغِبْتَ فِي رِضَا أَدِينِ بَاعِدْهُ الْحُبُّ عَنِ الْحَبِيبِ
فَذَابَ مِنْ شَوْقِي إِلَى الْمُذِيبِ أَغْلَى مِنْهُ أَيْسَرُ التَّفَرِيبِ
فَانْظُرْ أَمِيرِي فِي صَلَاحِ أَمْرِي مُحْتَسِباً فِي عَظِيمِ الْأَجْرِ
مُكْتَسِباً فِي جَمِيلِ الشُّكْرِ فِي نَثْرِ الْفَاطِ وَنَظْمِ شُغْرِ

(١) السلاق: هو عيد خميس الأربعين، تعتقد المسيحية أن السيد المسيح تسلق فيه من بين تلاميذه إلى السماء من بعد القيام، ووعدهم بإرسال الفارقليط وهو روح القدس.

أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْبَارِيُّ

أَجْمَلُ الْمَضْلُوبِينَ

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ قَالَهَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْبَارِيُّ فِي رِثَاءِ الْوَزِيرِ «ابْنِ بَقِيَّةٍ» الَّذِي قَتَلَهُ عَصْدُ الدَّوْلَةِ وَصَلَبَهُ عَلَى رَأْسِ جِسْرِ بَغْدَادَ، قَالَ عَنْهَا الصَّفَدِيُّ فِي الرَّافِعِيِّ بِالرَّفِيعَاتِ: «لَمْ أَرْ فِي مَضْلُوبٍ أَحْسَنَ مِنْهَا» وَقَالَ عَنْهَا الثَّعَالِبِيُّ فِي يَتِيمَتِهِ «قَصِيدَةُ فَرِيدَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا مِنْ أَفْرَادِ الشُّعْرَاءِ وَأَبْدَى الْجَرْجَانِيِّ فِي «أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ» إِعْجَابَهُ «بِمَا صَنَعَ فِيهَا مِنَ السُّحْرِ، حَتَّى قَلَبَ جُمْلَةً مَا يُسْتَنْكَرُ مِنْ أَحْوَالِ الْمَضْلُوبِ إِلَى خِلَافِهَا، وَتَأَوَّلَ فِيهَا تَأْوِيلَاتٍ أَرَاكَ فِيهَا وَبِهَا مَا تُقْضِي مِنْهُ الْعَجَبَ» وَعَدَّهَا الثُّوْرِيُّ فِي «نِهَايَةِ الْأَرْبِ» مِنْ نَوَادِرِ الْمَرَاثِي. وَكَانَ الْأَنْبَارِيُّ قَدْ كَتَبَ قَصِيدَتَهُ فِي رِثَاءِ صَدِيقِهِ «ابْنِ بَقِيَّةٍ» وَرَمَى بِهَا نُسَخًا فِي شَوَارِعِ بَغْدَادَ، فَتَدَاوَلَهَا الْأُدَبَاءُ إِلَى أَنْ اتَّصَلَ الْخَبَرُ بِعَصْدِ الدَّوْلَةِ، فَلَمَّا انْشَدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَضْلُوبُ دُونَهُ.

عَلَوْ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ بِحَقِّ أَنْتَ إِخْدَى الْمُعْجَزَاتِ
كَانَ النَّاسَ حَوْلَكَ جِينًا قَامُوا وَفُودَ نِدَاكَ أَيَّامَ الصَّلَاتِ

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا وَمَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ اخْتِفَاءً
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاضُوا
لِعَظْمِكَ فِي الثُّفُوسِ بَقِيَتْ تَرْعَى وَتُسْعَلُ حَوْلَكَ النَّيِّرَانُ لَيْلًا
رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلِ زَيْدٍ وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأْسٌ
وَلَمْ أَرِ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعًا أَسَاتَ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَشَارَتْ
وَكُنْتَ تُجِيرُ مِنْ صَرْفِ اللَّيَالِي وَصَيْرَ دَهْرِكَ الْإِخْسَانَ فِيهِ
وَكُنْتَ لِمَغْشَرٍ سَعْدًا فَلَمَّا غَلِيلٌ بَاطِنُ لَكَ فِي فُؤَادِي
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامٍ مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَائِي
وَلَكِنِّي أَصْبَرُ عَنْكَ نَفْسِي وَمَالِكَ تُزْبَةً فَأَقُولُ تُسْقَى
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَثْرَى

وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ
كَمَدَهُمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ
يَضُمُّ عِلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ
عَنِ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ
بِحُرَّاسٍ وَحَفَاطٍ ثَقَاتِ
كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
عَلَاهَا فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَاتِ
تُبَاعِدُ عَنْكَ تَغْيِيرَ الْعِدَاةِ
تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ
فَأَنْتَ قَعِيلُ ثَارِ النَّائِبَاتِ
فَصَارَ مُطَالِبًا لَكَ بِالثَّرَاتِ
إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ
مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْجِسَاتِ
يُخَفِّفُ بِالدُّمُوعِ الْجَارِيَاتِ
بِفَرَضِكَ وَالْحُقُوقِ الْوَاجِبَاتِ
وَنُحْتُ بِهَا خِلَافَ النَّائِحَاتِ
مَخَافَةً أَنْ أَعْدَّ مِنَ الْجُنَاةِ
لَأَنَّكَ نَضَبُ هَظْلِ الْهَاطِلَاتِ
بِرَّخِمَاتِ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

ابن زريق البغدادي

فراقية البغدادي

من أشهر القصائد التيمنمة وأكثرها غرابة، فقد زعم صاحب «الوافي بالوفيات» أنها قصيدة مدح إذ يقول: «له القصيدة التي مدح بها العميد أبا نصر وزير طغرل بك، وطغرل بك، سلطان السلاجقة في بغداد، ووزيره كان في بغداد كذلك ولا علاقة للقصيدة، على هذا الأساس، بالهجرة من بغداد إذن. ثم يورد الصفدي العينية بأبياتها كاملة^(١) وهو ما جعل نعمان ماهر الكنعاني يشكك في وجود ابن زريق لغياب المدح المزعوم في قصيدته، لكن صاحب «مصارع العشاق» يورد رواية أخرى أقرب للصحة حيث يقول: إن رجلاً من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرّب إليه بنسبه، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلّوه ويختبره، فأعطاه شيئاً نزرّاً، فقال البغدادي: إنا لله وإنا إليه راجعون! سلكت

(١) لا يكتفي الصفدي بهذا في ما يتعلق بتشويش صورة ابن زريق، والتباسها، إذ يورد له قصيدة أخرى من أربعين بيتاً في رثاء ديك، ومما يشير إلى أن لابن زريق هذا قصائد أخرى.

الْبَرَارِي وَالْبَحَارَ وَالْمَهَامَةَ وَالْقِفَارَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَأَعْطَانِي هَذَا الْعَطَاءَ
النَّزَرَ؟ فَأَنْكَسَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَاعْتَلَّ فَمَاتَ .

وَشُغِلَ عَنْهُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَيَّامًا، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ فَخَرَجُوا يَطْلُبُونَهُ، فَأَتَتْهُوَ إِلَى
الْخَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَسَأَلُوا الْخَانِيَّةَ «صَاحِبَةَ الْخَانِ أَوْ الْفُنْدُقِ» عَنْهُ،
فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَمُذْ أَمْسَ لَمْ أَرَهُ، فَصَعَدُوا فَدَفَعُوا
الْبَابَ، فَوَجَدُوا الرَّجُلَ مَيِّتًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ رُفْعَةٌ كَتَبَ عَلَيْهَا قَصِيدَتَهُ .
وَيُقَالُ: مَنْ تَخَتَّمَ بِالْعَقِيقِ، وَقَرَأَ لِابْنِ عَمْرٍو وَتَفَقَّهَ لِلشَّافِعِيِّ، وَحَفِظَ
قَصِيدَةَ ابْنِ زُرَيْقٍ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الظُّرْفَ .

لَا تَغْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُؤْلِعُهُ
قَدْ قُلْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
جَاوَزْتَ فِي لَوْمَةٍ خَدًّا أَضْرَبَهُ
مِنْ حَيْثُ قَلَذْتَ أَنَّ السَّوْمَ يَنْفَعُهُ
فَاسْتَعْمِلِي الرُّفْقَ فِي تَأْنِيهِهِ بَدَلًا
مِنْ عَذْلِهِ فَهُوَ مُضْنَى الْقَلْبِ مُوجَعُهُ
قَدْ كَانَ مُضْطَلَعًا بِالْخَطْبِ يَحْمِلُهُ
فَضِيقَتْ بِخُطُوبِ الدَّهْرِ أَضْلَعُهُ
يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ التَّشْتِيبِ أَنَّ لَهُ
مِنْ السُّوَى كُلِّ يَوْمٍ مَا يُرْوَعُهُ
مَا أَبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجُهُ
رَأَيْ إِلَى سَفَرٍ بِالرَّغْمِ يَزْمَعُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي جِلٍّ وَمُرْتَحِلٍ
مُوَكَّلٍ بِفَضَاءِ اللَّهِ يَذْرَعُهُ

إِنَّ الزُّمَانَ أَرَاهُ فِي الرَّحِيلِ غَنًى
 وَلَوْ إِلَى السُّنْدِ أَضْحَىٰ وَهُوَ يَزْمَعُهُ
 نَابِي الْمَطَامِعِ إِلَّا أَنْ تُجْشِمَهُ
 لِلرِّزْقِ كَدًّا وَكَمْ مِمَّنْ يُودَعُهُ
 وَمَا مُجَاهِدَةُ الْإِنْسَانِ تَوْصِيْلُهُ
 رِزْقًا وَلَا دَعَا الْإِنْسَانِ تَقْطَعُهُ
 قَدْ وَزَعَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ رِزْقَهُمْ
 لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِنْ خَلْقٍ يُضْيِعُهُ
 لِكِنَّهُمْ كُفُّوا حِرْصًا فَلَسْتَ تَرَىٰ
 مُسْتَرْزِقًا وَسَوَىٰ الْغَايَاتِ تُقْنِعُهُ
 وَالْحِرْصُ فِي الرِّزْقِ، وَالْأَزْرَاقُ قَدْ قُسِمَتْ،
 بَغْيِي، أَلَا إِنَّ بَغْيِي الْمَرْءِ يَضْرَعُهُ
 وَالذَّهْرُ يُعْطِي الْفَتَىٰ مِنْ حَيْثُ يَمْنَعُهُ
 إِزْنًا وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْمِعُهُ
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا
 بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارَ مَطْلَعُهُ^(١)

(١) فلك الأزرار: فتحة مستديرة في الخباء، فالزُّر كما جاء في «لسان العرب»: واحد الأزرار التي تشدُّ بها الكِلَلُ والسُّتُورُ على ما يكون في حَجَلَةِ العروس، وقيل: الأزرار: خَشَبَاتٌ يُخْرَزْنَ فِي أَعْلَى شَقِّ الْخَبَاءِ وَأَصُولِهَا فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا الْبَيْتُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الْمُخَيَّرَةِ حَقًّا، فَقَدْ كَانَ أَوَّلُ مَنْ أوردَهُ: الْجَاهِظُ فِي «المحاسن والأضداد» - طبعة مصر ١٩٠٦ وكذلك طبعة مكتبة الخانجي ١٩٩٤ على لسان جارية غنته أمام أحد أمراء المغرب العربي، والجاهظ كما هو معروف عاش قبل =

وَدَعْنَهُ وَيُودِّي لَوْ يُودُّعُنِي
صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنْتِي لَا أُوَدُّعُهُ
وَكَمْ تَشْفَعُ بِي أَنْ لَا أُفَارِقَهُ
وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٍ لَا تُشْفَعُهُ
وَكَمْ تَشْبَثُ بِي يَوْمَ الرَّجِيلِ ضَحَى
وَأَذْمَعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَذْمَعُهُ
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ ثَوْبُ الصَّبْرِ مُنْخَرَقٌ
عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أَرْقُهُ
إِنِّي أَوْسَعُ عُذْرِي فِي جَنَائِبِهِ
بِالْبَيْنِ عَنْهُ وَجُرْمِي لَا يُوسِّعُهُ

= ابن زريق المفترض براوية الصفدي بقرنين، وأضاف أبو حيان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» بيتاً آخر في روايته لقصة قريبة من الأولى وأضاف بيتاً آخر فوردت هكذا:

أَسْتَوِدُّ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا
وَدَعْنَهُ وَيُودِّي لَوْ يُودُّعُنِي
بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْزَارَ مَطْلَعُهُ
صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَنْتِي لَا أُوَدُّعُهُ

أما الثعالبي فقد نسب في يتيمة الدَّهْر « طبعة دار الكتب العلمية - ١٩٨٣ » في الصفحة ٣٤٠ من الجزء الأول، الأبيات التالية من القصيدة للوواء الدمشقي:

إَسْتَوِدُّ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا
وَدَعْنَهُ وَيُودِّي لَوْ يُودُّعُنِي
بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْزَارَ مَطْلَعُهُ
رُوحُ الْحَيَاةِ وَأَنْتِي لَا أُوَدُّعُهُ
وَكَمْ تَشْبَثُ بِي يَوْمَ الرَّجِيلِ ضَحَى
وَأَذْمَعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَذْمَعُهُ
وَكَمْ تَشْفَعُ بِي أَنْ لَا أُفَارِقَهُ
وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٍ لَا تُشْفَعُهُ

ورواية الجاحظ الذي سبق الوواء الدمشقي أيضاً، وبأكثر من قرن، تدحض هذه النسبة، والترجيح الممكن هنا أن هذه الأبيات كانت موجودة منذ القرن الثاني للهجرة، وقد ضممها ابن زريق في قصيدته تلك.

أُعْطِيتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنْ سِيَاسَتَهُ
وَكُلُّ مَنْ لَا يُسْوِسُ الْمُلْكَ يَخْلَعُهُ
وَمَنْ عَدَا لَا بِسَاءِ ثَوْبِ النَّعِيمِ بِلَا
شُكْرِ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِعُهُ
إِعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خَلِّي بَعْدَ فُرْقَتِهِ
كَاسًا أَجْرَعُ مِنْهَا مَا أَجْرَعُهُ
كَمْ قَائِلٍ لِي: دُفْتُ الْبَيْنَ قُلْتُ لَهُ:
الذَّنْبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي لَسْتُ أَذْفَعُهُ
أَلَا أَقَمْتُ فَكَانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُهُ
لَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ اتَّبَعُهُ
لَوْ أَنَّنِي لَمْ تَقْعَ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ
فِي سَفَرَتِي هَلِيزَ إِلَّا وَأَقْطَعُهُ
إِنِّي لَأَقْطَعُ أَيَّامِي وَأَنْفِذُهَا
بِحَسْرَةٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي تُقْطَعُهُ
بِمَنْ إِذَا هَجَعَ النُّوَامُ بِتُّ لَهُ
بِلَوْعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ
لَا يَطْمِئُنُّ لِحَنِّي مَضْجَعُ وَكَذَا
لَا يَطْمِئُنُّ لَهُ مُذِ بِنْتُ مَضْجَعُهُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي
بِهِ وَلَا أَنَّ بِي الْأَيَّامَ تَفْجَعُهُ
حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فِيمَا بَيْنَنَا بَيْدُ
عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ

قَدْ كُنْتُ مِنْ رَنْبِ دَهْرِي جَارِعاً فَرِقاً
 فَلَمْ أَوْقِ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَجْرَعُهُ
 بِاللَّهِ يَا مَنْزِلَ الْعَيْشِ الَّذِي دَرَسْتُ
 آثَارَهُ وَعَفْتُ - مُذِ بِنْتُ - أَرْبَعُهُ
 هَلِ الزَّمَانُ مَعِيدُ فَيْكَ لَدُنَّا
 أَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَمْضَتْهُ تُرْجِعُهُ؟
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَضَبَحَتْ مَنْزِلُهُ
 وَجَادَ غَيْثٌ عَلَى مَغْنَاكَ يُنْمِرُهُ
 مَنْ عِنْدَهُ لِي عَهْدٌ لَا يُضَيِّعُهُ
 كَمَا لَهُ عَهْدٌ صِدْقٍ لَا أُضَيِّعُهُ
 وَمَنْ يُصَدِّعْ قَلْبِي ذِكْرَهُ وَإِذَا
 جَرَى عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ
 لِأَصْبِرَنَّ لِلدَّهْرِ لَا يُمَتِّعُنِي
 بِهِ وَلَا بِبِي فِي حَالٍ يُمَتِّعُهُ
 عَلِمْتُ أَنَّ اضْطِبَارِي مُغَقَّبٌ فَرَجاً
 فَأُضَيِّقُ الْأَمْرَ إِنْ فَكَّرْتُ أَوْسَعُهُ
 عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي أَضُنْتُ بِفُرْقَتِنَا
 جَسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمَاً وَتَجْمَعُهُ
 فَإِنْ تُغِلْ أَحَدَا مِثْلَا مَنِيئُهُ
 لَا بَدْءَ فِي غَدِهِ الثَّانِي سَيَتْبَعُهُ

أبو سعد النيرماني

عن الوادي المهجور

ثُمَّ أَكْثَرُ مِنْ وَشِيجَةِ بَيْنَ شَاعِرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَابْنِ زُرَيْقٍ الْبَغْدَادِيِّ،
فَهُمَا مُعَاَصِرَانِ لِيَغْضِبَهُمَا بِالرَّغْمِ مِنَ السَّيَرَةِ الْمُلتَبَسَةِ لِابْنِ زُرَيْقٍ، وَكِلَاهُمَا
اشْتَهَرَ بِلقَبِ «الكَاتِبِ» وَكُلُّ مِنْهُمَا اسْمُهُ الْأَوَّلُ: «عَلِيٌّ» وَكِلَاهُمَا جَاوَرَ
الْأُمَرَاءَ وَطَلَبَ عَطَايَاهُمْ، وَكِلَاهُمَا كَتَبَ قَصِيدَتَهُ عَنْ بَغْدَادٍ، وَبِالتَّحْدِيدِ
عَنْ فِرَاقِهَا عَلَى كَرَاهَةٍ، وَطَلَبًا لِحَاجَةٍ مَا وَلَضِيقِ الْحَالِ، كَمَا نَسْتَفِيدُ مِنْ
الْخَاتِمَةِ الْمُسْتَعَارَةِ فِي قَصِيدَةِ النُّيرْمَانِيِّ هَذِهِ، وَكَذَلِكَ فِي آيَاتِ عِدِيدَةٍ
مِنْ قَصِيدَةِ ابْنِ زُرَيْقٍ، وَكُلُّ مِنَ الشَّاعِرَيْنِ ضَمَّنَ قَصِيدَتَهُ آيَاتًا لِشُعْرَاءِ
سَابِقِينَ لَهُ.

وَمِنْ هُنَا تَبَرُّزُ أَهَمِّيَّةِ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الشَّاعِرَيْنِ وَقَصِيدَتَيْهِمَا، فِي أَيِّ بَحْثٍ
مُمْكِنٍ.

وَالنُّيرْمَانِيُّ، نِسْبَةً إِلَى نَيْرْمَانَ وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْجَبَلِ فِي هَمْدَانَ وَهُوَ
عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفِ أَبِي سَعْدٍ النُّيرْمَانِيِّ، لَهُ كِتَابٌ نَادِرٌ وَرَائِدٌ فِي
مَجَالِهِ، سَمَّاهُ (مَنْثُورَ الْمَنْظُومِ الْبَهَائِيِّ) وَفِيهِ أَحَالَ حِمَاسَةَ أَبِي تَمَامٍ إِلَى
نَثْرِ. وَالْكِتَابُ أَهْدَاهُ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ لِهَذَا وَصَفَهُ بِالْبَهَائِيِّ،

وَكَانَ يَعْمَلُ كَاتِبًا فِي دِيْوَانِ بَنِي بُؤَيَّةَ قَبْلَ مُغَادَرَتِهِ بَغْدَادَ. وَيَبْدُو أَنَّ وَالِدَهُ،
كَانَ مَقْرَبًا مِنَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ: الرَّاضِي بِاللَّهِ، وَعَمِلَ كَاتِبًا فِي دَوَائِنِهِ،
كَمَا تُشِيرُ كُتُبُ التَّارِيخِ.

اشْتَهَرَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ بَيْنِ شِعْرِ النَّيِّرْمَانِيِّ الْقَلِيلِ كَوَاحِدَةٍ مِنْ أَجْمَلِ
مَا قِيلَ فِي فِرَاقِ بَغْدَادَ وَاسْتِدْكَارِ مَجَالِسِهَا وَأَهْلِهَا.

خَلِيلِي فِي بَغْدَادَ هَلْ أَنْتُمْ مَا لِيَا
عَلَى الْعَهْدِ مِثْلِي أَمْ غَدَا الْعَهْدُ بِالْبَيَا؟
وَهَلْ ذَرَفَتْ يَوْمَ النُّوَى مُقْلَتَاكُمْ مَا
عَلَيَّ كَمَا أُنْسِي وَأُضِيحُ بِأَكْبَا؟
وَهَلْ أَنَا مَذْكُورٌ بِخَيْرٍ لَدَيْكُمْ مَا
إِذَا مَا جَرَى ذِكْرُ لِمَنْ كَانَ نَائِيَا
وَهَلْ فِيكُمْ مَا مَنْ إِنْ تَنْزَلَ مَنْزِلًا
أَنْبِقَا وَيُسْتَأْنَأُ مِنَ الثُّورِ حَالِيَا
أَجْدَلُهُ طَيْبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ
مُنَى يَتَمَنَّاها فَكُنْتُ الْأَمَانِيَا
كِتَابِي عَنْ شَوْقِي شَدِيدٍ إِلَيْكُمْ مَا
كَانَ عَلَى الْأَخْشَاءِ مِنْهُ مَكَاوِيَا
وَعَنْ أَذْمَعٍ مِنْهُلَّةٍ، فَتَأْمَلَا
كِتَابِي تُنِزْ آثَارَهَا فِي كِتَابِيَا
وَلَا تَبَاسَا أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا
كَأَخْسَنِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ نَصَافِيَا

فَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَيْنِ بَعْدَمَا
يَظُنُّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(١)
وَلَا تَأْسَا بِالْوَرْدِ بَعْدِي وَأَعْرَبَا
مَقَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَخْدَعُ سَاجِيَا
وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا تَطَيَّرْتَ أَنْ أَرَى
مَكَانِكَ مِثِّي - لَا خَلَا مِنْكَ - خَالِيَا
فَضْمُنْتُهُ وَرَدًّا كَرِيَّاكَ رِنَحُهُ
يُذَكِّرُنِي مِنْكَ الَّذِي لَسْتُ نَاسِيَا
وَلَا تَطْلُبَا صَوْنِي إِذَا مَا تَغَنَّيَا
تَسْرُوفُوزِ جَادَتَا لِي الْأَغَانِيَا
وَحَبَّرْتُمَا أَنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُ
لِلْيَلَى إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَّاسِيَا^(٢)
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ
فَمَا لِلنَّوَى تَزْمِي بِلَيْلِي الْمَرَامِيَا
فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلَّ مَدِينَةٍ
مِنْ الْأَرْضِ حَتَّى خِطَّتِي وَدِيَارِيَا^(٣)

(١) يُنسبُ هذا البيت لأكثر من شاعر فهو لمجنون ليلي «قيس بن الملوح» كما جاء في

«الأغاني»، ونسبه البصري في حماسته لقيس بن ذريح، وهناك من ينسبه لابن الدمينه.

(٢) هذا البيت كالبيت السابق في اختلاف نسبته في كُتُبِ الأدب العربي، فإضافة إلى

القيسين «قيس بن الملوح» وقيس بن ذريح، يُنسب كذلك إلى جميل بثينة، كما في

«الأغاني» و«متهى الطلب من إشعار العرب» لابن المبارك.

(٣) الخِطَّة: الأرض التي تُنزلها ولم ينزلها قبلك، وجمع الخِطَّة: خِطَطٌ، وَقَدْ =

فَقَدْ سِرْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا
وَطَوَّفْتُ خَيْلِي بَيْنَهَا وَرِكَابِهَا
فَلَمْ أَرِ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادَ مَنْزِلًا
وَلَمْ أَرِ فِيهَا مِثْلَ دَجْلَةَ وَادِيَا
وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقَ شَمَائِلًا
وَأَغْذَبَ أَلْفَظًا وَأَخْلَى مَعَانِيَا
وَكَمْ قَائِلٍ: لَوْ كَانَ وَدُكَ صَادِقًا
لِبَغْدَادَ لَمْ تَرْحَلْ، فَكَانَ جَوَابِيَا:
يُقِيمُ الرِّجَالُ الْمُوسَّرُونَ بِأَرْضِهِمْ
وَتَزِمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِنِ الْمَرَامِيَا

= خَطُّهَا لِنَفْسِ خَطِّهَا وَاخْتَطَّهَا وَهُوَ أَنْ يُعْلِمَ عَلَيْهَا عَلَامَةً بِالْخَطِّ، لِيُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ اخْتَارَهَا لِيَتَّخِذَهَا دَارًا، وَمِنْهُ خِطُّهُ الْبَصْرَةُ وَالْكُوفَةُ.

الشَّهْرُزُورِيُّ

طَرِيقُ الْعُودَةِ

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُرتَضَى بْنُ الشَّهْرُزُورِيِّ، وَلَدَ فِي شَهْرِزُورَ «وَهُوَ سَهْلٌ فِي شَمَالِ الْعِرَاقِ» وَلِإِيهِ نُسَبَ . عَاشَ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ الْهِجْرِيَّيْنِ، أَقَامَ فِي بَغْدَادَ فِتْرَةً ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَعَمَلَ فِي الْقَضَاءِ، تُعْرَفُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ «بِالْقَصِيدَةِ الْمَوْصِلِيَّةِ» وَحَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ فِي «وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ» أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ، قَلِيلَةُ الْوُجُودِ فِي الْكُتُبِ لِذَلِكَ أَوْرَدَهَا كَامِلَةً، وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يَنْقُلْهَا مِنْ قَبْلِهِ . كَمَا نَقَلَ عَنْ أَحَدِ الْمَشَائِخِ قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَحْمِلُ نَكْهَةً صُوفِيَّةً خَاصَّةً وَفَرِيدَةً، أَنَّهُ رَأَى فِي التَّوَرَمِ قَائِلًا يَقُولُ: مَا قِيلَ فِي الطَّرِيقِ مِثْلُ «الْقَصِيدَةِ الْمَوْصِلِيَّةِ»

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسَعَسَ اللَّيْلُ وَمَلَّ الْحَادِي وَحَارَ الدَّلِيلُ
فَتَأَمَّلْتُهَا وَفَكَّرْتَنِي مِنَ الْبَيْنِ عَلِيلُ وَلَحْظُ عَيْنِي كَلِيلُ
وَتُوَادَّنِي ذَاكَ الْفُؤَادُ الْمُعْنَى وَغَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامُ الدَّخِيلُ
ثُمَّ قَابَلْتُهَا وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: هَذِهِ النَّارُ نَارُ لَيْلَى فَمِيزْلُوا
فَرَمُوا نَحْوَهَا لِخَاطَأَ صَحِيحَاتٍ فَعَادَتْ خَوَاسِئًا وَهِيَ حُوزُ

ثُمَّ مَالُوا إِلَى الْمَلَامِ وَقَالُوا: خُلِبَ مَا رَأَيْتَ أَمْ تَخْيِيلُ
فَتَجَنَّبْنَاهُمْ وَمِلْتُ إِلَيْهَا وَالْهَوَىٰ مَرْكَبِي وَشَوْقِي الزَّمِيلُ
وَمَعِيَ صَاحِبٌ أَتَى يَفْتَنِي الْأَثَارَ وَالْحُبَّ، شَرْطُهُ التَّطْفِيلُ
وَهِيَ تَغْلُو وَنَحْنُ نَذْنُو إِلَى أَنْ حَجَرَتْ دُونَهَا طُلُولُ مُحُولُ
فَذْنُونَا مِنَ الطُّلُولِ فَحَالَتْ زَفَرَاتُ مِنْ دُونِهَا وَغَلِيلُ
قُلْتُ: مَنْ بِالذِّيَارِ؟ قَالُوا: جَرِيحٌ وَأَسِيرٌ مُكَبَّلٌ وَقَتِيلُ
مَا الَّذِي جِئْتَ تَبْتَغِي؟ قُلْتُ: ضَيْفٌ جَاءَ يَبْغِي الْقُرَى فَايْنِ الثُّرُولُ
فَأَشَارَتْ بِالرَّحْبِ دُونَكَ فَاغْرِزْهَا فَمَا عِنْدَنَا لِضَيْفِ رَحِيلُ
مَنْ أَتَانَا أَلْقَى عَصَا السَّيْرِ عَنْهُ قُلْتُ: مَنْ لِي بِهَا وَأَيْنِ السَّبِيلُ؟
فَخَطَطْنَا إِلَى مَنَازِلِ قَوْمٍ صَرَعَتْهُمْ قَبْلَ الْمَذَاقِ الشَّمُولُ
دَرَسَ الْوَجْدُ مِنْهُمْ كُلَّ رَسْمٍ فَهُوَ رَسْمٌ وَالْقَوْمُ فِيهِ حُلُولُ
مِنْهُمْ مَنْ عَفَى وَلَمْ يَبْقَ لِلشُّكْوَى وَلَا لِلدُّمُوعِ فِيهِ مَقْبِلُ
لَيْسَ إِلَّا الْأَنْفَاسُ تُخْبِرُ عَنْهُ وَهُوَ عَنْهَا مُبَرَّأٌ مَفْرُودُ
وَمِنَ الْقَوْمِ مَنْ يُشِيرُ إِلَى وَجْدٍ تَبَقَّى عَلَيْهِ مِنْهُ الْقَلِيلُ
وَلِكُلِّ مِنْهُمْ رَأَيْتُ مَقَامًا شَرْحُهُ فِي الْكِتَابِ مِمَّا يَطُولُ
قُلْتُ: أَهْلَ الْهَوَىٰ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِي فَوَادَّ عَنْكُمْ بِكُمْ مَشْغُولُ
وَجُفُونَ قَدْ أَفْرَحَتْهَا مَعَ الدَّمْعِ حَيْنِنًا إِلَى لِقَاكُمْ سُيُولُ
لَمْ يَزَلْ حَافِزٌ مِنَ الشَّوْقِ يَخْدُونِي إِلَيْكُمْ وَالْحَادِثَاتِ تَحُولُ
وَاعْتِدَارِي ذَنْبٌ فَهَلْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ عُذْرِي فِي تَرْكِ عُذْرِي قُبُولُ
جِئْتُ كَيْ أَضْطَلِّي فَهَلْ لِي إِلَى نَارِكُمْ، هَذِهِ الْغَدَاةُ، سَبِيلُ
فَأَجَابَتْ شَوَاهِدُ الْحَالِ عَنْهُمْ: كُلُّ حَدٍّ مِنْ دُونِهَا مَغْلُولُ

لَا تَرْوُقُنْكَ الرِّيَاضُ الْأَبْيَقَاتِ فَمِنْ دُونِهَا رُبْنِي وَدُحُولُ^(١)
كَمْ أَتَاهَا قَوْمٌ عَلَى غُرَّةٍ مِنْهَا وَرَأَمُوا أَمْرًا فَعَزُّ الْوُصُولُ
وَقَفُّوا شَاخِصِينَ حَتَّى إِذَا مَا لَاحَ لِلْوُضَلِ غُرَّةٌ وَحُجُولُ^(٢)
وَبَدَتْ رَايَةُ الْوَقْفِ بِيَدِ الْوَجْدِ وَنَادَى: أَهْلَ الْحَقَائِقِ جُولُوا
أَيْنَ مَنْ كَانَ يَدْعِينَا فَهَذَا الْيَوْمَ فِيهِ صِبْغُ الدَّعَاوَى يَحُولُ
حَمَلُوا حَمْلَةَ الْفُحُولِ وَلَا يَضْدَعُ يَوْمَ الْإِلْقَاءِ إِلَّا الْفُحُولُ
بَذَلُوا أَنْفُسًا سَخَتْ حِينَ شَحَتْ بِوَصَالٍ وَاسْتُضْفِرَ الْمَبْدُولُ
ثُمَّ غَابُوا مِنْ بَعْدِ مَا افْتَحَمُوهَا بَيْنَ أَمْوَاجِهَا وَجَاءَتْ سُيُولُ
قَذَفَتْهُمْ إِلَى الرُّسُومِ فَكُلَّ دَمُهُ فِي طُلُولِهَا مَطْلُولُ
نَارُنَا هَذِهِ تُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بَلِيلَ لِكْنِهَا لَا تُنِيلُ
مُنْتَهَى الْحِظِّ مَا تَزُودُ مِنْهُ اللَّحْظُ وَالْمُذِرُ كُونَ ذَلِكَ قَلِيلُ
جَاءَهَا مَنْ عَرَفَتْ يَبْغِي اقْتِبَاسًا وَلَهُ الْبَسْطُ عِنْدَنَا وَالسُّوْلُ
فَتَعَالَتْ عَنِ الْمَنَالِ وَعَزَّتْ عَنْ دُنُو إِلَيْهِ وَهُوَ رُسُولُ
فَوَقَفْنَا كَمَا عَهَدَتْ حَيَارَى كُلُّ عَزَمٍ مِنْ دُونِهَا مَخْدُولُ
نَذْفَعُ الْوَقْتَ بِالرَّجَاءِ وَنَاهِيكَ بِقَلْبٍ غِذَاؤُهُ التَّغْلِيلُ
كُلَّمَا ذَاقَ كَأْسَ يَأْسٍ مَرِيرٍ جَاءَ كَأْسٌ مِنَ الرَّجَاءِ مَغْسُولُ
فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ النَّفْسُ أَمْرًا حَيْدَ عَنْهُ وَقِيلَ: صَبْرٌ جَمِيلُ
هَذِهِ حَالُنَا وَمَا وَصَلَ الْعِلْمُ إِلَيْهِ وَكُلُّ حَالٍ تَحُولُ

(١) الدُّحُولُ: الحُفْرُ الغامضة، وتكون ضيقة من الأعلى لكنها عميقة وواسعة من الأسفل.

(٢) الغُرَّة: بياض في الجبهة والحجول: بياض في أسفل الساق.

الأربلي البخراني

الشطور الممحوّة

يَحْمِلُ هَذَا الشَّاعِرُ لَقَبًا مُرَكَّبًا مِنْ مَكَانَيْنِ: أَرْبِيلَ فِي أَقْصَى شَمَالِ
الْعِرَاقِ، وَالْبَحْرَيْنِ فِي أَذْنَى الْجَنُوبِ، فَهُوَ يَنْحَدِرُ مِنْ أَرْبِيلَ، وَقَدْ وَلَدَ
فِي الْبَحْرَيْنِ، حَيْثُ كَانَ وَالِدُهُ يَعْمَلُ فِي تِجَارَةِ اللُّؤْلُؤِ بَيْنَ الْعِرَاقِ
وَالْبَحْرَيْنِ.

وَفِي تَرْجَمَةِ ابْنِ خَلِّكَانَ لِلشَّاعِرِ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ
مُحَمَّدٍ بْنِ قَائِدٍ، الْمَلَقَبُ مَوْفِقُ الدِّينِ الْإِرْبِلِيِّ أَصْلًا وَمِنْشَأُ الْبَحْرَانِيِّ مَوْلَدًا
الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ؛ وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، مُفْتَنًا فِي أَنْوَاعِ الشُّعْرِ،
وَمِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي وَأَخَذَ قِيَمَهُمْ بِتَقْدِيرِ الشُّعْرِ وَأَعْرَفَهُمْ
بِحَبِيدِهِ مِنْ رَدَائِيهِ وَأَدَقَّهُمْ نَظْرًا فِي اخْتِيَارِهِ، وَاشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْ عُلُومِ
الْأَوَائِلِ، وَحَلَّ كِتَابَ إِفْلِيدَسَ، وَبَدَأَ يَنْظُمُ الشُّعْرَ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ
بِالْبَحْرَيْنِ جَرِيًّا، وَهُوَ شَيْخُ ابْنِ الْمُسْتَوْفِي صَاحِبِ «تَارِيخِ إِرْبِلِ»

لَيْسَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَقُوفًا نَمَطِيًّا عَلَى أَطْلَالٍ قَدِيمَةٍ، كَمَا قَدْ يُوجَّحُ
مَظَلُّعُهَا وَظَاهِرُ نَسِيجِهَا الْخَارِجِيُّ، وَهِيَ، وَإِنْ كَانَتْ فِي شَكْلِهَا الْعَامِ

تَبْدُو كَذَلِكَ، لَكِنَّهَا فِي الْوَاقِعِ تُحَارِرُ أَطْلَالاً مِنْ نَوْعٍ آخَرَ فِي زَمَنِ مُخْتَلَفٍ، فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ كُتِبَتْ فِي فِتْرَةِ الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ، وَكَتَبَهَا الشَّاعِرُ قَبْلَ تَحْرِيرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِقَلِيلٍ، فِي عَهْدِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَلِذَلِكَ فَفِيهَا نَعْمٌ لِمَعْجِدِ غَايِرٍ وَزَمَنِ ذَهَبِيٍّ، وَالِدِّيَارُ الَّتِي يَتَكِنُّهَا الشَّاعِرُ وَيَتَفَجَّعُ عَلَيْهَا، هِيَ فِي الْوَاقِعِ، تَغْيِيرٌ عَنْ حَالَةِ إِخْبَاطِ جَمَاعِي سَادَتْ فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ. وَبِذَلِكَ أَخَذَ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالِدِّيَارِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ شَكْلًا رَمَازِيًّا لِتَجَسُّدِ حَالَةِ زَوَالِ حَضَارِيٍّ كَامِلٍ، وَغُرُوبِ نَفْسِيٍّ لَأَمَّةٍ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ اللَّافِ إِنْ الْقَصِيدَةُ كَمَا يَذْكُرُ ابْنُ خَلِّكَانَ كَانَتْ فِي مَدْحِ وَالِي أَرْبِيلَ، لَكِنَّا نَجِدُهُ وَقَدْ قَطَعَهَا عِنْدَ أَوَّلِ بَيْتٍ يَبْدَأُ فِيهِ الْمَدْحُ، وَهَكَذَا تَمَّ إِفْصَاءُ الْمَدِيحِ، لِصَالِحِ التَّفَجُّعِ وَبَقِيَّتِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ تِلْكَ السُّطُورِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي «سَمَحَ بِهَا الدَّهْرُ لِلدِّيَارِ» كَمَا يَقُولُ الشَّاعِرُ.

رُبُّ دَارٍ بِالْفَضَا طَالَ بِلَاهَا
عَكَفَ الرُّكْبُ عَلَيْهَا فَبَكَاهَا
دَرَسَتْ إِلَّا بَقَايَا أَشْطَرِ
سَمَحَ الدَّهْرُ بِهَا ثُمَّ مَحَاهَا
كَانَ لِي فِيهَا زَمَانٌ وَأَنْقَضَى
فَسَقَى اللَّهُ زَمَانِي وَسَقَاهَا
وَقَفْتُ فِيهَا الْغَوَادِي وَفَنَّةُ
أَلْصَقْتُ حَرَّ رَأَاهَا بِحَشَاهَا
وَبَكَتْ أَطْلَالُهَا نَائِبَةً
عَنْ جُفُونِي، أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاهَا

قُلْ لِّجِيرَانٍ مَّوَالِيَهُمْ
 كُلَّمَا أَحْكَمْتُهَا رُئِثَ قِوَاهَا
 كُنْتُ مَشْغُوفًا بِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
 شَجَرًا لَا يَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهَا
 لَا تَبِيْتُ اللَّيْلَ إِلَّا أَحْوَاهَا
 حَرَسْتُ نَرْشُحَ بِالْمَوْتِ ظَبَاهَا ^(١)
 وَإِذَا مُدَّتْ إِلَيَّ أَغْصَانُهَا
 كَفُّ جَانٍ قُطِعَتْ دُونَ جَنَاهَا
 فَتَرَاخَى الْأَمْرُ حَتَّى أَضْبَحْتُ
 هَمَلًا يَطْمَعُ فِيهَا مَنْ رَأَاهَا ^(٢)
 تُخَصِّبُ الْأَرْضَ فَلَا أَقْرُبُهَا
 رَائِدًا إِلَّا إِذَا عَزَّ جَمَاهَا
 لَا يَرَانِي اللَّهَ أَرْغَى رَوْضَةً
 سَهْلَةً الْأَكْنَافِ مِنْ شَاءَ رَعَاهَا ^(٣)
 وَإِذَا مَا طَمَعُ أَغْرَى بِكُمْ
 عَرَضَ الْيَأْسُ لِنَفْسِي فَنَنَاهَا
 فَصَبَابَاتُ الْهَوَى أَوْلَاهَا
 طَمَعُ النَّفْسِ وَهَذَا مُنْتَهَاهَا

(١) الظبي: جمع ظبّة، وهي حدة السيف.

(٢) هملاً: تركت سدى بلا راع ولا حام.

(٣) الأكفاف: الجوانب والنواحي، يريد سهولة الحدود والحمى.

لَا تَنْظُرُوا إِلَيَّ إِلَّا بِكُمْ رَجْمَةً
كَشَفَ التُّجْرِبُ عَنْ عَيْنِي عَمَامًا
إِنْ زُنَّ الدُّنْيَا أَوْلَانِي يَدًا
لَمْ تَدْعَ لِي رَغْبَةً فِي مَا سِوَاهَا

ابن أبي اليسر

طَلِيَّةُ بَغْدَادَ

لَعَلَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ أَشْهَرِ الْمَرَاثِي الَّتِي قِيلَتْ بَعْدَ سُقُوطِ بَغْدَادَ بِيَدِ جَيْشِ
هُوَلَاكُو، وَعَلَى قَلَّةِ تِلْكَ الْمَرَاثِي وَنُدْرَتِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ تَنْدَرِجُ فِي سِيَاقِ
مَا يُعْرَفُ بِرِثَاءِ الْمُدُنِ، فَهُوَ وَقُوفٌ آخَرٌ عَلَى الْأَطْلَالِ، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْ مَرْحَلَةٍ
مَدِينَةٍ جَمْعِيَّةٍ مُتَبَايِنَةٍ عَنْ تِلْكَ الْبُكَائِيَّاتِ الصَّخْرَاوِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ذَاتِ الْبُعْدِ
الشَّخْصِيِّ. وَالْقَصِيدَةُ مِنْ سِتَّةِ وَسِتِّينَ بَيْتًا كَمَا ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي «تَارِيخِ
الْإِسْلَامِ» وَأَيَّدَهُ ابْنُ تَعْرِي بَرْدِي فِي «النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ» وَهُنَا اثْنَانِ وَعُشْرُونَ
بَيْتًا هِيَ مَجْمُوعٌ مَا ثَبَتَ فِي كِتَابَيْهِمَا.

لِسَائِلِ الدَّمْعِ عَنْ بَغْدَادَ أَخْبَارُ
فَمَا وَقُوفُكَ وَالْأَخْبَابُ قَدْ سَارُوا؟
بِأَزَائِرِنِ إِلَى الزُّورَاءِ لَا تَفِدُوا
فَمَا بِذَلِكَ الْجَمَنِ وَالذَّارِ دِيَارُ^(١)

(١) الديار: ساكن الدار.

تَأْجُ الْخِلَافَةِ وَالرُّبْعِ الَّذِي شَرُفَتْ
بِهِ الْمَمَالِمُ قَدْ عَقَّاهُ إِفْقَارُ
أَضْحَى لِعَصْفِ الْبِلَى فِي رَنْعِهِ أَثَرُ
وَلِلدُّمُوعِ عَلَى الْأَثَارِ آثَارُ
يَا نَارَ قَلْبِي مِنْ نَارِ لِحَرْبٍ وَعَى
شَبَّتَ عَلَيْهِ وَوَأْفَى الرُّبْعِ إِغْصَارُ
عَلَا الصَّلِيبُ عَلَى أَغْلَى مَنَابِرِهَا
وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَخُونُهُ زُنَارُ
وَكَمْ حَرِيمٍ سَبَّهَتْهُ التُّرُكُ غَاصِبَةً
وَكَانَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ السَّنَرِ أَسْتَارُ
وَكَمْ بُدُورٍ عَلَى الْبَذْرِئَةِ انْخَسَفَتْ
وَلَمْ يَغْدِلْ بُدُورٍ مِنْهُ لِيَذَارُ
وَكَمْ دَخَائِرٍ أَضَحَّتْ وَهِيَ شَائِعَةٌ
مِنَ النَّهَابِ وَقَدْ حَازَتْهُ كُفَّارُ
وَكَمْ حُدُودٍ أَقِيمَتْ مِنْ سُيُوفِهِمْ
عَلَى الرُّقَابِ وَحَطَّتْ فِيهِ أَوْزَارُ
نَادَيْتُ وَالسَّبِيَّ مَهْتُوكٌ يَجْرُهُمْ
إِلَى السُّفَاحِ مِنَ الْأَعْدَاءِ دُعَارُ
وَهُمْ يُسَاقُونَ لِلْمَوْتِ الَّذِي شَهِدُوا
النَّارُ يَا رَبِّ مِنْ هَذَا وَلَا الْعَارُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْقَوْمَ أَغْفَلَهُمْ
مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ فِيهِمْ إِنَّكَ تَارُ

فَأَهْمَلُوا جَانِبَ الْجَبَّارِ إِذْ غَفَلُوا
فَجَاءَهُمْ مِنْ جُنُودِ الْكُفْرِ جِبَّارُ
يَا لِرَجَالٍ بِأَخْذَاتٍ تُحَدُّنَنَا
بِمَا غَدَا فِيهِ إِغْدَارُ وَإِنْدَارُ
مِنْ بَغْدِ أَسْرِ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلُّهُمْ
فَلَا أَتَارَ لَوَجْهِ الصُّبْحِ إِسْفَارُ
مَا رَأَى لِي قَطُّ شَيْءَ بَغْدَ بَيْنَهُمْ
إِلَّا أَحَادِيثُ أَرْوِيهَا وَأَتَارُ
لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا
سُوقَ لِمَجْدٍ وَقَدْ بَانُوا وَقَدْ بَارُوا
إِنَّ الْقِيَامَةَ فِي بَغْدَادٍ قَدْ وَجَدَتْ
وَحَدَّثَهَا حِينَ لِلْإِقْبَالِ إِذْ بَارُ
أَلِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ سَبَّيُوا
فَمَنْ تَرَى بَغْدَهُمْ تَخْوِينِهِ أَمْصَارُ؟
مَا كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَبْقَى وَقَدْ ذَهَبُوا
لَكِنْ أَتَتْ دُونَ مَا اخْتَارَ أَقْدَارُ
إِلَيْكَ يَا رَبَّنَا الشُّكُوفَى فَأَنْتَ تَرَى
مَا حَلَّ بِالدِّينِ وَالْبَاغُوفِ فَجَارُ

الشَّهْرُورِيُّ الْمُقْتُولُ

الْقَصِيدَةُ الْإِسْرَاقِيَّةُ

شَاعِرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قُتِلَ فِي حَلَبَ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ
عُمُرِهِ، بِتُهْمَةِ التَّخْلِيطِ فِي الْعَقِيدَةِ، عَلَى يَدِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بْنِ السُّلْطَانِ
صَلَّاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ، وَبِفَتْوَى مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ فِي حَلَبَ. لَهُ شِعْرٌ
قَلِيلٌ فِي التَّصَوُّفِ، وَكُتِبَ كَثِيرَةٌ فِي الْإِسْرَاقِ وَالنَّفْسِ، كَانَ مُفْرِطَ الذِّكَاةِ
فَصَبَحَ الْعِبَارَةَ، وَكَانَ يُرَدِّدُ: لَا بُدَّ أَنْ أَمْلِكَ الْأَرْضَ، وَحِينَ يُسْأَلُ: مَنْ
أَيْنَ لَكَ هَذَا، يُجِيبُ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ إِنِّي شَرِبْتُ مَاءَ الْبَحْرِ
وَيَذْكُرُ الْمُرُوحُونَ أَنَّهُ لَمَّا تَحَقَّقَ مِنْ قَتْلِهِ، كَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ:

أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي وَهَانَ دَمِي فَهَانَ دَمِي
وَهُوَ تَكْثِيفُ لَبِّيَيْنِ لِأَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِيِّ، وَيُنْسَبَانِ كَذَلِكَ لِلْحَلَاكِ .
وَهُمَا:

إِلَى خَشْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي
فَمَا أَنْفَكُ مِنْ نَدَمٍ وَهَانَ دَمِي فَهَانَ دَمِي
قَالَ يَأْقُوتُ الْحَمَوِيُّ عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: إِنَّهَا أَجْوَدُ

مَا قَالَهُ السَّهْرُوزْدِيُّ الْمَقْتُولُ مِنْ شِعْرِ .

أَبْدًا تَجِرُ إِلَيْكُمْ الْأَرْوَاحُ وَرِصَالَكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ وَدَادِكُمْ تَشْتَاكُكُمْ وَإِلَى لَذِيذِ لِقَائِكُمْ تَزْتَاحُ
وَأَرْحَمَةُ لِلْعَاشِقِينَ تَكَلَّفُوا سِرَّ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى فُضَّاحُ
بِالسَّرِّ إِنْ بَاحُوا تَبَاحَ دِمَاؤُهُمْ وَكَذَا دِمَاءُ الْعَاشِقِينَ تُبَاحُ
وَإِذَا هُمْ كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمْ عِنْدَ الْوِشَاةِ الْمَذْمُوعِ السَّفَاحُ
أَخْبَانَنَا، مَاذَا الَّذِي أَفْسَدْتُمْ بِجَفَائِكُمْ؟ غَيْرَ الْفَسَادِ صَلَاحُ
خَفَضَ الْجَنَاحَ لَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ لِلصَّبِّ فِي خَفَضِ الْجَنَاحِ جُنَاحُ
وَبَدَتْ شَوَاهِدُ لِلِسْقَامِ عَلَيْهِمْ فِيهَا لِمُشْكِكِ أَمْرِهِمْ إِنْضَاحُ
فَإِلَى لِقَائِكُمْ نَفْسُهُ مُزْتَاحَةٌ وَإِلَى رِضَاكُمْ طَرْفُهُ طِمَاحُ
عُودُوا بِنُورِ الْوُضَلِ مِنْ عَسَقِ الدَّجَى فَالْهَجْرُ لَيْلٌ وَالْوِصَالُ صَبَاحُ
صَافَاهُمْ فَصَفَوْا لَهُ فَقُلُوبُهُمْ فِي نُورِهَا الْمِشْكَاةُ وَالْمِضْبَاحُ
وَتَمَتَّعُوا فَالْوَقْتُ طَابَ لِقُرْبِكُمْ رَاقِ الشَّرَابِ وَرَقَّتِ الْأَقْدَاحُ
يَا صَاحِ لَيْسَ عَلَى الْمُحِبِّ مَلَامَةٌ إِنْ لَاحَ فِي أَفْقِ الْوِصَالِ صَبَاحُ
لَا ذَنْبَ لِلْعُشَاقِ إِنْ غَلَبَ الْهَوَى كَيْثَمَانُهُمْ فَنَمَا الْغَرَامُ فَبَاحُوا
سَمَحُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا بَخِلُوا بِهَا لَمَّا دَرَوْا أَنَّ السَّمَّاحَ رِيَّاحُ
وَدَعَاهُمْ دَاعِي الْحَقَائِقِ دَعْوَةٌ فَعَدُوا بِهَا مُسْتَأْنِسِينَ وَرَاحُوا
رَكِبُوا عَلَى سَنَنِ الْوَفَا وَدُمُوعُهُمْ بَخْرَ وَشِدَّةِ شَوْقِهِمْ مَلَاحُ
وَاللَّهِ مَا طَلَبُوا الْوُقُوفَ بِبَابِهِ حَتَّى دَعَا فَاتَاهُمُ الْمِفْتَاحُ
لَا يَسْلُرُونَ بِغَيْرِ ذِكْرِ حَبِيبِهِمْ أَبْدًا فَكُلُّ زَمَانِهِمْ أَفْرَاحُ
حَضَرُوا وَقَدْ غَابَتْ شَوَاهِدُ ذَاتِهِمْ فَتَهَتَّكُوا لَمَّا رَأَوْهُ وَصَاحُوا

أَفَنَأَهُم عَنْهُمْ وَقَدْ كُشِفَتْ لَهُمْ
فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ
قُمْ يَا نَدِيمُ إِلَى الْمُدَامِ فَهَاتِيهَا
مِنْ كَرَمِ أَكْرَامِ بَدَنٍ دِيَانَةٍ
هِيَ خَمْرَةُ الْحُبِّ الْقَدِيمِ وَمُنْتَهَى
وَكَذَلِكَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ أَسْكَرَتْ
وَصَبَتْ إِلَيَّ مَلَكَوْتُهُ الْأَزْوَاحُ
وَكَأَنَّمَا أَجْسَامُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
مَنْ بَاخَ بَيْنَهُمْ بِذِكْرِ حَبِيبِهِ
حُجْبُ الْبَقَا فَنَلَّاشَتْ الْأَزْوَاحُ
إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحُ
فِي كَأْسِهَا قَدْ دَارَتْ الْأَقْدَاحُ
لَا خَمْرَةَ قَدْ دَاسَهَا الْفَلَاحُ
غَرَضِ النَّدِيمِ فَنِعْمَ ذَاكَ الرَّاحُ
وَلَهُ بِذَلِكَ رَنَّةٌ وَنَبَاحُ
وَالِى لِقَاءِ سِوَاهُ مَا يَزْتَاحُ
فِي ضَوْئِهَا، الْمِشْكَاةُ وَالْمِضْبَاحُ
دُمُهُ حَلَالٌ لِلْسُّيُوفِ مُبَاحُ

أَبُو الْبَقَاءِ الرَّنْدِيّ

مَرْثِيَةُ الْأَنْدَلُسِ

سَمَّاهَا الْمَقْرِيّ فِي «نَفْحِ الطَّيْبِ مِنْ غُضَنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ» :
«الْقَصِيدَةُ الْفَرِيدَةُ» وَلَكِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى زِيَادَاتٍ أُلْحِقَتْ بِالْقَصِيدَةِ لِشِدَّةِ
إِعْجَابِ النَّاسِ بِهَا «يُوجَدُ بِأَيْدِي النَّاسِ زِيَادَاتٌ فِيهَا ذِكْرُ غَرْنَاطَةِ وَبَسْطَةَ
وغيرهما ممَّا أَخَذَ مِنَ الْبِلَادِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّنْدِيِّ، إِذْ كَانَ أَهْلُهَا يَسْتَنْهَضُونَ
هِمَمَ الْمُلُوكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» وَالرَّنْدِيُّ نَسَبُهُ إِلَى «رَنْدَةَ» وَهِيَ مِنْ
بِلَدَاتِ مَدِينَةِ «مَلَقَا» فِي الْأَنْدَلُسِ . وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ تَقْتَرِبُ فِي الْوَاقِعِ مِنْ
نُمُودَجِ شِعْرِيٍّ سَابِقٍ لَهَا هُوَ قَصِيدَةُ ابْنِ عَبْدِوَنَ وَهُوَ شَاعِرٌ أَنْدَلُسِيٌّ كَذَلِكَ
سَبَقَ الرَّنْدِيُّ بِأَكْثَرِ مِنْ قَرْنٍ وَهِيَ الْقَصِيدَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِـ «الْبَسَامَةِ» فِي رِثَاءِ
دَوْلَةِ بَنِي الْأَفْطَسِ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الْأَنْدَلُسِ، الَّتِي تَقَعُ فِي أَكْثَرِ مِنْ
سَبْعِينَ بَيْتًا وَيَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا :

«الدَّهْرُ يُفْجِعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ»
وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ قَصِيدَةَ الرَّنْدِيِّ قِيلَتْ بَعْدَ سُقُوطِ إِشْبِيلِيَّةٍ إِلَّا أَنَّهَا قُرِئَتْ
عَلَى أَنَّهَا «مَرْثِيَةُ الْأَنْدَلُسِ» مَعَ أَنَّ غَرْنَاطَةَ لَمْ تَسْقُطْ إِلَّا بَعْدَ وَفَاةِ الرَّنْدِيِّ
بِأَكْثَرِ مِنْ قَرْنَيْنِ .

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُفْصَانُ
فَلَا يُفَرِّطُ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُولُ
مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْزَمَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ
وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزَّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِقَةٍ
إِذَا نَبَتْ مَشْرِفِيَّاتٌ وَخُرْصَانُ^(١)
وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ
كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنٍ وَالْغِمْدُ غِمْدَانُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ ذُووُ التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ
وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتَيْجَانُ؟
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَادُ فِي إِرَمِ
وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ؟
وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبِ
وَأَيْنَ عَادَ وَشَدَادُ وَقُحْطَانُ؟
أَتُنِي عَلَى الْكُلِّ أَمْرًا لَا مَرَدَّ لَهُ
حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلِكٍ وَمِنْ مَلِكِ
كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وَشَنَانِ

(١) الخرصان : الرُمَاح .

دَارَ الرُّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ
 وَأُمِّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِنْسَانُ
 كَأَنَّمَا الصُّغْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ
 يَوْمًا وَلَا مَلِكُ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ
 فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعُ مَنُوعَةٌ
 وَلِلرُّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَخْزَانُ
 وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوفَانُ يَهْوُونَهَا
 وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوفَانُ
 دَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
 هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَإِنَّ هَذَا تَهْلَانُ^(١)
 أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَازْتَرَّتْ
 حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ
 فَاسْأَلْ بِلَنَسِيَّةٍ مَا شَأْنُ مَرْسِيَّةٍ
 وَأَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جِيَانُ
 وَأَيْنَ قُرْطُبَةٌ دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ
 مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَأْنُ
 وَأَيْنَ حِمِصٌ وَمَا تَخْوِيهِ مِنْ نُزُو
 وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَأْضُ وَمَلَانُ
 قَوَاعِدُ كُنْ أَرْكَانُ الْبِلَادِ فَمَا
 عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

(١) تَهْلَانُ: اسم جبلٍ بالبادية معروف، ومنه المثل السائر يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ الرَّزِينِ الْوَقُورِ
 فيقال: «تهلان ذو الهضبات ما يتحلحل»

تَبْكِي الْحَنيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسْفٍ
كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ
عَلَى دِيَارِ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَّةٍ
قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمَرَانُ
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا
فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ
حَتَّى الْمَحَارِبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ
حَتَّى الْمَنَابِرُ تَبْكِي وَهِيَ عِيدَانُ
يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالدَّهْرِ يَفْظَانُ
وَمَا شَيْءٌ مَرَحًا يُلْهِبُهُ مَوْطِنُهُ
أَبْغَدَ حِمَصَ تَغْرُ الْمَرْءُ أَوْطَانُ^(١)؟
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْتَ مَا تَقْدَمُهَا
وَمَا لَهَا مِنْ طَوَالِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَاءُ رَايْتُهُ
أَذْرَكَ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ لَا كَأَنَّهُمْ
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةٌ
كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّيْقِ عُقْبَانُ

(١) حمصُ هنا ليست حمص الشام، وإنما حمص الأندلس: اشبيلية، يقول ياقوت في معجم البلدان: وهم يسمون مدينة إشبيلية حمص وذلك أن بني أمية لما حلوا بالأندلس وملكوها سموا عدة مدن بها بأسماء مدن الشام، ولما دخل جند من جنود حمص إلى الأندلس سكنوا إشبيلية فسميت بهم.

وَحَامِلِينَ سِيُوفَ الْهِنْدِ مُزَهَّفَةً
كَأَنَّهَا فِي ظِلَامِ النُّفْعِ نِيرَانُ
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَا
لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزُّ وَسُلْطَانُ
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أُنْدَلُسِ
فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ
كَمْ يَسْتَفِيثُ بِنَا الْمُسْتَضَعْفُونَ وَهُمْ
قَتَلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَرُ إِنْسَانُ
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ
وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ؟
أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَاتٌ لَهَا هِمَمُ
أَمَا عَلَيَّ الْخَيْرِ أَنْصَارُ وَأَعْوَانُ؟
يَا مَنْ لِيذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزَّتِهِمْ
أَحَالَ حَالَهُمْ كُفْرَ وَطْغْيَانُ
بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ
وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لِأَدْلِيلٍ لَهُمْ
عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمُ عِنْدَ بَيْعِهِمْ
لَهَالِكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ
يَا رَبُّ أُمِّ وَطْفِلٍ جَبِلَ بَيْنَهُمَا
كَمَا تُفَرِّقُ أَرْوَاحَ وَأَبْدَانُ

وطفلةٍ مثلَ حُسنِ الشُّمسِ إذْ برزتْ
كأُماهي باقوتْ ومَرْجانُ
بِقودها العِلاجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةٌ
وَالْمَعِينُ بِأَكِيَّةٍ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ
لِمَثَلِ هَذَا يَبْكِي الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ
إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

هاشم الرفاعي

رسالة في ليلة التنفيذ

شاعرٌ مِصريٌّ، اسمه الحقيقيُّ: «سيدُّ بنُ جامع» من مواليدِ مُحافظَةِ
السُّرْقِيَّةِ عامَ ١٩٣٥ وَلَقِيَ مَصْرَعَهُ فِي الْعَامِ ١٩٥٩ وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ
وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ.

وَإِذَا كَانَ اسْمُهُ الْحَقِيقِيُّ قَدْ غَابَ خَلَفَ الْاسْمَ الْجَدِيدَ، فَإِنَّ كُلَّ مَا كَتَبَهُ
مِنْ شِعْرِ، وَهُوَ لَيْسَ بِقَلِيلٍ قِيَاسًا بِتَجَرِبَتِهِ وَعُمُرِهِ، انْطَوَى تَقْرِيبًا، وَرَبَّمَا
اخْتَرَقَ، تَحْتَ الْأَضْوَاءِ الْكَثِيفَةِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْمَشْهُورَةِ.

حَتَّى أَنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أُصِيبُوا بِالصَّدْمَةِ بَعْدَ ظُهُورِ دِيْوَانِ
الرُّفَاعِيِّ فَقَدْ كَانُوا يُرِيدُونَ أَنْ يَبْقَى هَذَا الشَّاعِرُ وَلَيْسَ عِنْدَهُ سِوَى «رِسَالَةٍ
فِي لَيْلَةِ التَّنْفِيزِ»^(١)

كُتِبَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ عَلَى لِسَانِ شَابٍّ إِلَى وَالِدِهِ فِي لَيْلَةِ تَنْفِيزِ حَكْمِ
الْإِعْدَامِ بِهِ، فَهَلْ كَانَ الرُّفَاعِيُّ هُوَ ذَلِكَ الشَّابُّ؟ لَقَدْ التَّبَسَّ الْأَمْرُ عَلَى

(١) ديوان هاشم الرفاعي «جمع وتحقيق محمد حسن بريغش: دار المنار الأردن

الكثيرين، وفيه ما يدعو إلى الالتباس حقاً، إذ تحكمت هذه الرسالة المفترضة، بمصير الشاعر إلى حد بعيد.

فقد كانت هذه القصيدة من أواخر نتاجات الشاعر، وسرعان ما ذاعت شهرتها خارج مضر حين ألقيها في مهرجان الشعر العربي في دمشق خلال فترة الوحدة بين البلدين وتحديداً في العام ١٩٥٩، وتضاعفت شهرتها بعد أقل من شهرين عندما لقي شاعرها مضره طعناً بالسكّن على يد بعض منافسيه على رئاسة أحد الأندية الثقافية المحلية. ولعل هذه الحادثة تُلخص وجهاً من وجوه الصراع بين الشيوعيين والإسلاميين في مضر في تلك الفترة خاصة وأن الرفاعي يمثل التيار الديني فيما كان منافسوه من الشيوعيين، لتكون قصيدته قراءة مبكرة واستباقية لمصير شاعر جرى إعدامه في الشارع هذه المرة لا في الزنزانة.

حتى ظن الكثيرون وبعضهم دون ذلك في الكتب، أن الرفاعي كتب قصيدته تلك من سجنه قبل أن يُنفذ به حكم الإعدام، فيما الواقع يقول: أن الرفاعي لم يُعتقل طوال حياته الوجيزة.

أبناء ماذا قد يخط بني
والحبل والجلاد ينتظراني؟
هذا الكتاب إليك من زنزانة
مفرورة صخرية الجدران
لم تبق إلا ليلة أخيراً
وأحس أن ظلامها أكفاني

سَمُّرُ يَا أَبَتَاهُ، لَسْتُ أَشْكُ فِي
هَذَا وَتَخِيلُ بَعْدَهَا جُثْمَانِي

الَلَّيْلُ مِنْ حَوْلِي هُدُوءٌ قَاتِلٌ
وَالذُّكْرَيَاتُ تَمُورُ فِي وَجْدَانِي
وَيَهْدِينِي أُمِّي فَاتَّشَدُّ رَاحَتِي
فِي بَضْعِ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ
وَالنَّفْسُ بَيْنَ جَوَانِحِي شَقَافَةٌ
دَبَّ الْخُشُوعُ بِهَا فَهَزُّ كَيْمَانِي
قَدْ عِشْتُ أَوْ مِنْ بِالْإِلَهِ وَلَمْ أَذُقْ
إِلَّا أَخِيرَ أَلَذَّةِ الْإِيمَانِ
شُكْرًا لَهُمْ، أَنَا لَا أُرِيدُ طَعَامَهُمْ
فَلْيَرْفَعُوهُ فَلَسْتُ بِالْجُوعَانِ
هَذَا الطَّعَامُ الْمُرُّ مَا صَنَعْتَهُ لِي
أُمِّي وَلَا وَضَعُوهُ فَوْقَ خِيَوَانِ^(١)
كَلا وَلَمْ يَشْهَدْهُ يَا أَبَتِي مَعِي
أَخْوَانِ جَاءَهُ يَسْتَبِقَانِ
مَلُّوا إِلَيَّ بِهِ يَدَا مَضْبُوعَةً
بِدَمِي وَهَذِي غَايَةُ الْإِحْسَانِ

(١) الخوان : المائدة .

وَالصُّمْتُ يَفْقَطُهُ رَنِينُ سَلْسِلِ
 عَبَثَتْ بِهِنْ أَصَابِعُ السَّجَّانِ
 مَا بَيْنَ آوِنَةٍ تَمُرُّ وَأُخْتِهَا
 يَزْنُو إِلَيَّ بِمُقْلَتِي شَيْطَانِ
 مِنْ كُوءٍ بِالْبَابِ يَرْقُبُ صَيْدَهُ
 وَيَعُودُ فِي أَمْنٍ إِلَى الدَّوَرَانِ
 أَنَا لَا أَحْسُ بِأَيِّ حَقْدٍ نَحْوَهُ
 مَاذَا جَنَى فَتَمَسَّهُ أَضْفَانِي؟
 هُوَ طَيِّبُ الْأَخْلَاقِ مِثْلُكَ يَا أَبِي
 لَمْ يَبْدُ فِي ظَمَأٍ إِلَى الْعُدْوَانِ
 لَكِنَّهُ إِنْ نَامَ عَنِّي لَحْظَةً
 ذَاقَ الْعِيَالُ مَرَارَةَ الْجِرْمَانِ
 فَلَرُبَّمَا وَهُوَ الْمُرْوُوعُ سَخَنَةً
 لَوْ كَانَ مِثْلِي شَاعِرًا لَرَثَانِي
 أَوْ عَادَ - مَنْ يَذَرِي - إِلَى أَوْلَادِهِ
 يَوْمًا وَذَكَرَ صُورَتِي، لَبَكَانِي
 وَعَلَى الْجِدَارِ الصُّلْبِ نَافِذَةٌ بِهَا
 مَعْنَى الْحَيَاةِ غَلِيظَةُ الْقَضَبَانِ
 قَدْ طَالَمَا شَارَفَتْهَا مُتَأَمِّلًا
 فِي الثَّائِرِينَ عَلَى الْأَسَى الْيَقْظَانِ
 فَأَرَى وَجْهًا كَالضُّبَابِ مُصَوَّرًا
 مَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ غَلِيَانِ

نَفْسُ الشُّعُورِ لَدَى الْجَمِيعِ وَإِنْ هُمْ
كَتَمُوا وَكَانَ الْمَوْتُ فِي إِغْلَابِي
وَيَدُورُ هَمْسٌ فِي الْجَوَانِحِ مَا أَلَدِي
بِالنُّورَةِ الْحَمَقَاءِ قَدْ أَغْرَانِي؟
أَوْ لَمْ يَكُنْ خَيْرًا لِنَفْسِي أَنْ أَرَى
مِثْلَ الْجُمُوعِ أَسِيرُ فِي إِذْعَانِ؟
مَا ضَرَّيْنِي لَوْ قَدْ سَكَتُ وَكُلَّمَا
غَلَبَ الْأَسَى بِالْغَتِّ فِي الْكِثْمَانِ؟
هَذَا دَمِي سَبِيلُ يَجْرِي مُطْفِئاً
مَا نَارَ فِي جَنْبَيَّ مِنْ نِيرَانِ
وَفَوَادِي الْمَوَارِ فِي نَبْضَاتِهِ
سَيَكْفُ فِي غَدِهِ عَنِ الْحَقْمَانِ
وَالظُّلُمُ بَاقٍ لَنْ يُحْطَمَ قَبْدُهُ
مَوْتِي وَلَنْ يُودِيَ بِهِ قُرْبَانِي
وَيَسِيرُ رَكْبُ الْبَغْيِ لَيْسَ يَضِيرُهُ
شَاةٌ إِذَا أَجْتُئْتُ مِنْ الْقِطْعَانِ
هَذَا حَدِيثُ النَّفْسِ حِينَ تَشْفُ عَنْ
بَشَرِيَّتِي وَتَمُورُ بَعْدَ ثَوَانِ
وَتَقُولُ لِي: إِنَّ الْحَيَاةَ لِنَغَايَةٍ
أَسْمَى مِنَ التُّصْفِيقِ لِلطُّغْيَانِ
أَنْفَاسُكَ الْحَرَّى وَإِنْ هِيَ أُخِمِدَتْ
سَتَنْظِلُ تَغْمُرُ أَفْقَهُمْ بِدُخَانِ

وَفَرُوحُ جِسْمِكَ وَهُوَ تَحْتَ سَيَاطِلِهِمْ
 قَسَمَاتُ صُبْحٍ يَتَّقِيهِ الْجَانِي
 دَمْعُ السُّجِينِ هُنَاكَ فِي أَغْلَالِهِ
 وَدَمُ الشَّهِيدِ هُنَا سَيَلْتَقِيَانِ
 حَتَّى إِذَا مَا أَفْعِمْتَ بِهِمَا الرُّبَا
 لَمْ يَبْقَ غَيْرُ تَمَرْدِ الْفَيْضَانِ
 وَمِنَ الْعَوَاصِفِ مَا يَكُونُ هُبُوبُهَا
 بَغْدَ الْهُدُوءِ وَرَاحَةَ الرُّيَّانِ
 إِنَّ اخْتِدَامَ النَّارِ فِي جَوْفِ الثُّرَى
 أَمْرٌ يُثِيرُ حَفِيزَةَ الْبُزْكَانِ
 وَتَنَابُعُ الْقَطَرَاتِ يَنْزِلُ بَغْدَهُ
 سَيْلٌ يَلْبِيهِ تَدْفُقُ الطُّوفَانِ
 فَيَمُوجُ يَقْتَلِعُ الطُّغَاةَ مُزْمَجِرًا
 أَقْوَى مِنَ الْجَبَرُوتِ وَالشُّلْطَانِ
 أَنَا لَسْتُ أَذْرِي هَلْ سَتَذْكُرُ قِصَّتِي
 أَمْ سَوْفَ يَغْرُوهَا دُجَى النُّسَيَّانِ؟
 أَمْ أَنَّنِي سَأَكُونُ فِي تَارِيخِنَا
 مُتَّامِرًا أَمْ هَادِمَ الْأَوْثَانِ؟
 كُلُّ اللَّيْلِ أَذْرِيهِ أَنَّ تَجَرُّعِي
 كَأَسِّ الْمَدْلَةِ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي
 لَوْلَمْ أَكُنْ فِي ثَوْرَتِي مُتَطَلِّبًا
 غَيْرَ الضُّيَاءِ لِأُمْتِي لَكَفَّانِي

أَهْوَى الْحَيَاةَ كَرِيمَةً لَا قَيْدَ، لَا
 إِزْهَابَ لَا أَسْتِخْفَافَ بِالْإِنْسَانِ
 فَإِذَا سَقَطْتُ سَقَطْتُ أَخْمِلْ عِزِّي
 يَغْلِي دَمُ الْأَخْرَارِ فِي شِرْزِيَانِي

أَبْتَاهُ إِنْ طَلَعَ الصُّبْحُ عَلَى الدُّنْيَا
 وَأَضَاءَ نُورُ الشَّمْسِ كُلَّ مَكَانٍ
 وَاسْتَقْبَلَ الْعُصْفُورُ بَيْنَ غُصُونِهِ
 يَوْمًا جَدِيدًا مُشْرِقَ الْأَلْوَانِ
 وَسَمِعَتْ أَنْعَامَ الثَّفَاوِلِ نَرَّةً
 تَجْرِي عَلَى فَمِ بَائِعِ الْأَلْبَانِ
 وَأَتَى يَدْقُ - كَمَا تَعَوَّدَ - بَابَنَا
 سَيَدْقُ بَابَ السُّجْنِ جَلَادَانِ
 وَأَكُونُ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ مُتَأَرِّجِحًا
 فِي الْحَبْلِ مَشْدُودًا إِلَى الْعِيدَانِ
 لِيَكُنْ عَزَاؤُكَ أَنَّ هَذَا الْحَبْلَ مَا
 صَنَعْتَهُ فِي هَذِهِ الرُّبُوعِ يَدَانِ
 نَسَجُوهُ فِي بَلَدٍ يَشُعُ حَضَارَةٌ
 وَتُضَاءُ مِنْهُ مَشَاعِلُ الْعِرْقَانِ
 أَوْ هَكَذَا زَعُمُوا وَجِيءَ بِهِ إِلَيَّ
 بَلَدِي الْجَرِيحَ عَلَى يَدِ الْأَعْوَانِ

أَنَا لَا أُرِيدُكَ أَنْ تَعِيشَ مُحَطَّمًا
فَنِي زَخْمَةُ الْأَلَامِ وَالْأَشْجَانِ
إِنْ ابْنُكَ الْمَضْفُودُ فِي أَغْلَالِهِ
قَدْ سَيِّقَ نَحْوَ الْمَوْتِ غَيْرَ مُدَانٍ
فَاذْكُزْ حِكَايَاتِ بِأَيَّامِ الصُّبَا
قَدْ قُلْتَهَا لِي عَنْ هَوَى الْأَوْطَانِ
وَإِذَا سَمِعْتَ نَحِيبَ أُمِّي فِي الدُّجَى
تَبْكِي شَبَابًا ضَاعَ فِي الرِّيْعَانِ
وَتُكْتَمُ الْحَسَرَاتِ فِي أَغْمَاقِهَا
أَلَمْ أَتُورِثْهُ عَنِ الْجِنِّيرَانِ
فَاطْلُبْ إِلَيْهَا الصَّفْحَ عَنِّي إِنَّنِي
لَا أَبْتَغِي مِنْهَا سِوَى الْغُفْرَانِ
مَا زَالَ فِي سَمْعِي رَنِينُ حَدِيثِهَا
وَمَقَالِهَا فِي رَحْمَةِ وَحْنَانِ
أُبْنِي: إِنِّي قَدْ عَدَوْتُ عَلَيْكَ
لَمْ يَبْقَ لِي جَلْدٌ عَلَى الْأَخْرَانِ
فَاقْذِ قُودِي قَرْحَةً بِالْبَحْثِ عَنْ
بِنْتِ الْحَلَالِ وَدَعَكَ مِنْ عِضْيَانِي
كَأَنَّ لَهَا أُمْنِيَّةَ رِيَاءَةٍ
يَا حُسْنَ آمَالٍ لَهَا وَأَمَانِي

وَالآنَ . لَا أَذْرِي بِأَيِّ جَوَانِحٍ
سَتَبِيْتُ بَغْدِي أَمْ بِأَيِّ جِنَانٍ

هَذَا الَّذِي سَطَرْتُهُ لَكَ يَا أَبِي
بَغْضُ الَّذِي يَجْرِي بِفِكْرِ عَانٍ
لَكِنْ إِذَا انْتَصَرَ الضِّيَاءُ وَمُرُقَتْ
بَيْدُ الْجُمُوعِ شَرِيعَةُ الْقُرْصَانِ
فَلَسَوْفَ يَذْكُرُنِي وَيُكَبِّرُ هِمَّتِي
مَنْ كَانَ فِي بَلَدِي خَلِيفَ هَوَانٍ
وَأَلَى لِقَاءِ نَخْتِ ظِلِّ عَدَالَةٍ
قُدْسِيَّةِ الْأَحْكَامِ وَالْمِيزَانِ

عَبْدُ الْأَمِيرِ الْحُصَيْنِيِّ

شَرِيدُ الْقَلَقِ

وُلِدَ الْحُصَيْنِيُّ، وَاسْمُهُ الْحَقِيقِيُّ «عَبْدُ الْمُؤَيَّرِ عَبْدُ مَهْدِي» فِي مَدِينَةِ
«النَّجَفِ» عَامَ ١٩٤٢، وَتُوفِّيَ فِي بَغْدَادَ عَامَ ١٩٧٨

شَاعِرٌ رَجِيحٌ شَرِيدٌ يَفِيضُ شِعْرًا وَذُهُولًا، صُغْلُوكٌ، سِكِّيرٌ، عَاطِلٌ،
نَجْفِيٌّ مُتَمَرِّدٌ عَلَى بَيْتِهِ، مَاتَ فِي بَغْدَادَ وَحِيدًا شَرِيدًا، مَحْمُورًا. تَتَرَاخَمُ
هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي شَخْصِهِ كَمَا تَتَدَافَعُ الصُّورُ الْمُبْتَكِرَةُ فِي قَصِيدَتِهِ، فَهُوَ
شَاعِرٌ مُبْتَكِرٌ دَاخِلَ الشَّكْلِ الْعُمُودِيِّ.

فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ شِرَاسَةٌ فِي الصُّورَةِ وَعَرَبْدَةٌ فِي الْبَلَاغَةِ وَفِي الْعَلَقَاتِ
بَيْنَ الْمُفْرَدَاتِ تَنَاسُبٌ شَخْصِيَّةٌ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ مُحَاوَلَةِ تَخْفِيفِهِ وَرَاءَ سِيرَةِ
عُرْوَةِ بِنِ الْوَرْدِ، فِي أَحَدِ دَوَائِرِهِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ مُطَوَّلَاتِهِ وَقَصَائِدِهِ
الضَّائِعَةِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ، فَقَدْ بَقِيَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الصُّورَةُ الْأَخِيرَةُ الرَّاسِخَةُ
وَالثَّامَّةُ لِلشَّاعِرِ، يَلْتَقِطُهَا لِنَفْسِهِ فِي شَوَارِعِ بَغْدَادَ وَفِي الْمَقَاهِي وَالْحَنَاتِ
وَكَوَائِسِ الرُّوحَةِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ فِي صَمِيمِ الْقَلَقِ الَّذِي يُحَاوِرُهُ الْحُصَيْنِيُّ
بِصُورَةٍ لَا فِتْنَةَ.

وَمُنْذُ عَامَ ١٩٧٠، حِينَ صَدَرَتْ ضِمْنِ مَجْمُوعَةِ «أَنَا الشَّرِيدُ» وَإِلَى
الْيَوْمِ، تُعَدُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، أَنْشُودَةُ الصَّبَايِلِكِ فِي الْعِرَاقِ تَحْدِيدًا، وَإِنْ
كَانَتْ غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ كَثِيرًا فِي الْبُلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى. وَلَعَلَّهَا تَعْدُو الْيَوْمَ
كَذَلِكَ.

تَنْتَقِي هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لَيْسَ لَأَنَّهَا وَحِيدَتُهُ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهَا الْأَشْهُرُ مِنْ سَائِرِ
شِعْرِهِ.

أَجَائِعُ؟ أَيُّ شَيْءٍ نَمَّ يَا قَلْقُ؟
أَمِنْ حُطَامِي هَذَا يُمْطِرُ الْعَبَقُ؟
إِذَا تَصَبَّبْتُ رُوحِي دُونَمَا تَعَبِ
يُطْفِي تَلْظِي هَوَاكَ، الْقَائِمُ الْخَفِقُ
إِنْ كُنْتَ تَحْلُمُ فِي قَلْبِي فَإِنَّ دَمِي
مِنْ جُوعِهِ بَاتَ فِيهِ الْجُوعُ يَخْتَرِقُ
أَلَمْ يُشَرِّدْكَ تَشْرِيدُ يَمَرْقَنِي
عَيْنَايَ أَظْفَارُهُ الْعَمِيَاءُ تَأْتَلِقُ
قَلْبِي الْجَحِيمُ أَثِيمَاتُ الشُّرُورِ بِهِ
مُعَذِّبَاتُ، فَمَا أَذْنَبْتَ يَا قَلْقُ؟
أَخْشَى عَلَيْكَ دَمِي الْوَارِي وَإِنْ يَكُ فِي
إِخْرَاقِهِ حُلْمُكَ الرِّيَّانُ يَنْسَجِقُ^(١)
مَا زِلْتُ طِفْلًا غَرِيرًا كَيْفَ تَقْرُبُنِي؟
أَنَا التَّشْرِيدُ وَالْجِزْمَانُ وَالْأَرْقُ

(١) الواري: الكثير والدسم.

أَنَا الشَّرِيدُ لِمَاذَا النَّاسُ تُذَعَرُ مِنْ
وَجْهِي، وَتَهْرُبُ مِنْ أَقْدَامِي الطَّرْقُ؟
وَكُنْتُ أَفْرَعُ لِلْحَانَاتِ، تَشْرِبُنِي
وَالْيَوْمَ! لَوْلَمْ حَثَّ عَيْنِي تَحْتَنِقُ
قَدْ بَتُّ أَنْضَعُ أَغْرَاقِي وَأُورِدَتِي
وَأَرْتَوِي مِنْ جِرَاحَاتِي، وَأَنْسَجِقُ
شَنَقْتُ قَلْبِي عَلَى أَخْلَامِهِ، فَإِذَا
بِهَا، وَضَحَكْتُهَا الْخَضِرَاءُ تَنْشِينُ
وَجُبْتُ حَتَّى زَوَايَا الْغَيْبِ! لَيْسَ صَدَى
فِيهَا، يُرَوِّي صَدَى نَفْسِي، وَلَا أَلْقُ
زَرَعْتُ حَتَّى اضْطَحَّابَ الْمَوْجِ فِي شَفْتِي
ضَحَكَ، وَلَمْ يَنْتَسِمِ خَفَاقِي الْأَرْقُ
الْعُرْيُ أَذْهَلَهُ شَأْنِي، فَجُنَّ عَلَى
شِفَاهِهِ أَلْفُ سُؤْلِ، كَيْفَ يَنْطَلِقُ؟^(١)
عَزِيَانُ، يَكْسُو الدُّنَى بِالنَّجْمِ الْبِيسَةِ
عَطْشَانُ، فِي رَاحَتَيْهِ الْكَوْثَرُ الْعَبَقُ
فَهَلْ كَسَوَتْ جُفُونَ النَّاسِ أَلْفَ دُجَى؟
أَمْ هَلْ تَبَسَّسَ فِي أَحْدَاقِهِ الْفَسَقُ؟
الدَّارُ تَسْكُنُ أَخْلَامِي! وَمَا اكْتَحَلْتُ
بِالشَّمْسِ، وَالشَّمْسُ مِنْ كَفِّي تَنْبَثِقُ

(١) السُّؤْلُ: السُّؤَالُ، جَاءَ فِي سُورَةِ طه الْآيَةِ ٣٦: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾

وَالْكَأْسُ تَشْرَبُ أَشْوَاقِي، وَلَهْفَتْهَا
دَمٌ يَمُصُّ شَرَايِينِي، وَيَخْتَرِقُ
لَا تَسْخَرُوا، وَاسْخَرُوا مِمَّنْ يُقْبِدُهُ
مِنْ نَفْسِهِ الْجَهْلُ وَالْإِذْلَالُ وَالْحَمَقُ
الْجُوعُ يَغْدُبُ. ! لَا لَيْلًا وَلَا سَحْبًا
مَا دَامَ يُنْجِدُنِي فِي صُبْحِهِ الْعَرَقُ
تَمُوتُ فِي رَقَصَاتِ الْكَأْسِ صَاحِبَةً
أَنْغَامٌ مَنْ فِي نَشِيْجِ الْمَوْتِ قَدْ غَرِقُوا
أَحْجَارٌ مَقْبَرَةٍ. لَمْ تَجِرِ أَعْرُقُهُمْ
إِلَّا بِخَوْفٍ لَهَيْبِ سَوْفَ يَنْعَتِقُ
هَذَا الْجِثَانُ! فَلَا يَشْرَبُ عُيُونُكُمْ
طَيْفٌ عَلَى أَعْظَمِ نَخْرَاءٍ يَنْسِقُ
فَاللَّهُوُ، وَالْحُورُ، وَالشَّهَوَاتِ، لَا أَلَمُ
رَأَاهُ وَلَا الْحُلُمُ الْمِغْطَارُ يُسْتَرْقُ
وَالْإِبْسَامَاتُ وَالْأَضْوَاءُ نَاعِسَةٌ
وَالْعِطْرُ مُسْتَعِرُ الْأَنْاءِ يُنْتَشِقُ^(١)
النَّجْمُ يَرْقُصُ مِنْ حَوْلِي، وَفِي قَدَحِي
يُلَالِي الْقَمَرَ السَّكْرَانُ وَالْأَفْقُ

(١) الأناء: من آن: أي شديد السخونة، حان وقتُ نُضْجِهِ. جاء في القرآن في سورة
الرَّحْمَنِ آية ٤٤ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَبِيرٍ ۚ إِنَّ ۙ﴾ وكذلك في سورة الأحزاب آية
٥٣ ﴿إِنَّ طَعَامَهُمْ خَبَرٌ نَّظِيرٌ لِّإِنَّهُ ۙ﴾ أي نُضْجِهِ.

أَنَا إِلَٰهُهُ وَتَذَمَّائِي مَلَائِكَةُ
وَالْحَانَةُ الْكَوْنُ وَالْجَلَّاسُ مَنْ خُلِقُوا
وَالنَّادِلُونَ وَقَدْ عَثْتُ كُؤُوسُهُمْ
كَالْأَنْبِيَاءِ بِنُورِ الْخَمْرِ قَدْ عَبَقُوا
وَالْحُورُ أَخْلَامِي السُّكْرَى تُغَارِلُنِي
حِينَئِذَا وَتَمْرُحُ أَخْيَانًا، فَتَأْتِبُ^(١)
هُنَّ الْحَيَاءُ الَّتِي لَوْلَا تَأَلَّقَهَا
لَمَّا تَغْنَى بِهَا نَاسٌ وَلَا عَشِقُوا
أَجْسَادُهُنَّ مَرَايَا! يَنْبُضُ الْعَبَقُ
فِيهَا، وَيَضْحَكُ مِنْ نَظَرَاتِهَا الْوَرَقُ
سُكْرَى، يَكَادُ عَلَيْهَا رَغَمَ مَلْبَسِهَا
مِنْ التُّعْمُومَةِ حَتَّى الضُّوْءُ يَنْزِلِقُ
أَمَّا النُّهُودُ! فَلَا تَذْكُرْ تَذَلُّلَهَا
إِلَّا إِذَا ضِغَّتْ فِي دُنْيَاكَ يَا خَفَقُ
كُفُّوا عَنِ اللَّوْمِ يَا صَحْبِي فَمَا سَلِمَتْ
لِي الْأَصَائِلُ لَوْلَا ذَلِكَ الْفَرْقُ
قَدْ جِثْتُ لِلْكَوْنِ عُزْيَانًا. لَوْ أَنَّ شَذَا
الْإِحْسَاسِ عَنْ جِسْمِي الْمَخْمُومِ مُنْعَتِقُ
وَالْحُبُّ يَأْكُلُ أَضْلَاعِي، وَيَسْحَقُنِي
شَوْقُ بِأَخْذِاقِهِ الْأَثْدَاءِ وَالشُّبَّاقُ

(١) تَأْتِبُ: تَسْتَرِ وتذهب.

لِمَ لَا تَكْفُونُ؟ أَنْتُمْ مَنْ رَأَى كَمَدِي
فَمَا يَقُولُ بِلَوْمِي الْعَابِرُ النَّزِقُ
الْخَيْرُ أَنْ تَسْكُرُوا حَوْلِي وَتَبْتَسِمُوا
وَتَكْسِرُوا الشَّجْنَ الْقَاسِي وَتَنْطَلِقُوا
دُقُوا الْكُؤُوسَ بِكَأْسِي غَيْرَ صَاحِبَةٍ
صُبْحًا، وَلَا تَذْكُرُوا الْأَيَّامَ، وَاغْتَبِقُوا
لَا تَحْلَمُوا أَنْ تَنَامَ الْكَأْسُ ذَابِلَةً
فَمَا يَنْبُوعُهَا الزَّاهِي قَدْ رَنَقُ
عَيْنَايَ مِنْ قَدَحَاتِ الْخَمْرِ لَامِعَةٍ
وَذِي الدَّمَاءِ مِنَ الْأَغْنَابِ تَنْدِفُ
دَمِي عَلَى الْهَجْرِ مَشْنُوقٌ، لَكُمْ قَسَمٌ
إِذَا لَعَبِرَنِي، بِذِي الدُّنْيَا، دَمٌ يَقِقُ^(١)

(١) اليَقِقُ: الأبيض الخالص، وهو هنا كناية عن العَرَق، أي صار لونُ دَمِهِ أبيضَ لِكثْرَةِ شُرْبِهِ العَرَقِ.

الفهرس

٥.....	المقدمة
١٩.....	لَقَبْتُ بِنُ بَغْمَرِ الْإِنْيَادِي
١٩.....	رِسَالَةٌ لَمْ تَصِلْ أ
٢٨.....	الْأَسْعَرُ الْجَفْفِي
٢٨.....	مَقْصُورَةُ الْخَيْلِ
٣٣.....	الْأَفْوَه الْأَوْدِي
٣٣.....	الْحَيَاءُ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ
٣٦.....	عَبْدُ يَغُوثِ الْحَارِثِي
٣٦.....	لِسَانُ الْأَسِيرِ
٤١.....	عَمْرُو بْنُ قَعَّاسِ الْمَرَادِي
٤١.....	الْبَيْتُ الْمَسَافِرُ
٤٣.....	الْمُنْخَلُ الْبَشْكَرِي
٤٣.....	أُجِهَا وَتُجْنِي
٤٦.....	الْمُقْضَلُ الْتُكْرِي

٤٦.....	الْمُنْصِفَةُ فِي الْحُبِّ وَالْحَرْبِ
٥٠.....	الْأَسْوَدُ بْنُ يَغْفَرُ
٥٠.....	فِي الْأَرْضِ الْمَسْدُودَةِ
٥٤.....	كَغَبُ الْغَنَوِيِّ
٥٤.....	لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ
٦٣.....	بَبْهَسُ بْنُ عَبْدِ الْحَارِثِ
٦٣.....	فِي مُلْتَقَى الرِّيَّاحِ
٦٩.....	دَوَقْلَةُ الْمُنْبِجِي
٦٩.....	الْيَتِيمَةُ
٧٥.....	عَمْرُو بْنُ مَعْلَدِي كَرْبُ
٧٥.....	قَصِيدَةُ رَيْحَانَةَ
٧٩.....	سُحَيْمُ الرِّيَّاحِي
٧٩.....	صُورَةُ الْإِنَّا
٨١.....	قُتَيْلَةُ بِنْتُ النُّضْرِ
٨١.....	مُبَكِّئَةُ النَّبِيِّ
٨٣.....	مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ
٨٣.....	أُمُّ الْمَرَّاثِي
٨٩.....	سُحَيْمُ الْحَبَشِيِّ
٨٩.....	الْعَزَلَةُ الْقَاتِلَةُ
٩٨.....	سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ
٩٨.....	يَتِيمَةُ الْجَاهِلِيَّةِ
١٠٨.....	مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ
١٠٨.....	خَيَالُ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ
١١٣.....	أَبُو صَخْرٍ الْهَلَلِي
١١٣.....	قَصِيدَةُ الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ

١١٦	الْعَوَامُ بْنُ عُقْبَةَ
١١٦	زِيَارَةُ لَيْلَى
١٢٠	أَبُو الشُّنَّاسِ اللَّصُّ
١٢٠	خَرِيطَةُ الصُّغْلُوكِ
١٢٣	تَوْيَّةُ بْنُ الْحَمِيرِ
١٢٣	نَارُ لَيْلَى
١٢٨	الصُّمَّةُ الْقُشْنِيرِي
١٢٨	وَدَاعُ نَجْدٍ
١٣٣	سَوَارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ السَّغْدِي
١٣٣	تَلَوْنُ بِي زَمَانِي
١٣٧	صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ
١٣٧	الْقَصِيدَةُ الرَّيْبِيَّةُ
١٤٣	الأَخْبِمِر السَّغْدِي
١٤٣	الْقَصِيدَةُ الْوَحْشِيَّةُ
١٤٧	الْفَارِغَةُ الْخَارِجِيَّةُ
١٤٧	بُكَائِيَّةُ عَلَى الْخَابُورِ
١٥٠	إِبْنُ أَبِي السُّغَلَاتِ
١٥٠	الْقَصِيدَةُ الْمُنْسِيَّةُ
١٦١	شَاعِرٌ مَجْهُولٌ . .
١٦١	بَيْتُهُ التَّوْحِيدِي
١٦٤	مَانِي الْمَوْسُوسِ
١٦٤	بَيْتُهُ مَجْنُونِ الدَّيْرِ
١٦٧	خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْقَنَاصِ
١٦٧	قَصِيدَةُ الْعَرُوسِ
١٧٤	مُذْرِكُ الشَّيْبَانِي

١٧٤ الْمُرَدَّوَجَةُ فِي الْعِشْقِ الْمِثْلِيِّ
١٨٢ أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْبَارِيُّ
١٨٢ أَجْمَلُ الْمَصْلُوبِينَ
١٨٤ ابْنُ زُرَيْقٍ الْبَغْدَادِيُّ
١٨٤ فِرَاقِيَةُ الْبَغْدَادِيِّ
١٩٠ أَبُو سَعْدِ النَّيْرَمَانِي
١٩٠ عَنِ الْوَادِي الْمَهْجُورِ
١٩٤ الشَّهْرُزُورِيُّ
١٩٤ طَرِيقُ الْعَوْدَةِ
١٩٧ الْأَزْبَلِيُّ الْبَحْرَانِيُّ
١٩٧ السُّطُورُ الْمَمْحُوءُ
٢٠١ ابْنُ أَبِي الْيَسْرِ
٢٠١ طَلَلِيَّةُ بَغْدَادَ
٢٠٤ الشَّهْرُزُورِيُّ الْمَقْتُولُ
٢٠٤ الْقَصِيدَةُ الْإِسْرَاقِيَّةُ
٢٠٧ أَبُو الْبَقَاءِ الرَّنْدِي
٢٠٧ مَرْثِيَةُ الْأَنْدَلُسِ
٢١٣ هَاشِمُ الرَّفَاعِي
٢١٣ رِسَالَةٌ فِي لَيْلَةِ التَّفْنِيدِ
٢٢٢ عَبْدُ الْأَمِيرِ الْحُصَيْنِيُّ
٢٢٢ شَرِيدُ الْقَلْبِ

الناشئ

هذا الكتاب

أغلب أصحاب الواحدة، من هوامش الناس، فهم خوارج
وصعاليك ومنتصوفة ولصوص ومجانين ومنفيون، وشعراء
مغمورون، ومغامرون ومنبوذون، وعشاق مقهورون، ومن عوام
الناس في عصرهم.

هم ليسوا بشعراء «بلاطيين» ليذهب شعرهم في البلدان بفعل
مدائح جرت بها ألسنتهم فجرت معها شهرتهم في الآفاق.

من هنا نجد أنَّ ظروف حياتهم التي عاشوها بما تحمله من
تراجيديا، من موت مبكر، ونفي وابتعاد عن ثقافة المركز، هي
السمة المميزة التي جعلت من أخبارهم قليلة وأسهمت في ندرة
أشعارهم.

ولعلَّ هذا الحصار المركب الذي اتسمت به حياة هؤلاء هو الذي
جعل قصائدهم نماذج «فدّة» في الحب والحرب والموت ورثاء
المدن وفي استبطان الذات ووحشتها وأسئلتها العميقة.

